شَرْح
الصَّحيفة السَّجاديَّة

الجزء الثالث



شَرْح
الصَّحيفة السَّجاديَّة

للإمام عليّ بن الحسين ابن أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليهم السلام

تأليف

العلَّامة السيد مُحمَّد حسين الجلالي

تحقيق

السيِّد رحيم الحسيني

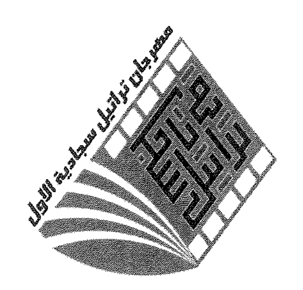
الجزء الثالث

الناشر

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

قسم العلاقات العامة





هوية الكتاب

الكتاب : شرح الصحيفة السجادية - الجزء الثالث

تأليف : العلامة السيد محمد حسين الجلالي

تحقيق : السيد رحيم الحسيني

الطبعة: الأولى ١٤٣٦هـ

الناشر: الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة/ قسم العلاقات العامة

الكمية المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

صف الحروف والإخراج الفني: فاطمة ابي عباس

[الدعاء الثامن والأربعون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام يوم الأضحى ويوم الجمعة[1]

[١/٤٨ ـ الأضحى والجمعة]:

أللّهُمَّ هذا يَوْمٌ مُبارَكٌ مَيْمُونٌ[2]، وَالْمُسْلِمُونَ فيهِ مُجْتَمِعُونَ في أَقْطارِ أَرْضِكَ، يَشْهَدُ[3] السّائِلُ مِنْهُمْ وَالطّالِبُ وَالرّاغِبُ وَالرّاهِبُ، وَأَنْتَ[4] النّاظِرُ في حَوائِجِهِمْ، فَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ وَهَوانِ ما سَأَلْتُكَ عَلَيْكَ[5] أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[6].

استفتح الدعاء بما يخص يومي الأضحى والجمعة من الأوصاف. والأضحى هو اليوم العاشر من ذي الحجة حيث يضحّي الحجاج فيه بالأنعام،

---

(١) ورد هذا الدعاء في ملحق (ك) بالرقم (٤٩) وبنفس العنوان، وفي ملحق (ش) في الصفحة (٢٠٧) بنفس العنوان، وفي (ج) بعنوان: «الثامن والأربعون: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام يوم الأضحى ويوم الجمعة»، وفي (ت) بعنوان: (الثامن والأربعون) وتحته عنوان: «في يوم الجمعة ويوم الأضحى»، وفي (ق) بعنوان (الرابع والأربعون) وتحته عنوان: «في يوم الأضحى والجمعة»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٤٨)، بعنوان: «دُعاؤهُ في يوم الأضحى والجمعة».

(٢) لم يرد في (ق): «ميمون».

(٣) في (ق): «شهد»، وفي حاشية (د): «قال السيد الداماد رحمه الله: في نسخة عميد الرؤساء: «تشهد»، على صيغة الخطاب، وما بعدها بالنصب معمولات لها».

(٤) في حاشية (ج) (د): «أنت ـ س، وضرب على «الواو»».

(٥) في (ق): «عندك».

(٦) في (ت): «وَآل محمد».


بسم الله الرحمن الرحيم

عَلَيْهِمْ، تَهْديهِمْ[(١)] بِهِ[(٢)] إِلَيْكَ[(٣)]، أَوْ تَرْفَعُ لَهُمْ عِنْدَكَ دَرَجَةً، أَوْ تُعْطيهِمْ بِهِ خَيْراً مِنْ خَيْرِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، أن توفّرَ حَظِّي وَنَصِيبِي مِنْهُ[(٤)]».

وعقّب الصلاة على محمد وآله إجمالاً بهذا المقطع الذي يحتوي على نوعية الصلاة عليهم بالتفصيل.

واستفتح هذا المقطع بصفات إلهيّة موجبة للفضل بانواع الرحمة عليهم.

قال الشارح المدني (ت = ١١٢٠هـ): «وتصدير مقدمة السؤال بالنداء للتضرّع وتكريره بكمال الخضوع والابتهال وعرض للاعتراف بربوبيته تعالى مع الإيمان به، وتأكيد المسؤول به بـ«انّ»، للإيذان بصدور المقال عنه بوفور الرغبة وكمال النشاط وصدق الاعتراف بمضمونه، أي أسألك بكون الملك والحمد لك. . .»[(٥)].

وقد سرد من الصفات الإلهيّة ما يلي:

١ ـ الربوبية، فهو مبدأ الفيض بالوجود على جميع الخلق.

٢ ـ الملك، فهو المهيمن على كل ما خلق بقدرته.

٣ ـ الحمد، وهو الثناء باللسان على الجميل الاختياري.

٤ ـ التوحيد (لا إله إلّا أنت) جملة حالية، أي منفرداً بالألوهية.

---

(١) في (ت): «وَتهديهم».

(٢) قال السيد علي خان: وجملة قوله عليه السلام: «تهديهم به» مستأنفة للتعليل، أي لتهديهم به. فلا محلّ لها من الإعراب، ويحتمل أن تكون بدلا من تمنّ به عليهم، أو عطف بيان لها، فمحلّها الخفض. (رياض السالكين ٧: ١٧٧).

(٣) في (ت): «عليك».

(٤) في ملحق (ك): «وأن توفر حظي ونصيبي منه»، وفي حاشية (ج): «أن توفر حظي ونصيبي منه» ـ صح. وفي حاشية (د)ما نصه: قوله عليه السلام: «أن توفر حظي ونصيبي منه» في محلّ نصب مفعول ثان لأسألك، وأكثر النسخ لا توجد فيها هذه الفقرة، وعليها فالمفعول الثاني لأسألك محذوف، للعلم به، وهو مضمون هذه الفقرة أو نحوه، لأنّ السؤال عند قسمة الخير يعيّن كون المسؤول من جنسه، والله أعلم. من الشرح. (رياض السالكين ٧: ١٧٧).

(٥) رياض السالكين ٧: ١٧٤.

والأضحية من مناسك الحج الواجبة عليهم، وهو يوم عيد سنويّ لكافة المسلمين في أقطار العالم، واما يوم الجمعة فهو اخر أيام الأسبوع، وقد خصه الله سبحانه بفريضة الجمعة، وهو عيد أسبوعي للمسلمين عامة.

وقد سرد من الأوصاف الجامعة لهذين اليومين ما يلي:

١ ـ البركة، وهي الزيادة روحياً من الخير الإلهي في الدنيا.

٢ ـ اليمن، وهو سكون النفس بتيسير ما ينبغي في حياة الإنسان.

٣ ـ الاجتماع، حيث أن جميع من المسلمين يجتمعون في ذلك اليوم في العالم كله.

٤ ـ السؤال من الله تعالى في قضاء حوائجهم الدنيوية والأخروية.

وبما أن السؤال منقطع إلى الله وحده دون غيره، فيكون سؤال الإنسان من خالق الأكوان أسهل ما يكون في قضائه؛ لسعة جوده وكرمه تعالى من جانب، وهوان السؤال ـ مهما عظم ـ بالنسبة اليه تعالى، أي كونه حقيراً.

وقد استفتح الدعاء بالسؤال الأهم وهو الصلاة على محمد وآله؛ لأنهم منبع الهداية للامة الإسلامية ومعرفة ثوابته الأولى بالاتباع، ولولاهم لما تمكن الإنسان من اسلوب الدعاء في المحتوى والعرض، فهم أولى بالاستفتاح بهم في الدعاء في هذا اليوم لما لهم من الفضل.

[٢/٤٨ ـ أنواع الدعوات]:

وَأسَأَلُكَ ـ أللّهُمَّ رَبَّنا ـ بِأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ وَلَكَ الْحَمْدَ، لا إلهَ إلّا اَنْتَ، الْحَليمُ الْكَريمُ، الْحَنانُ الْمَنّانُ، ذُو الْجَلالِ وَالإكرامِ، بَديعُ السّماواتِ وَالأَرْضِ[1]، مَهْما قَسَمْتَ بَيْنَ عِبادِكَ الْمُؤْمِنينَ، مِنْ خَيْرٍ أَوْ عافِيَةٍ أَوْ بَرَكَة أَوْ هُدىً أَوْ عَمَلٍ بِطاعَتِكَ، أَوْ خَيْرٍ تَمُنُّ بِهِ

---

(١) في (ق) (ت): «والأرضين».

وآله، والمقطع الثالث في الصلاة الخاصة على محمد وآله. والزيادة المذكورة دعاء للنفس، ولا يناسب السياق[١]. والله العالم.

قال الشارح المدني (ت = ١١٢٠هـ): «وقوله عليه السلام: (أن توفّر حظي ونصيبي منه) في محل نصب مفعول ثَان لـ (أسألك) وأكثر النسخ لا توجد فيها هذه الفقرة، وعليها فالمفعول الثاني لـ (أسألك) محذوف؛ للعلم به، وهو مضمون هذه الفقرة أو نحوه؛ لأن السؤال عند قسمة الخير يعيّن كون المسؤول من جنسه، والله أعلم»[٢].

[٣/٤٨ ـ الصلوات الخاصة]:

وَأسْألُكَ[٣] ـ أللّهُمَّ[٤] ـ بِأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ والْحَمْدَ[٥]، لا إلهَ إلّا أَنْتَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ[٦] عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَحَبيبِكَ وَصِفْوَتِكَ[٧]، وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ الأبْرارِ، الطّاهِرينَ الأَخْيارِ[٨]، صَلاةً لا يَقْوى عَلى إحْصائِها[٩] إلّا أنْتَ.

---

(١) قال المحقق: إن ما ذكره السيد الأستاذ دام ظله وجيه فيما لو لم تكن الجملة معطوفة على ما قبلها، كما نص عليه. ولكن بناء على ما في ملحق (ك) من عطفها بالواو على ما تقدم، تكون العبارة مناسبة للسياق، بأن يكون المعنى: أن تفعل بمحمد وآل محمد كذا وكذا وأن توفر حظي ونصيبي منه. خصوصا وانها وردت في هامش نسخة الجباعي وبعدها كلمة (صح)، مما يشعر بكونها سقطت عند الاستنساخ.

(٢) رياض السالكين ٧: ١٧٧.

(٣) في (ق) (ت): «أسألك» بدون واو.

(٤) في ملحق (ك) زيادة: «ربنا».

(٥) في ملحق (ك): «ولك الحمد».

(٦) في غير (ت) زيادة: «وآل محمد».

(٧) في (ت): «وصفيّك»، وفي حاشية (ج): «وصَفوتك، وصُفوتك ـ جميعاً».

(٨) لم ترد في (ق): «عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَحَبيبِكَ وَصِفْوتِكَ، وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ الأَبْرارِ، الطّاهِرينَ الأَخْيارِ».

(٩) في (ت): «إحصائه».

٥ ـ الحلم، حيث لا يستفزّه شيء إلى الانتقام.

٦ ـ الكرم، وهو إيثار الصفح عن الجاني.

٧ ـ الحنان؛ بالرحمة للعباد.

٨ ـ المنّ، وهو النعمة العظيمة.

٩ ـ الجلال، وهو العظمة.

١٠ ـ الاكرام، أي الاحسان والإنعام.

١١ ـ البديع، أي المبدع والموجِد للسماوات والأرض.

وهذه الصفات الإلهيّة تستوجب شمولها لمن حمل الرسالة الإلهيّة، وهو النبيّ ﷺ ومن أحيى سنته وهم اهل بيته الطاهرون.

وانواع الصلوات المسؤولة لهم، هي:

١ ـ الخير في الحياة روحياً.

٢ ـ العافية بالصحة والسلامة.

٣ ـ البركة في العمل والمال.

٤ ـ الهدى في سلوك الصراط المستقيم.

٥ ـ الطاعة لله في أوامره وترك النواهي.

فإنّ محمداً ﷺ وآله كانوا سبباً في فوز العباد المؤمنين بهذه الأنواع من الرحمة الروحية في حياتهم.

فهم يستحقون هذه الأنواع من الصلوات، لأنّهم السبب في أن تحقيق فوز العباد المؤمنون بها.

ولا يخفى أنّ المفعول الثاني للسؤال غير مذكور، لوضوحه من السياق في هذه النسخة من الرواية المشهورة، وفي بعض النسخ الزيادة التالية: (أن توفّر حظي ونصيبي منه)، فإنّ صحّت الزيادة فلا يكون هذا المقطع مرتبطاً بما سبقه من المقطع الأوّل، والاعتبار لا يساعد على هذه الزيادة؛ فإنّ المقطع الأوّل كان في الصلاة على محمد وآله، وهذا المقطع الثاني في أنواع الصلوات العامة لمحمد

الجينات المحفوظة في دمائهم، فهم جميعاً يستحقون صلاة خاصة، وهي الصلاة (التي لا يقوى على إحصائها) إلّا الله سبحانه وتعالى.

وحيث إن الداعي سائر على خطى الهدي النبوي وآله، فهو أيضاً يستحق أن يشترك في صالح من دعا الله في هذا اليوم من العباد المؤمنين، فالمغفرة الإلهيّة العامة لجميع المؤمنين لا بدّ وأن تشمله أيضاً، آمين رب العالمين.

[٤/٤٨ ـ الحقيق بالسؤال]:

أللّهُمَّ إِلَيْكَ تَعَمَّدْتُ بِحَاجَتِي، وَبِكَ أَنْزَلْتُ الْيَوْمَ فَقْرِي وَفاقَتي وَمَسْكَنَتي، وَإِنّي بِمَغْفِرَتِكَ[١] وَرَحْمَتِكَ أَوْثَقُ مِنّي بِعَمَلي، وَلَمَغْفِرَتُكَ وَرَحْمَتُكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبي.

فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَتَوَلَّ قَضاءَ كُلِّ حاجَةٍ هِيَ لي بِقُدْرَتِكَ عَلَيْها، وَتَيْسيرِ ذلِكَ عَلَيْكَ، وَبِفَقْري[٢] إِلَيْكَ، وَغِناكَ عَنّي، فَإِنّي لَمْ أُصِبْ خَيْراً قَطُّ إِلّا مِنْكَ، وَلَمْ يَصْرِفْ عَنّي سوءاً قَطُّ أَحَدٌ[٣] غَيْرُكَ، وَلا أَرْجُو لأَمْرِ آخِرَتي وَدُنْيايَ[٤] سِواكَ.

في هذا المقطع إشارة إلى من هو الحقيق بالسؤال، ومن هو الحقيق بأن يكون السؤال منه؟

ويحدد ذلك الحاجة والغنى؛ فإنّ من هو في حدّ الحاجة حقيق بأن يَسأل من ليس له حاجة. وان من هو في حدّ الغنى حقيق بأن يكون المسؤول منه لقضاء الحاجة.

---

(١) في (ت): «وأنا لمغفرتك».
(٢) في (ت): «ولفقري».
(٣) لم ترد في (ت): «أحد».
(٤) في (ق) (ت): «دنياي وآخرتي».

وَأَنْ تُشْرِكَنا في صالِحِ [دُعَاءِ][١] مَنْ دَعاكَ في هذَا الْيَوْمِ مِنْ عِبادِكَ الْمُؤْمِنينَ يا رَبَّ الْعالَمينَ، وَأَنْ تَغْفِرَ لَنا وَلَهُمْ، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ.

وعقّب الصلوات العامة على محمد وآله بالصلاة الخاصة بعد الإشارة إلى الاستحقاق بسبب صفات إلهيّة ثلاث، هي: الملك والحمد والتوحيد، وهذه الصلاة الخاصة لأسباب تخصّ ذواتهم وأدوارهم في خدمة الرسالة.

أمّا الرسول الاعظم ﷺ فهو:

١ ـ عبدك، فلم يجاريه عبد آخر في اداء واجب العبادة.

٢ ـ رسولك، وقد أدّى الرسالة الإلهيّة كاملة.

٣ ـ حبيبك، الذي قام بما عليه واستقام فيه كما أُمر بالاستقامة[٢].

٤ ـ صفوتك من الأنبياء.

٥ ـ خيرتك من الخلق.

فكلّ خاصّة من هذه تستوجب صلاة خاصة، فكيف بها وقد اجتمعت كلّها في شخصيته الكريمة؟.

وأما بالنسبة إلى آله عليهم السلام، فهم:

١ ـ الابرار، حيث برّوا بالأمانة الملقاة على عاتقهم في إحياء سنة جدّهم وآدائها كاملة تامّة.

٢ ـ الطاهرون، حيث طهرهم الله تعالى بنص الكتاب العزيز بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣].

٣ ـ الأخيار، حيث وصل كل الخير منهم إلى الأُمّة، في حفظ السنة النبوية في حياتهم الخاصة والعامة، وهذه الخصائص فيهم إنما ورثوها عن جدّهم في

---

(١) كلمة: «دعاء» من (ق) (ت).

(٢) في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. (القرآن الكريم، سورة هود ١١: ١١٢).

(٣) القرآن الكريم، سورة الاحزاب ٣٣: ٣٣.

[٥/٤٨ ـ حالة السائل]:

أللّهُمَّ مَنْ تَهَيَّأَ وَتَعَبَّأَ[١] وَأَعَدَّ وَاسْتَعَدَّ لِوَفادَةٍ[٢] إِلى مَخْلوقٍ رَجاءَ رِفْدِهِ وَنَوافِلِهِ[٣] وَطَلَبَ نَيْلِهِ[٤] وَجائِزَتِهِ، فَإِلَيْكَ يا مَوْلايَ كانَتِ الْيَوْمَ[٥] تَهْيِئَتي وَتَعْبِئَتي[٦] وَإِعدادي وَاسْتِعْدادي رَجاءَ عَفْوِكَ وَرِفْدِكَ، وَطَلَبَ نَيْلِكَ وَجائِزَتِكَ.

وحالة السائل هي حالة الوافد، وهو من يقدم على غيره مستنجزاً الحوائج، ويستلزم ذلك أُموراً، هي:

١ ـ التهيؤ بإحداث هيئة حسنة مناسبة تقتضيها الوفادة.

٢ ـ التعبّؤ بصنع ما يلزم الوفادة من مقدمات.

٣ ـ إلاعداد، بإحضار ما تحتاج اليه الوفادة من تلك المقدمات.

٤ ـ الاستعداد، وهو التأهّب وأخذ العدة كمرحلة أخيرة للوفادة بعد ما تقدم من التهيؤ والتعبئة والإعداد.

وأما الحوائج التي يستنجزها الوافد عادة، فهي بالنسبة إلى المخلوقين رجاء ما يأتي:

١ ـ الرفد، وهو المعُونة.

٢ ـ النوافل، وهي الهبة تفضّلا.

٣ ـ النيل، وهو المعروف.

---

(١) في (س): «عبيت الجيش: إذا هيأته في مواضعه». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٦).

(٢) في حاشية (د) ما نصه: «الوفادة ـ بالكسر ـ وتفتح، بمعنى: القدوم. والنوافل: جمع نافلة، وهي الهبة والعطية تفضلاً وتبرعاً».

(٣) لم ترد في (ق): «ونوافله».

(٤) في (ق) (ت): «وطلب نائله» وفي حاشية (د)ما نصه: «طلب نيله بالنصب، عطف على «رجاء رفده»، من الشرح». (رياض السالكين ٧: ١٧٣).

(٥) في (ت): «فإليك يا إلهي اليوم».

(٦) لم ترد في (ق): «تعبئتي»، وفي (ق): «فإليك كان يا مولاي اليوم تعبئتي».

والتأمل في الصفات الّتي تحكم حياة الإنسان من ناحية، والصفات الّتي هي ذاتية في الله سبحانه من ناحية أُخرى تحدّد بوضوح من هو الحقيق بالسؤال ومن هو الحقيق بأن يُسأل منه.

وقد أشار المقطع إلى أسباب ثلاثة في الإنسان توجب عليه السؤال، وهي:

١ ـ الفقر، وهو فقد ما يحتاج اليه الإنسان.

٢ ـ الفاقة، وهي نفس الاحتياج.

٣ ـ المسكنة، وهي حالة الاحتياج القصوى.

وهذه الأسباب متلازمة في الإنسان المحتاج إلى شيء ضروري في حياته، والله سبحانه مبرّءٌ منها جميعاً؛ لغناه في كل شيء، فهو الحقيق بالسؤال منه (بفقرى إليك وغناك عنّي)، وعلل ذلك بأمرين هما:

١ ـ ان كل خير فهو من الله.

٢ ـ وان كل سوء لا يمكن أن يصرف إلّا به؛ لغناه عن غيره، فلا يكون أحدٌ حقيقاً بالسؤال منه سواه تعالى.

كما وخصّ الداعي نفسه بأمرين يستحقّ بهما ذلك، وهما:

١ ـ الوثوق بالمغفرة والرحمة دون العمل الشخصي.

٢ ـ أنّ المغفرة والرحمة الإلهيّة أوسع من ذنوب الأفراد، فيكون السائل حقيقياً بهما؛ لأن رحمته تعالى وسعت كل شيء[1]، فهو وحده تعالى المسؤول في قضاء كل حاجة؛ لقدرته تعالى عليها، وهو وحده تعالى المسؤول في تيسير ذلك؛ لغناه تعالى عن عباده، وهو سبحانه وحده المرجوّ في أمور الدنيا والآخرة.

---

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

فَيا مَنْ رَحْمَتُهُ واسِعَةٌ، وَعَفْوُهُ عَظيمٌ، يا عَظيمُ، يا عَظيمُ، يا كَريمُ[١]، يا كَريمُ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ[٢]، وَعُدْ عَلَيَّ بِرَحْمَتِكَ، وَتَعَطَّفْ عَلَيَّ بِفَضْلِكَ، وَتَوَسَّعْ عَلَيَّ بِمَغْفِرَتِكَ.

والرجاء ملازم لحالة السائل في يوم الجمعة، وهو اليوم الذي يعدّ عيداً أسبوعياً للمسلمين، وكذا في يوم الاضحى الذي هو عيد سنوي للمسلمين في العالم، حيث يتوجّه المسلمون جميعاً إلى عبادة الله تعالى في اليومين.

والله سبحانه المسؤول منه حقيقٌ بإجابة الرجاء لأمرين:

١ ـ لأنه تعالى (لا ينقصه نائل) والنيل: هو العطاء، فإنّ عطاءه سبحانه عطاء غير مجذوذ، ولا يعتريه نقصان، والداعي السائل في حالته حقيق بتحقق رجائه؛ لأنه:

١ ـ غير واثق بعمل صالح قدّمه بين يديه لله تعالى.

٢ ـ غير واثق بشفاعة مخلوق إلّا شفاعة محمّد وأهل بيته عليهم السلام.

٣ ـ هو مقرٌّ بالجرم، أي اكتساب الاثم، والاقرار حالة تستحق العفو.

٤ ـ هو مقرٌّ بالاساءة على النفس، والاساءة ضدّ الاحسان.

وهذه حالات حقيقة بشمول العفو بتحقيق الرجاء كما سبقت رحمته تعالى على الخاطئين مع عظم الجرم منهم، بالرغم من طول عكوفهم، أي ملازمتهم للجرم؛ حيث عاد تعالى عليهم بالرحمة والمغفرة.

فالسائل الراجي رحمة الله وفضل الله ومغفرته تعالى حقيق بأن يتحقق رجاءه في ذلك كما تحقق لغيره ممن اذنب، وعفا عنه المسؤول منه، حيث اختص بصفات الرحمة الواسعة والعفو العظيم إلى جانب عظمته وكرمه في ذاته.

---

(١) لم ترد في (ت): «يا عظيم يا كريم».

(٢) في (ت): «وآله».

٤ ـ الجائزة، وهي العطية.

فهذه الحالة الّتي تكون عادة في الوفادة إلى المخلوقين موجودة في الداعي في هذين اليومين: يوم الاضحى ويوم الجمعة؛ حيث يتوجّه إلى الله سبحانه بكل ما يستلزم حالة الوافد من التهيؤ والتعبئة والاعداد والاستعداد، مع الرجاء الكامل من الله سبحانه بالعفو والرفد والنيل والجائزة.

[٤٨/٦ ـ الرجاء]:

أللّهُمَّ فَصِلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وَلا تُخَيِّبِ الْيَوْمَ ذلِكَ مِنْ رَجائي، [اللّهمّ](١) يا مَنْ لا يُحْفيهِ سائِلٌ، وَلا يَنْقُصُهُ نائِلٌ، فَإِنّي لَمْ آتِكَ ثِقَةً مِنّي بِعَمَلٍ صالِحٍ قَدَّمْتُهُ، وَلا شَفاعَةِ مَخْلُوقٍ رَجَوْتُهُ إِلّا شَفاعَةَ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ(٢) صلواتك عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ(٣) وَسَلامُكَ(٤).

أَتَيْتُكَ مُقِرّاً بِالْجُرْمِ وَالإِساءَةِ إِلَى(٥) نَفْسي(٦)، أَتَيْتُكَ أَرْجُو عَظيمَ عَفْوِكَ الَّذي عَفَوْتَ بِهِ عَنِ الخاطِئينَ(٧)، ثُمَّ لَمْ يَمْنَعْكَ طُولُ عُكُوفِهِمْ(٨) عَلى عَظيمِ الْجُرْمِ أَنْ عُدْتَ عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ت).
(٢) لم ترد في (ق): «وأهل بيته».
(٣) في (ق): «صلى الله عليه وآله».
(٤) في (ق) العبارة هكذا: «إلّا شَفاعَةَ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم»، وفي ملحق (ك) وملحق (ش): «إلّا شَفاعَةَ مُحَمَّد وَأَهْلِ بَيْتِهِ عليه وعليهم سلامك»، وفي حاشية ملحق (ك) كتب على عبارة: «صلواتك عليه وعليهم وسلامك»: نسخة.
(٥) في (ت): «على نفسي»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «على نفسي».
(٦) في (ق) زيادة: «يا عظيم يا كريم».
(٧) في حاشية (ج) (د): «الخطّائينَ ـ س».
(٨) في (س): «عكف على الشيء يعكُف (ويعكِف) عكوفاً: أي أقبل عليه مواظباً». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٦).

الْمُقَدِّرُ لِذلِكَ، لا يُغالَبُ أَمْرُكَ، وَلا يُجاوَزُ الْمَحْتومُ مِنْ تَدْبيرِكَ، كَيْفَ

= التجرّد، والتجرّد قد زال بدخول «انّ»، ولذلك لم يجيزوا: انّ زيدا قائم وعمرو قاعد. على انّ عمروا معطوف على المحلّ لا مبتدأ، بل حكموا بتعيّن رفعه على الابتداء دون العطف. نعم من لم يشترط المحرز في العطف على المحل أجاز ذلك وهم الكوفيّون وبعض البصريّين. و «بزّه ثوبه بزّا» من باب ـ قتل ـ: سلبه، يقال: من عزّ بزّ، أي: من غلب سلب. وابتزه: استلبه، وقال الزمخشري في الأساس: بزّه ثيابه وابتزّه: سلبه. وفي القاموس: البزّ أخذ الشيء بجفاء وقهر كالإبتزاز. واتّفقت النسخ المشهورة على ضبط «ابتزّوها» بفتح التاء على البناء للفاعل، فيكون الضمير المتّصل، وهو الواو، هو الفاعل. وضمير المؤنّث بعده هو المفعول، وهو عائد إلى «المواضع»، والمعنى: قد استلبوها وأخذوها قهرا. فإن قلت: إلى ما يعود الضمير الذي هو الفاعل ولم يسبق له مفسّرا؟ قلت: يعود إلى سابق معنى، وهم الأعداء المتّصفون بالظلم والكفر والشقاق والنفاق، لاستلزام سياق الكلام لذلك، فانّ مواضع أمناء الله لا يبتزّها ويستلبها منهم إلّا عدوّ ظالم كافر بلغ من الشقاق والنفاق كلّ مبلغ، فهو كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ (سورة ص٣٨: ٣٢) أي: غربت الشمس، وإن لم يسبق للشمس ذكر، لكن دلّ عليها ذكر العشيّ من قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ (سورة ص٣٨: ٣١)، فاستلزم سياق الكلام: تواري الشمس. ومثله: ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ (سورة القيامة ٧٥: ٢٦) أي: الروح. ووقع في نسخة ابن إدريس «رحمه الله» ضبط «ابتزّوها» بضمّ التاء بالبناء للمفعول، أي سلبوها بالبناء للمجهول، وهو على جعل «ابتزّ» متعدّيا، إلى مفعولين، لأنّه بمعنى سلب، و «سلب» يتعدّى إلى مفعول واحد تارة، نحو: سلبت زيدا، وإلى مفعولين أخرى كقوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ﴾ (سورة الحج ٢٢: ٧٣). قال أبو البقاء: «يسلبهم» يتعدّى إلى مفعولين، و «شيئا» هو الثاني. وإذا عرفت ذلك فأصل «ابتزّوها» بالبناء للمفعول، «ابتزّوهموها» بالبناء للفاعل ففيه ثلاثة ضمائر: مرفوع على الفاعليّة ومنصوبان على المفعوليّة، فالمرفوع هو «الواو» الأولى، وهو فاعل الابتزاز، والمنصوبان أحدهما: «هم» وهو ضمير الامناء، ودخلت الواو تتمّة للميم وهو الأصل في ميم الجمع، وإنّما تحذف تخفيفا للعلم بها. وثانيهما: «ها» وهو ضمير المواضع، وهو المفعول الثاني، فلمّا حذف الفاعل للعلم به أناب المفعول الأوّل وهو «هم» مناب الفاعل، واسند الفعل إليه، فصار مرفوعا بعد ان كان منصوبا، وتحوّل «واوا» بعد أن كان «هاء» و «ميما»، لأنّ ضمير الغائبين إذا كان مرفوعا كان واوا، وإذا كان منصوبا أو مجرورا كان هاء تليها ميم، فصار ابتزوها، «فالواو» نائبة عن الفاعل، و «هاء» مفعول ثان في محل نصب على حاله، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾. (سورة آل عمران ٣: ١١٥)، فالواو في «يكفروه» نائبة عن الفاعل، والهاء مفعول ثان. من الشرح ملخصاً». (رياض السالكين ٧: ١٩٢ ـ ١٩٤).

[٧/٤٨ ـ مقام العيد الأسبوعي والسنوي]:

أللّهُمَّ إنّ هذا الْمَقامَ لِخُلَفائِكَ وَأَصْفِيائِكَ، وَمَواضِعَ أُمَنائِكَ في الدَّرَجَةِ[١] الرَّفيعَةِ الَّتي اخْتَصَصْتَهُمْ بِها، قَدِ أبْتُزُّوها[٢]، وَأَنْتَ

---

(١) في (ت): «والدرجة».

(٢) في (ج): «ابتزّوها»، وفي حاشية (ج): «أُبتُزّوها ـ س»، وفي (س): «ابتززت الشيء أي استلبته». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٦)، وفي حاشية (د) ما نصه: «اتّفقت النسخ المتداولة المشهورة من الصحيفة الشريفة على ضبط لفظ «مواضع» بالنصب، إلّا ما وقفت عليه في نسخة قديمة من ضبطه بالرفع. فالنصب على أنّه عطف على اسم «انّ» وهو «المقام» وخبره قوله عليه السلام: «قد ابتزّوها». والتقدير: وانّ مواضع أمنائك قد ابتزّوها. والرفع على أنّه مبتدأ وجملة: «قد ابتزّوها» الخبر، والجملتان متعاطفتان أو على أنّه عطف على خبر «انّ» وهو متعلّق الظرف من قوله: «لخلفائك» والتقدير: اللّهم انّ هذا المقام كائن لخلفائك وأصفيائك ومواضع أمنائك. وفي نسخة قديمة: «اللّهم انّ هذا المقام مقام خلفائك وأصفيائك ومواضع أمنائك» فهو معطوف على «مقام خلفائك»، وهو من باب عطف أحد الجزئين على الآخر، وانّما جاز الاخبار بمواضع ـ وهو جمع ـ عن المقام وهو مفرد، لأنّ المقام مقام معنوي، أعني مقام الخلافة ومرتبة الرئاسة العامّة، وهو يحتوي على درجات الشرف ومنازل الكرامة التي اختصّ بها الله سبحانه أمناءه، فهو في المعنى كالجمع وإن كان مفردا في اللفظ. و «هذا» تقول في ظرف المكان الحقيقي مشيرا إلى الأرض ينزل بها قومك: هذه الأرض منازل قومنا ومواضع رحالنا. والظرف من قوله عليه السلام: «في الدرجة الرفيعة» مستقرّ في محلّ نصب على الحالية من «مواضع أمنائك»، أي: كائنة في الدرجة الرفيعة، والعامل في الحال معنى الإشارة. مثله في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ (سورة هود ١١: ٧٢)، وهذه الحال مؤكّدة لصاحبها، إذ ليس الغرض الإشارة إلى المواضع في حال كونها في الدرجة الرفيعة دون غيرها، لأنّها لا تكون إلّا كذلك. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٧: ١٩١ ـ ١٩٢).

وفي حاشية (د)ما نصه: «قوله عليه السلام: «قد ابتزّوها» في محلّ رفع على الخبريّة لـ «مواضع أمنائك» على رواية نصب «مواضع» كما ذكرناه. وأمّا على رواية الرفع، فإن جعلت «مواضع» مبتدأ، فهي في محلّ رفع على الخبرية أيضا، وان جعلته عطفا على خبر «انّ»، فهي جملة مستأنفة استينافا بيانيّا، كأنّه سأل: ما بال المواضع المذكورة؟ فقال: «قد ابتزّوها». فإن قلت: هل يجوز حمل رواية الرفع في مواضع على عطفها على محلّ اسم «انّ»، فيكون من باب العطف على المحلّ؟. قلت: لا يجوز ذلك عند جمهور البصريّين، لاشتراطهم فيه وجود المحرز ـ أي الطالب ـ لذلك المحلّ، والطالب لرفع اسم «إنّ» هو الابتداء، والابتداء هو =

ثم أشار إلى أنّ كلّا من القيام بالمسؤولية وابتزاز هذا المقام بالقهر والغلبة انما هو موجود في تقدير إلهي بسلسلة مترابطة يكون الاخلال باحداها موجباً لنقض الأُخرى، وتبتدأ هذه السلسلة بما يلي:

١ ـ وعي الجماهير للثوابت الإسلامية الّتي بشرّ بها النبيّ صلى الله عليه وآله وطبّقها في حياته حتى اكمل الدين.

٢ ـ العمل على النهج الإسلامي وتطبيق تلك الثوابت الّتي منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ ـ متابعة من له الصلاحية في تحمّل المسؤولية.

فإنّ فقدان أية حلقة من هذه السلسلة أو ما يتبعها سوف يؤدّي إلى الابتزاز في النتيجة والمآل.

والتقدير الإلهي تقدير عادل في تسلسل الحلقات المترابطة، ويتصف بالعلم الأزلي الذي يكون باحدى الوجوه التالية:

١ ـ لا غالب على أمره، أي شأنه تعالى من قول أو فعل.

٢ ـ لا تجاوز، أي لا تعّد على المحتوم من تدبيره تعالى للخلق.

٣ ـ لا تحديد له في الكيفية؛ فإنّ تقديره تعالى نافذ على كل حال وكيف شاء.

٤ ـ لا تحديد له في الزمان، فإنّ تدبيره حتم على كل الاوقات.

فإنّ الله سبحانه أعلم بالأسباب الّتي يختاره الإنسان، والمسببات الّتي يترتب عليها؛ فإنّ انفراط حلقة من السلسلة ـ ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمسؤولية جماعية للمجتمع الإسلامي ـ سوف يؤدّي لا محالة إلى الغلبة والقهر والابتزاز لمقام من أعدّه الله للمسؤوليات، وتكون النتيجة الحتمية ما يلي:

١ ـ تبديل حكم الله إلى الأهواء.

٢ ـ نبذ كتاب الله والتمسك بكتب الفلسفات الإنسانية الماديّة.

شِئْتَ وَأنى شِئْتَ!!، وَلِما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ، غَيْرُ[(١)] مُتَّهم على خَلْقِكَ وَلا لإرادَتِكَ[(٢)].

حَتّى عادَ صَفْوَتُكَ وَخُلَفاؤُكَ مَغْلُوبينَ، مَقْهُورينَ، مُبْتَزّينَ، يَرَوْنَ حُكْمَكَ مُبَدَّلاً، وَكِتابَكَ مَنْبوذاً، وَفَرائِضَكَ مُحَرَّفَةً عَنْ جِهاتِ أَشْراعِكَ، وَسُنَنَ نَبِيِّكَ مَتْرُوكَةً.

وحيث إن كلّاً من الجمعة والأضحى عيدان للمسلمين جميعاً، احداهما عيد أسبوعي والآخر عيد سنوي، وفي مثل يومين كهذين تقام صلاة الجمعة أو صلاة العيد، ويخطب فيه امام الصلاة بما يهم المسلمين مما يصلح أمور دينهم ودنياهم في كل أسبوع وكل عام، ومقام كهذا مسؤولية إسلامية يجب ان يقوم بها من فيه الكفاءة والاستحقاق لتحمّل هذه المسؤولية، وقد عدّهم الإمام عليه السلام في هذا المقطع بأوصاف ثلاثة، هي:

١ ـ الخلفاء، الذين يطبّقون حكم الله تعالى على الأرض، كما جعل الله آدم عليه السلام خليفته على الأرض.

٢ ـ الأصفياء، الذين اختارهم الله وجعلهم صفوة يقتدى بهم في الحياة.

٣ ـ الأمناء، الذين يوثق بهم في تحمّل الأمانة الإلهيّة في المجتمع.

وقد أُضيفت الخلافة والصفوة والأمانة إلى الله سبحانه؛ لأن هؤلاء مسؤولون في أداء دورهم القيادي في تطبيق حكم الله في المجتمع؛ لتحمّلهم هذا المقام والقيام بهذه المسؤولية، وقد خصّ الله هذا المقام بمن يتصف بهذه الصفات دون غيرهم.

ولكن حيث أنّ التاريخ يشهد بأن كثيراً من القائمين في هذا المقام كانت تنقصهم هذه الصفات، فهم ابتزّوه أي سلبوه ممّن له الحق بهذا المقام بالقهر والغلبة.

---

(١) في (ج): «غيرُ»،وفي حاشية (ج): «غيرَ ـ س».
(٢) في (ق): «خلقك ولإرادتك».

٣ ـ من رضي بفعال الأعداء؛ فإنّ الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم[١]، ولو كان جاعلاً نفسه من المسلمين كالجواسيس لهم.

٤ ـ أشياع الأعداء، وهم الأنصار بالفعل والفكر وإن لم يعتقدوا بنفس ما يعتقدهُ الأعداء.

٥ ـ اتباع الأعداء، وهم من يقتفون أثرهم ويتشبهون بهم في الحياة.

فإنّ هذه الاصناف جميعاً في الصف المعادي للإسلام فكراً وعملا أو لساناً وسلوكاً مما يجعلهم وحدةً متكاتفة ضد الإسلام في فكره ونظامه وسلوكه، وموقف كهذا يستحق اللعن، كما لعنهم الله تعالى[٢].

[٩/٤٨ ـ قدوة الأولياء]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ[٣]، كَصَلَواتِكَ[٤] وَبَرَكاتِكَ وَتَحِيّاتِكَ عَلى أَصْفِيائِكَ إِبْراهيمَ وآلِ إِبْراهيمَ [إنّكَ حَميدٌ مَجيدٌ][٥]، وَعَجِّلِ الْفَرَجَ وَالرَّوْحَ وَالنُّصْرَةَ وَالتَّمْكينَ وَالتَّأْييدَ لَهُمْ.

وعلى النقيض من جزاء موقف الأعداء يكون موقف الأولياء الذين أخذوا على عاتقهم نصر الإسلام بما يتمكنون منه يداً ولساناً وقلباً؛ لأنهم سائرون على

---

(١) كما ورد في الحديث الشريف، انظر: نهج البلاغة ٤: ٤٩٩، قصار الحكم، الحكمة: ١٥٤.

(٢) قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. (القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ٨٧).

(٣) في غير (ق) زيادة: «إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ».

(٤) في (ق) (ت): «كأفضل صلواتك».

(٥) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت)، والعبارة في سائر النسخ هكذا: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ إنّكَ حَميدٌ مَجيدٌ، كَصَلَواتِكَ وَبَرَكاتِكَ وَتَحِيّاتِكَ عَلى أَصْفِيائِكَ إِبْراهيمَ وآلِ إِبْراهيمَ، وَعَجِّلِ الْفَرَجَ وَالرَّوْحَ وَالنُّصْرَةَ وَالتَّمْكينَ وَالتَّأْييدَ لَهُمْ».

٣ ـ تحريف الفرائض الإسلامية الثابتة حتى تغيب عن المجتمع، وجهات أشراع الله تعني مقاصد الصراط الذي شرعه الله للمجتمع الإسلامي.

٤ ـ ترك السنة النبوية واتّباع سنن الآخرين المناقضة لسنة الله الّتي شرعها للمجتمع الإسلامي.

[٨/٤٨ ـ لعن الأعداء]:

أللّهُمَّ الْعَنْ أَعْداءَهُمْ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَمَنْ رَضِيَ بِفِعالِهِمْ وَأَشْياعَهُمْ وَأَتْباعَهُمْ[١].

وإذا كان الابتزاز في اصله ممنوعاً في الإسلام فيكون الابتزار لمقام المسؤولية الإسلامية الّتي يجب فيها توفر الصفات القيادية المطلوبة أشدّ تحريماً؛ لكونه أضلّ سبيلا، حيث إن أثر هذا الابتزاز يسري إلى جميع شرائح المجتمع الإسلامي بأسره؛ لأن المبتزّ يقوم بدور المنافق في ضرب الإسلام من الداخل، كما يقوم الكافر بنفس الدور من الخارج، وقد لعنهم الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[٢]؛ فإنّهم جميعاً يشتركون في معاداة الإسلام، والعداوة هي قصد الاذى.

وقد خصّ هذا المقطع جمعاً ممّن يشتركون في عداء الإسلام بمعاداة رموزه من الخلفاء والأوصياء والأُمناء، وهم:

١ ـ الأعداء من الأوّلين الذين بدءوا بالعداء، وهم مشركوا قريش.

٢ ـ الأعداء من الآخرين، وهم الذين يسيرون على خطى المشركين جيلاً بعد جيل.

---

(١) لم ترد في (ق) عبارة: «أللّهُمَّ الْعَنْ أَعْداءَهُمْ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَمَنْ رَضِيَ بِفِعالِهِمْ وَأَشْياعَهُمْ وَأَتْباعَهُمْ»، وفي (س): «شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٦).

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٦١.

١ ـ التوحيد؛ حيث إنّهم يعبدون الله تعالى وحده من دون شرك جليّ أو خفيّ.

٢ ـ الإيمان بالله، باعتقاد نابع من القلب، جار على اللسان، ظاهر في العمل بالأركان.

٣ ـ التصديق بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو قدوة المسلمين وأُسوة حسنة في الحياة الإسلامية، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

٤ ـ طاعة الائمة الذين فرض الله طاعتهم بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2].

وهذا المقطع من الدعاء يشتمل على أمرين:

الأوّل: الدعاء بأن يجعل الله الداعي من الأولياء الذين تجمعهم الصفات المشتركة، فيكون من اهل التوحيد والإيمان والتصديق والطاعة.

الثاني: الدعاء بأن يجعل الله الداعي من دعاة الإسلام الذين (يجري) كل (ذلك) من الصفات المشتركة، أي التوحيد والإيمان والتصديق والطاعة (به) أي بسبب هذا الداعي (وعلى يديه) وان يحصل كل من ذلك بواسطته لكونه داعية صلاح.

وبالجملة، فما ورد في الأمر الثاني ملازم مع الأوّل، فلا تكون الدعوة صادقة اذا لم يكن الداعي واجداً لتلك الصفات، دون العكس؛ فإنّه يمكن ان يكون موحّداً مؤمناً مصدقا مطيعاً من دون أن يكون داعية، والأمران معاً من صفات الأولياء، دون الأعداء.

[١١/٤٨ ـ فرج الله]:

أَللّهُمَّ لَيْسَ يَرُدُّ[3] غَضَبَكَ إِلّا حِلْمُكَ، وَلا يَرُدُّ سَخَطَكَ إِلّا

(١) القرآن الكريم، سورة الأحزاب ٣٣: ٢١.

(٢) القرآن الكريم، سورة النساء ٤: ٥٩.

(٣) في (ق) (ت): «اللهم إنه لا يرد».

خطى محمّد وآل محمّد ﷺ، وحيث إنهم الهداة إلى كتاب الله والدعاة إلى شريعته، فهم يستحقون ما استحقه ابو الأنبياء ابراهيم وآل ابراهيم من:

١ ـ الصلوات، وهي الرحمة من الله.

٢ ـ البركات، وهي الخيرات المتكاثرة.

٣ ـ التحيّات، وهي السلام وأنواع البر.

ويترتب على ذلك عاجلا أم آجلا من الآثار:

١ ـ الفرج باستكشاف الغموم، للعلم بأن طريق الحرّية ذا شوكة.

٢ ـ الرَّوْح، وهي الراحة النفسية بأداء الواجب.

٣ ـ النصرة، وهي الاعانة من الله سبحانه.

٤ ـ التمكين، وهو السلطة والقدرة على العمل بالواجب.

٥ ـ التأييد، وهو التقوية معنوياً ومادياً.

فإنّ سلوك الطريق المعبّد لابدّ وأن يوصل الإنسان إلى المقصد ولو كان بعيداً، ومهما اكتنفت الصراط المستقيم من أشواك ومتاعب فلابّد وان تزول تلك العراقيل بالوصول إلى الهدف المنشود.

[١٠/٤٨ ـ وأمّا الأولياء أنفسهم]:

أللّهُمَّ وَاجْعَلْني مِنْ أَهْلِ التَّوْحيدِ وَالإيمانِ بِكَ، وَالتَّصْديقِ بِرَسُولِكَ وَالأَئِمَّةِ الَّذينَ حَتَمْتَ طاعَتَهُمْ مِمَّنْ يَجْري ذلِكَ بِهِ وَعَلى يَدَيْهِ [يا رَبّ][١]، آمينَ رَبَّ الْعالَمينَ[٢].

وأمّا الأولياء فهم على النقيض من أوصاف الأعداء، ويجمع الأولياء صفات مشتركة في الحياة والسلوك والمقصد، وهي:

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

(٢) لم ترد في (ق): «آمينَ رَبَّ الْعالَمينَ».

جانب ورجاء النجاة من جانب آخر، فلا يكون الحاكم في الفعل سوى إرادة الله سبحانه الحاكمة بقدرته النافذة في كل شيء من الحياة والممات.

فبما ان هذه القدرة تحيي الاموات يوم النشور فإنّ العاصي ـ الذي لعصيانه أصبح ميّتا معنوياً ـ تحت قدرته تعالى باحيائه بالنجاة؛ اذ بدونها يكون الهلاك، أي القتل صبراً بأن يترك الإنسان العاصي ونفسه محبوسا بذنوبه حتى يموت كذلك.

وقد أشار في ذيل هذا المقطع إلى آثار الفرج، ذكر منها:

١ ـ استجابة الدعاء.

٢ ـ معرفة الاجابة بظهور آثارها في الحياة الدنيا التي منها سكون النفس.

٣ ـ إذاقة طعم العافية الذي لا يعرف ذلك إلّا فاقدها بالعصيان.

٤ ـ استمرار العافية إلى منتهى الأجل، الذي يعيشه الإنسان في الحياة. وكل ذلك يستلزم أموراً، منها:

٥ ـ عدم شماتة العدوّ، وهو الشيطان، والشماتة: فرحه بالمعصية الّتي وقع الإنسان فيها.

٦ ـ عدم تمكّن العدوّ من الاستيلاء على عنق الإنسان بحيث لا يمكن التخلص منه.

٧ ـ عدم تسلّط العدوّ على الإنسان بأيّ نحو يوجب القهر والغلبة منه على إرادة الإنسان باختياره.

فإنّ هذه الآثار تكشف عن فرج الله تعالى.

[١٢/٤٨ ـ اللجأ إلى الله]:

إِلهي، إِنْ رَفَعْتَني فَمَنْ ذا الَّذي يَضَعُني[١]؟!.

---

(١) في (ق): «فمن يضعني».

عَفْوُكَ، وَلا يُجيرُ مِنْ عِقابِكَ إِلّا رَحْمَتُكَ، وَلا يُنجيني[١] مِنْكَ إِلّا التَّضَرُّعُ إِلَيْكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ[٢].

فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وَهَبْ لَنا[٣] - يا إِلهي - مِنْ لَدُنْكَ فَرَجاً بِالْقُدْرَةِ الَّتي بِها تُحْيي أَمْواتَ الْعِبادِ، وَبِها تَنْشُرُ مَيْتَ الْبِلادِ[٤].

وَلا تُهْلِكْني - يا إِلهي - غَمّاً حَتّى تَسْتَجيبَ لي، وَتُعَرِّفَني الإِجابَةَ في دُعائي، وَأَذِقْني طَعْمَ الْعافِيَةِ إِلَى مُنْتَهى أَجَلي، وَلا تُشْمِتْ بي عَدوّي، وَلا تُمَكِّنْهُ[٥] مِنْ عُنُقي، وَلا تُسَلِّطْهُ عَلَيَّ.

وفرج الله تعالى وحده هو المخرج من آثار المعاصي التي يبتلي بها العبد في حياته، ومنها:

١ - الغضب، لمخالفة العبد أوامر مولاه، ولا يردّه إلّا حلمهُ تعالى.

٢ - السخط؛ وهو شدة الغضب بالإعراض عن العاصي، ولا يردّه الّا عفوه تعالى.

٣ - العقاب؛ لاستحقاق العبد إياه بالعصيان، ولا يؤمنه إلّا رحمة الله تعالى.

فإنّ المخرج من هذه الآثار لا يكون إلّا بأضدادها من صفاته تعالى، وهي الحلم والعفو والرحمة، ولولاها لا يكون الإنسان ناجياً، ولا نجاة إلّا بالتضرّع إلى الله بالدعاء متذللاً؛ بأن يضع نفسه بين يدي الله تعالى، لاستحقاق العقاب من

---

(١) في (ق) (ت): «ولا ينجي».
(٢) لم ترد في (ق) (ت): «وبين يديك».
(٣) في (ق) (ت): «وهب لي».
(٤) في حاشية (د): «نشر ميت نشورا، من باب قعد: حيي وعاش بعد الموت، ونشره الله نشرا: أحياه. يتعدى ولا يتعدى، ويتعدى بالهمزة أيضا، يقال: أنشره الله».
(٥) في حاشية (ج): «تُمَكِّنه، تُمْكِنه - معا».

لما كانت هناك قدرة على قلبها إلى ضدها بالوضع، أي الحط من الأعلى إلى الاسفل.

٢ ـ الوضع، وهو انزال الشيء من علوّ، فلو أنزل الله الإنسان به لما كانت هناك قدرة على قلبها إلى ضدها بالرفع إلى رتبة أعلى.

٣ ـ الكرامة، وهي العظمة، فلو عظّم الله إنساناً في حياته لما أمكن لأية قدرة على قلبها إلى ضدّها بالاهانة.

٤ ـ الإهانة، وهي الاذلال، فلو أهان الله إنساناً لعصيانه لما أمكن لأية قدرة على قلبها إلى ضدّها تمكّنه من العظمة.

٥ ـ العذاب، وهو الايجاع الشديد بسبب ما صدر من العبد من المعاصي الموجبة له، وعذاب الله لا قدرة على قلبها إلى ضدّها من الرحمة.

٦ ـ الهلاك، وهو انعدام الشيء بالاستئصال بحيث لا يبقى له وجود، فلو أراد الله أن يهلك العبد العاصي بمعاصيه فلا تكون هناك قدرة يمكنها أن تعرض، أي تمنع الهلاك في حق العبد العاصي، كما لا يمكنها أن تسأل عن أمر العاصي الذي حُكم عليه بالهلاك.

فإنّ هذه الحالات تكشف عن أنه لا ملجأ سوى الله سبحانه، الذي لا قدرة ولا إرادة تفوق قدرته وارادته، فهو وحده المأمول في حصول الفرج والعفو عن العاصي، لئلا يستوجب الحكم العادل، مع الاعتراف بأمرين يستحق معهما العقاب، وهما:

١ ـ انّ حكم الله تعالى ليس فيه ظلم؛ لأن الظلم ينشأ من الحاجة، وهو ضعف، والله على كل شيء قدير.

٢ ـ أنّ نقمة الله تعالى ليس فيها عجلة، والنقمة هي الانتقام الذي يحصل بسبب التعدّي على الاحكام الإلهيّة، والعجلة انما يكون ممن يخاف الفوت، والله سبحانه الذي وهب الحياة للإنسان لا يفوته شيء من أمره.

وحيث أن الله تعالى قد ارتفع بذاته وصفاته عن صفتي الظلم والعجلة وغيرهما من صفات الجلال فهو الملجأ الوحيد في العفو.

وَإنْ وَضَعْتَني فَمَنْ ذَا[(١)] الَّذي يَرْفَعُني؟!.

وَإنْ اَكْرَمْتَني فَمَنْ ذا الَّذي يُهينُني[(٢)]؟!.

وَإنْ أَهَنْتَني فَمَنْ ذَا[(٣)] الَّذي يُكْرِمُني؟!.

وَإنْ عَذَّبْتَني فَمَنْ ذَا[(٤)] الَّذي يَرْحَمُني؟!.

وَإنْ أَهْلَكْتَني فَمَنْ ذَا[(٥)] الَّذي يَعْرِضُ[(٦)] لَكَ في عَبْدِكَ[(٧)] أَوْ يَسْأَلُكَ عَنْ أَمْرِهِ؟!.

وَقَدْ عَلِمْتُ[(٨)] أَنَّهُ لَيْسَ في حُكْمِكَ ظُلْمٌ، وَلا في نَقِمَتِكَ عَجَلَةٌ، وَإنَّما[(٩)] يَعْجَلُ مَنْ يَخافُ الْفَوْتَ، وَإنَّما يَحْتاجُ إلَى الظُّلْمِ الضَّعيفُ، وَقَدْ تَعالَيْتَ ـ يا إلٰهي ـ عَنْ ذلِكَ[(١٠)] عُلُوّاً كَبيراً.

وقد تضمّن هذا المقطع الإشارة إلى حالات للداعي من الخير والشرّ، لو حصلت له، فإنّه لا يمكن نقضها إلّا من الله سبحانه، وقد أشار منها إلى:

١ ـ الرفعة، وهي المنزلة والقربة إلى الله سبحانه، ولو تكرّم بها الله للإنسان

---

(١) لم ترد في (ت): «ذا».

(٢) لم ترد في (ق) (ت) عبارة: «وَإنْ اَكْرَمْتَني فَمَنْ ذا الَّذي يُهينُني».

(٣) لم ترد في (ت): «ذا».

(٤) لم ترد في (ت): «ذا».

(٥) لم ترد في (ت): «ذا».

(٦) في حاشية (ج): «يعرِض، يعرَض ـ معا».

(٧) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «الَّذي يَعْرِّضُ لَكَ عَنْدِكَ»، وفي حاشية (د): «عرض له في أمره عرضا، من باب ضرب: تعرض له فمنعه باعتراضه أن يبلغ مراده. من الشرح». (رياض السالكين ٧: ٣٣٥).

(٨) في (ق): «وعلمت»، بدون: «قد».

(٩) في (ق) (ت): «إنما»، بدون «واو».

(١٠) لم ترد في (ق): «عن ذلك».

وَأَسْتَنْصِرُكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآله[١] وَانْصُرْني.

وَأَسْتَرْحِمُكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[٢] وَارْحَمْني[٣].

وَأَسْتَنْصِرُكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[٤] وَانصرني.

وَاَسْتَكْفيكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[٥] وَاكْفِني.

وَاَسْتَرْزِقُكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[٦] وَارْزُقْني.

وَاَسْتَعينُكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاَعِنّي.

وَاسْتَغْفِرُكَ لِما سَلَفَ مِنْ ذُنُوبي[٧]، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[٨] وَاغْفِرْ لي.

وَاَسْتَعْصِمُكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاعْصِمْني، فَإِنّي لَنْ اَعودَ لِشَيْءٍ كَرِهْتَهُ مِنّي[٩] إِنْ شِئْتَ ذلِكَ.

وخصّ هذا المقطع بحاجات خاصة يفتقر كل إنسان في حياته إلى ان يتوجه إلى الله لقضائها، وقد تكرر ذكر الصلوات على محمد وآله في أغلبها، للنصوص الكثيرة الدالة على استجابة الدعاء المقرون بالصلوات، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «إذا كانت لك إلى الله حاجة أن تبدأ بمسألة الصلاة على

---

(١) في (ق) (ت): «وآل محمد».
(٢) في (ق) (ت): «وآل محمد».
(٣) في (ق) زيادة: «وَأَسْتَنصركَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ محمد وَانصرني».
(٤) في (ق) (ت): «وآل محمد».
(٥) في (ق) (ت): «وآل محمد».
(٦) في (ق) (ت): «وآل محمد».
(٧) لم ترد في (ق) عبارة: «لِما سَلَفَ مِنْ ذُنُوبي».
(٨) في (ق): «وآل محمد».
(٩) في (ق) (ت): «لشيء تكرهه».

[١٣/٤٨ ـ حاجات خاصة]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ(١)، وَلا تَجْعَلْني لِلْبَلاءِ غَرَضاً، وَلا لِنَقِمَتِكَ نَصَباً، وَمَهِّلْني، وَنَفِّسْني(٢)، وَأَقِلْني عَثْرَتي، وَلا تَبْتَلِيَنِّي(٣) بِبَلاءٍ عَلى إِثْرِ بَلآءٍ، فَقَدْ(٤) تَرى ضَعْفي، وَقِلَّةَ حيلَتي، وَتَضَرُّعي إِلَيْكَ.

أَعُوذُ بِكَ ـ أللّهُمَّ(٥) ـ الْيَوْمَ مِنْ غَضَبِكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَأَعِذْني.

وَأَسْتَجيرُ بِكَ الْيَوْمَ(٦) مِنْ سَخَطِكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ(٧) وَأَجِرْني.

وَأَسْأَلُكَ أَمْناً مِنْ عَذابِكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ(٨) وَآمِنّي.

وَأَسْتَهْديكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ(٩) وَأهدِني.

---

(١) في (ق): «وآله»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «وآله».

(٢) نفّس له في الأمر: وسّع وفسح، من النفس ـ بالتحريك ـ: بمعنى السعة والفسحة في الأمر، يقال: أنت في نفسٍ من أمركـ، أي سعةٍ وفسحةٍ، وعدّي «نفّسني» بنفسه، وهو انّما يتعدّى باللام، لتضمينه معنى «أنظرني». (رياض السالكين ٧: ٢٢٨).

(٣) في (ق): «ولا تبتلني»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «ولا تبتلني».

(٤) في (ق): «وقد».

(٥) في (ق) (ت): «إلهي».

(٦) لم ترد في (ق): «اليوم».

(٧) في (ق): «وآل محمد»، وعبارة: «وَأَعِذْني. وَأَسْتَجيرُ بِكَ الْيَوْمَ مِنْ سَخَطِكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ» ساقطة من (ت).

(٨) في (ق) (ت): «وآل محمد».

(٩) في (ق) (ت): «وآل محمد».

١٣ ـ الكفاية، وهي ما تبلغ الحاجة للإنسان.

١٤ ـ الرزق، وهو العطاء الجاري.

١٥ ـ العون بالمساعدة على ما يُفتقر إليه في الحياة.

١٦ ـ المغفرة لما سلف من الذنوب بعد الوقوع فيها في الماضي.

١٧ ـ العصمة من الذنوب في المستقبل باجتنابها.

وقد علّل هذه الحاجة الأخيرة خاصة بأنّ الله سبحانه لا يحصن الإنسان بالعصمة إلّا من اصطفاه؛ لأن العصمة ملكة في الإنسان لا تحصل إلّا بالفناء في طاعة الرحمن والتقرّب إليه بحيث تصبح له طبيعة ثانوية؛ فأمرها بيد الله سبحانه ولا عصمة إلّا لمن عصمه الله.

وأما سائر الحاجات الخاصة المذكورة فهي في متناول جميع العباد، بل الخلق أجمعين، كلٌّ حسب استعداده وقابليته، ولايتوقف على الملكة.

[١٤/٤٨ ـ والحاجة العامة]:

يا رَبِّ، يا رَبِّ[١]، يا حَنّانُ، يا مَنّانُ، يا ذَا الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ[٢]، وَاسْتَجِبْ لي جَميعَ ما سَأَلْتُكَ وَطَلَبْتُ إِلَيْكَ، وَرَغِبْتُ فيهِ إِلَيْكَ، وَأَرِدْهُ، وَقَدِّرْهُ، وَاقْضِهِ، وَأَمْضِهِ، وَخِرْ لي فيما تَقْضي مِنْهُ، وَبارِكْ لي[٣] في ذلِكَ، وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ بِهِ، وَأَسْعِدْني بِما تُعْطيني مِنْهُ، وَزِدْني مِنْ فَضْلِكَ وَسَعَةِ ما عِنْدَكَ، فَإِنَّكَ واسِعٌ كَريمٌ، وَصِلْ ذلِكَ بِخَيْرِ[٤] الْآخِرَةِ وَنَعيمِها، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ.

---

(١) في (ج) في نسخة: «يا ربّي، يا ربّي»، وفي (ق) (ت) وردت: «يا ربّ» مرة واحدة.

(٢) في (ق) (ت): «وآل محمد».

(٣) لم ترد في (ق) (ت): «لي».

(٤) في (ت): «بذلك خير الدنيا و».

النبيّ ﷺ ثم سل حاجتك، فإنّ الله أكرم من أن يُسأل حاجتين، فيقضي أحدهما ويمنع الأُخرى»[١].

وسرد من هذه الحاجات الخاصة ما يلي:

١ ـ (لا تجعلني للبلاء غرضاً) والبلاء هو الامتحان، والغرض: الهدف؛ فإنّ البلاء بالامتحان تشويش للبال.

٢ ـ (ولا لنقمتك نصباً) والنقمة: الانتقام؛ لاستحقاق العاصي ذلك، والنصب: العَلَمْ والغاية، أي أن يكون الإنسان مقصداً لها.

٣ ـ المهلة، وهي الإنظار بتأخير الطلب؛ فإنّ في ذلك فرج بالقدرة على التوبة.

٤ ـ التنفيس، وهو الفسحة في الأمر ليتمكن الإنسان بذلك من الرجوع إلى الله بالتفكّر الصائب.

٥ ـ إقالة العثرة، والعثرة: الزلة، واقالتها: التجاوز عنها.

٦ ـ عدم البلاء بعد البلاء؛ فإنّ الامتحان في اصله مشقة، فكيف بتكراره مرة بعد أُخرى.

وقد علل هذه النقاط الست بما هو ملازم لحالة العاصي، وذكر من ذلك: الضعف وقلّة الحيلة، أي الوسيلة. والتضرع؛ فإنّ كلا منها تستحق هذه النقاط.

٧ ـ الاستعاذة من غضب الله تعالى، والاستعاذة: الاعتصام بالله تعالى من ذلك.

٨ ـ الاجارة من سخط الله تعالى، والسخط: أشدّ الغضب، والاستجارة: طلب الحفظ.

٩ ـ الأمن من العذاب، وفي ذلك طمأنينة النفس.

١٠ ـ الهداية إلى الصواب، والثبات عليه.

١١ ـ النصر بالغلبة على الشيطان ووساوسه.

١٢ ـ الرحمة في الدنيا والآخرة.

---

(١) راجع: نهج البلاغة، الحكمة: ٣٦١.

وهذه باجمال تجمع آثار الدنيا والآخرة لاستجابة جميع ما سأله الإنسان الداعي من الحاجات العامة في الدارين.

ولقد ختم الدعاء بقوله عليه السلام: «يا أرحم الراحمين» إشارة إلى ان ما يقتضي استجابة الدعاء إنما هو رحمة الله الواسعة على العباد، وليس استحقاق العبد لذلك؛ فإنّ المعاصي موجبة للعقاب، وللمعاصي درجات؛ فإنّ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين[١]. فمهما تقرّب العبد إلى الله سبحانه بالطاعات فإنّه لا يمكنه أداء ما عليه من الواجبات تجاه الذات المقدسة.

[١٥/٤٨ ـ ملاحظة]:

ثُمَّ تَدْعُو بِما بَدا لَكَ وَ تُصَلِّي[٢] عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[٣] اَلْفَ مَرَّة. هكَذا كانَ يَفْعَلُ عليه السلام[٤].

هذا ما جاء في ذيل الدعاء، وحيث ان هذا الذيل ليس في رواية ابن مالك، ولا في رواية المطهري فهي من مختصات رواية ابن الاعلم، وليس من كلام الإمام عليه السلام لقوله: «هكذا كان يفعل عليه السلام»، فإنّ هذا الوصف امّا قيد لقوله: «وتصلّي على محمد وآله الف مرة» خاصة، أو له ولما سبقه من قوله: «ثم تدعو بما بدا لك» كما هو الظاهر.

ويؤيد ما استظهرناه: اختلاف النسخ في هذا الذيل اختلافاً فاحشاً؛ فقد قال الشارح المدني: «ووقع في نسخة قديمة: ويصلي على محمد وآله أربعين مرة، بدل ألف مرة. وفي نسخة أُخرى: وتصلي ركعتين وتصلى على محمد وآل محمد ألف ألف مرة.

---

(١) انظر: بحار الأنوار ٢٥: ٣٠٤.

(٢) في (ق): «وصلّ»، وفي (ق): «فصلّ».

(٣) في (ق): «وآل محمد».

(٤) لم يرد هذا المقطع في (ك) (س)، وفي (ج) (د) زيادة مكررة، ونصها: «وَتُصَلّي ركعتين وتصلي عَلى مُحَمَّد وَآلِ محمد صلى الله عليه وآلِهِ وسلم تسليما اَلْفَ مَرَّة. هكَذا كانَ يَفْعَلُ عليه السلام». انتهى،

وقد ختم الدعاء بحاجات عامة يقتضي استجابتها الصفات الإلهيّة، وقد عدد منها:

١ ـ الربوبية؛ فإنّ الرب تعالى هو الذي يمنّ على العبد بما يصلح حاله في الدنيا والآخرة.

٢ ـ الحنّان، وهو الكثير الرحمة والعطف.

٣ ـ المنان، وهو المعطي بلا عوض.

٤ ـ ذو الجلال، وهو العظمة.

٥ ـ ذو الاكرام، وهو الفضل التام.

فإنّ هذه الصفات للذات المقدسة تقتضي قضاء الحاجات العامة للإنسان الضعيف باستجابة جميع ما سأله الإنسان وطلب ورغب فيها، معترفاً بانه لا ملجأ في استجابه ذلك إلّا الله سبحانه بارادته تعالى، ثم تقديره، ثم قضائه، ثم إمضائه في من سلسلة مترابطة.

والإرادة: هي العزم على ما يشاء. والتقدير: تحديد كل مخلوق بحدّه المشخص له. والقضاء: الحكم بوجود القدر. والامضاء: انفاذ الحكم، وكل ذلك في سلسلة مترابطة يتوقف التالي فيها على ما قبله، وتبتدئ بالإرادة وتنتهي بالامضاء.

وتستلزم استجابة جميع ما سأله الإنسان الآثار التالية:

١ ـ الخير فيما فيه القضاء.

٢ ـ البركة، أي ثبوت الخير.

٣ ـ الفضل، وهي الزيادة على الأجر.

٤ ـ السعادة، بنيل الخير غير مشوب بمكروه.

٥ ـ الزيادة من الفضل بأنواعها من الصحة والسلامة والتوفيق وغيرها؛ فإنّ الله واسع لا يضيق عليه شيء، وكريم لا ينفذ عطاؤه.

٦ ـ استمرار ذلك في الحياة الدنيا حتى تتصل بخير الآخرة.

٧ ـ خير الآخرة ونعيمها، وخيرها: الجنة، ونعيمها: ما يتنعم به فيها.

[الدعاء التاسع والأربعون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في دفاع كيد الأعداء وردّ بأسهم[1]

[١/٤٩ ـ دفاع كيد الأعداء]:

إِلهي، هَدَيْتَني فَلَهَوْتُ، وَوَعَظْتَ فَقَسَوْتُ، وَأَبْلَيْتَ[2] الْجَميلَ فَعَصَيْتُ، ثُمَّ عَرفت ما أَصْدَرْت[3] إِذْ عَرَّفْتَنيهِ فَأَسْتَغْفَرْتُ، فَأَقَلْتَ[4]، فَعُدْتُ، فَسَتَرْتَ، فَلَكَ ـ إِلهي[5] ـ الْحَمْدُ[6].

[إِلهي][7] تَقَحَّمْتُ[8] أَوْدِيَةَ الهَلاك[9]، وَحَلَلْتُ

---

(١) ورد هذا الدعاء في ملحق (ك) برقم (٥٠) بنفس العنوان، وفي (ج) بعنوان: «التاسع والأربعون: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في دفاع كيد الأعداء وردّ بأسهم»، وفي (ت) بعنوان: (التاسع والأربعون) وتحته عنوان: «في دفع كيد الأعداء»، وفي (ق) بعنوان (الخامس والأربعون) وتحته عنوان: «في دفع كيد الأعداء»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٤٩)، بعنوان: «دُعاؤُهُ في دفاع كيد الأعداءِ».

(٢) في حاشية (ج) في نسخة: «أوليت».

(٣) في حاشية (د): «ما أصدرتَ ـ س».

(٤) في (ق) العبارة هكذا: «وَأَقَلْتَ».

(٥) لم ترد في (ق) (ت): «إلهي».

(٦) في (ش) العبارة هكذا: «وَعَرَفْت فأَصْرَرْت ثمّ عَرفْته، فَاسْتَغْفَرْتُ وَأَقَلْتَ، فَعُدْتُ فَسَتَرْتَ، فَلَكَ الْحَمْدُ إِلهي»، وفي ملحق (ك) العبارة هكذا: «ثُمَّ عَرَّفْت ما أَصْرَرْت إذْ عَرَّفْتَنيهِ، فَاسْتَغْفَرْتُ وَأَقَلْتَ، فَعُدْتُ فَسَتَرْتَ، فَلَكَ الْحَمْدُ إِلهي».

(٧) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

(٨) في (س): «تقحيم النفس في الشيء: ادخالها من غير رويّة. وتقحمت [به]: أوردته الهلاك». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٩).

(٩) في (ت) وملحق (ك) العبارة هكذا: «تَقَحَّمْتُ أَوْدِيَةَ هَلاك».

وفي بعض النسخ: وتصلي على محمد وآل محمد، من غير تقييد بعدد مّا».

فإنّ هذا الاختلاف يكشف عن أنّ ما في الذيل لم يكن في الاصل، فاجتهد كل ناسخ أو راو بما أفاد، والله العالم.

٤ ـ المعرفة للذي أصدره الإنسان، أي أوقعه من المعاصي المستحقة للتوبة، وقد قابلها بالاستغفار.

٥ ـ الإقالة، وهي دفع الإنسان عمّا وقع فيه من الذنوب بالعفو والمسامحة، وقد قابلها بالعود أي الرجوع إلى العصيان.

٦ ـ الستر على ما صدر منه من المعاصي والعود اليها، بالرغم من استحقاق الاعلان.

وهذه الأسباب توجب الحمد على الإنسان حيث لم يقابلها الله بما يلزم منها سوى الإقالة.

وعن حال الداعي أشار إلى ما يستوجب بها العقاب، وهي:

١ ـ تقحّم أودية الهلاك، أي الدخول في الوادي الذي هو في معرض السيل الجارف المهلك، وذلك بارتكاب المعاصي المحظورة شرعاً.

٢ ـ حلول شعاب التلف، أي النزول في طرق التلف؛ فإنّ المعاصي تسبب تلف الإنسان روحياً.

٣ ـ التعرّض فيها للسطوة، فإنّ في السلوك كذلك عملا، يكون الإنسان قد جعل نفسه نصباً للتلف، وفي معرض السطوة، وهي شدة الغضب.

٤ ـ العقوبات المقدّرة من الله بحلول هذه الأودية والشعاب والسلوك في الطرق الممنوعة شرعاً.

وعن حالة الوعي المتعقّب للعصيان أشار إلى ما يوجب العطف بشرط بعض الأسباب، وهي:

١ ـ التوحيد في الحال، والوعي بأن الله سبحانه بيده الخير والعفو دون سواه، وهو بداية الصلة الحقيقية في التوبة.

٢ ـ عدم الشرك في الماضي؛ فإنّ المعاصي إنّما صدرت عن جهل الإنسان ولم تكن عن شرك، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1] ومن لم يصدر منه شرك، فهو حقيق بالمغفرة.

---

(١) القرآن الكريم، سورة النساء ٤ : ٤٨.

شِعابَ[١] تَلَفٍ، تَعَرَّضْتُ فيها لِسَطَواتِكَ[٢]، وَبِحُلُولِها عُقُوباتِكَ[٣]، وَوَسيلَتي إِلَيْكَ التَّوْحيدُ، وَذَرِيعَتي: أَنّي لَمْ أُشْرِكْ بِكَ شَيْئاً، وَلَمْ أَتَّخِذْ مَعَكَ إلهاً. وقَدْ فَرَرْتُ إِلَيْكَ بِنَفْسي[٤]، وَإِلَيْكَ مَفَرُّ[٥] الْمُسيءِ، وَمَفْزَعُ الْمُضَيِّعِ لِحَظِّ[٦] نَفْسِهِ، الْمُلْتَجِئِ[٧].

استفتح الدعاء بهذا المقطع الذي يتضمن الحمد لله تعالى وبيان الأسباب الموجبة لذلك، ثم عقّب ذلك ببيان حال الداعي على أثر السلوك في أودية الهلاك، ثم الوعي المتعقب الذي يوجب اللجوء إلى الله سبحانه.

والأسباب الموجبة للحمد كثيرة، وقد سرد منها ما لم يقدّره الإنسان غالباً في حياته، والله سبحانه استمر في التفضل بتلك الأسباب بالرغم من اهمال الإنسان الاعتبار بها غالباً، والأسباب المذكورة هي:

١ ـ الهداية، وهي الدلالة على طريق الصواب في الحياة، ولم يعتبر بها الإنسان، بل قابلها باللهو، وهو الاشتغال بما لا ينفع.

٢ ـ الوعظ، وهو التذكير بالخير والزجر عن الشرّ، وقابلها الإنسان بالإعراض وعدم التأثر بالمواعظ.

٣ ـ العطاء الجميل بلاءً، أي امتحاناً للإنسان، وقابله بالعصيان والخروج عن الطاعة.

---

(١) في حاشية (د) و(س): «الشِعب ـ بالكسر ـ: الطريق في الجبل، والجمع: الشِعاب». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٩).

(٢) في (ت): «بسطواتك».

(٣) في (ش) العبارة هكذا: «وَتحَلَلْتُ شِعابَ تَلَف، تَعَرَّضْتُ فيها لِسَطَواتِكَ، فاستحققت بها حُلول عُقُوباتِكَ».

(٤) في (ش) العبارة هكذا: «من نفسي».

(٥) في (ت): «مقرّ».

(٦) في (ق) وملحق (ك): «حظّ».

(٧) في (ش) العبارة هكذا: «وَمَفْزَعُ الْمَضيِّعِ لحَظّ نَفْسِهِ، فلك الحمد إلهي».

وَسَدَّدَ[١] نَحْوي صَوائِبَ سِهامِهِ[٢]، وَلَمْ تَنَمْ[٣] عَنّي عَيْنُ حِراسَتِهِ، وَأَضْمَرَ أَنْ يَسُومَني الْمَكْرُوهَ، ويُجَرِّعَني زُعاقَ[٤] مَرارَتِهِ، فَنَظَرْتَ - يا إلهي - إِلَى[٥] ضَعْفي عَنِ احْتِمالِ الْفَوادِحِ، وَعَجْزي عَنِ الانْتِصارِ[٦] مِمَّنْ قَصَدَني بِمُحارَبَتِهِ[٧]، وَوَحْدَتي[٨] في كَثيرِ عَدَدِ[٩] مَنْ ناوَأَني[١٠]، وَأَرْصَدَ[١١] لي بِالْبَلاءِ[١٢] فيما لَمْ أُعْمِلْ فيهِ فِكْري، فَأَبْتَدَأْتَني بِنَصْرِكَ[١٣]، وَشَدَدْتَ أَزْري[١٤] بِقُوَّتِكَ، ثُمَّ فَلَلْتَ

---

(١) في حاشية (د): «وسدد سهامه: اذا وجهها نحو المرمى».

(٢) في حاشية (د)، وفي (س): «المسدّد: المقوّم، وسدّد رمحه، هو خلاف قولك: عرّضه. وسدّد سهامه: إذا وجّهها نحو المرمى. س». (حاشية ابن إدريس: ٣١٠)..

(٣) في (ت): «يَنِمْ».

(٤) في (ت): «ذُعاف»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «ذعاف»، وفي حاشية (د): «الزعاق: الملح. والطعام المزعوق: اذا كثر ملحه»، والعبارة في (ق) هكذا: «وَاَضمرَ اَنْ يَسُومَني الْمَكْرُوهَ، ويجرعني ذعاف»، وفي (ش): «وَاَظهرَ اَنْ يَسُومَني الْمَكْرُوهَ، ويجرعني ذعاف»، وفي ملحق (ك): «وَاَضمَرَ اَنْ يَسُومَني الْمَكْرُوهَ، ويجرعني زعاف»، وفي (س): «الزُعاق: الملح، وطعام مزعوق: إذا كثر ملحه». (حاشية ابن إدريس: ٣١٠).

(٥) لم ترد في (ت): «إلى».

(٦) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «الانتظار».

(٧) في (ت): «محاربته».

(٨) في (ت): «ووحّدني»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «ووحّد لي».

(٩) في (ت): «عن».

(١٠) في (ق) العبارة هكذا: «وَوَحْدَتي في كَثيرٍ عِندَ مَنْ ناوَاَني»، وفي (ش): «وَوَحّدَتني في كَثيرِ من أمري عندَ مَنْ ناوَاَني»، وفي ملحق (ك): «وَوَحْدَتي في كَثيرِ عدَدَ مَنْ ناوَاَني»، وفي (ت): «وَوَحّدني في كَثيرِ عنَ مَنْ ناوَاَني».

(١١) في (س) وحاشية (د): «أرصدت له: أعددت له». (حاشية ابن إدريس: ٣١٠).

(١٢) في (ت): «البلاء»، وفي (ش) (ق) وحاشية (ج): «البلاء - س»، وفي ملحق (ك): «وأَرْصَدَ لي البلاء».

(١٣) في (ش) (ت) وملحق (ك): «فأيدتني بنصرك».

(١٤) في حاشية (ج): «أي عوني».

٣ ـ الفرار بالنفس إلى الله، وهذا من آثار التوحيد كما أمر الله تعالى بقوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[١].

وهذه الحالات تقتضي العطف الإلهي بالعفو، كما تقتضيه صفات الذات المقدسة، التي منها أنه تعالى هو:

١ ـ مفرّ المسيء، حيث لا مفرّ للمسيء يفرّ إليه سواه تعالى.

٢ ـ مفزع المضيّع، حيث لا مفزع أي لا ملجا يتوجّه اليه المضيّع لحظّه ونصيبه سواه تعالى.

٣ ـ الملجأ للملتجي، حيث لا ملجأ، أي لا معتصم يعتصم به من يريد الاعتصام سواه تعالى.

وهذه الصفات المقدسة تستوجب العطف على حالة الداعي المسيء المضيّع الملتجئ.

[٢/٤٩ ـ إرغام العدوّ]:

فَكَمْ مِنْ عَدُوّ انْتَضى[٢] عَلَيَّ سيْفَ[٣] عَداوَتِهِ، وَشَحَذَ لي ظُبَةَ[٤] مُدْيَتِهِ[٥]، وَأَرْهَفَ[٦] لي شَبا حَدِّهِ[٧]، وداف[٨] لي قَواتِلَ سُمُومِهِ[٩]،

---

(١) القرآن الكريم، سورة الذاريات ٥١: ٥٠.

(٢) في (س): «نضا سيفه وانتضاه: سلّهُ». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٩).

(٣) في (ت) وملحق (ك): «بكشف».

(٤) في في حاشية (د) (س): «ظبّة السهم: طرفه. وظبة الشيء: حدُّه. س». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٩).

(٥) في حاشية (د)و (س): «المُدية بالضم: الشفرة». (حاشية ابن إدريس: ٣١٠).

(٦) في حاشية (د) و(س): «أرهفت سيفي: أي رققته». (حاشية ابن إدريس: ٣١٠).

(٧) في حاشية (د)، وفي (س): «شباة كلّ شيء: حدّ طرفيه، والجمع: الشّبا». (حاشية ابن إدريس: ٣١٠).

(٨) في حاشية (ج): «أي مزج»، وفي (س): «دُفت الدواء وغيره، أي بللته بماء أو بغيره، لأجل الشرب. س». (حاشية ابن إدريس: ٣١٠).

(٩) في (ش) العبارة هكذا: «قواتل سمّه».

٣ ـ إرهاف شبا الحدّ، والارهاف: الترقيق. وشبا الحد: طرف السيف والسنان، أي طرفه المحدّد، ويتّم ذلك بالحرب النفسية.

٤ ـ دوف السموم القاتلة. والدوف: خلط السمّ بالماء ليستخدم للقتل، ويكون هذا بمعنى استخدام الوسائل السرية في الحرب.

٥ ـ تسديد السهام الصائبة، أي توجيهها للهدف المحدّد من دون خطأ في الإصابة بإشاعة الشائعات والدعايات.

٦ ـ وضع عين الحراسة بالمراقبة المستمرّة ليلا ونهاراً من دون تخلل النوم بأنواع التجسّس المتيسّرة.

٧ ـ إضمار المكروه، أي العزم على الشرّ، وهو الذهاب في ابتغاء الشيء المكروه من الشرور بالتخطيط السرّي المستقل.

٨ ـ تجريع زعاق المرارة، أي تجرّع الإنسان المعتدى عليه واكراه العدوّ له على ان يشرب الماء المرّ بتكرار؛ تعذيباً للإنسان بما لا يطيق من التعذيب الجسدي.

وهذه الحالات من أنواع التعذيب النفسي والجسدي هي بعض ما يستخدمها العدوّ لتركيع من لا يخضع لحكمه.

ومن حالات الإنسان عادة:

١ ـ الضعف عن احتمال الفوادح. والفادحة: الخطب الغالب على الإنسان مما لا يتحمّله عادة.

٢ ـ العجز عن الانتصار على العدو الذي لا يتورّع عن استخدام أية وسيلة في تحقيق مآربه.

٣ ـ الوحدة والانفراد امام العدوّ الغاشم، حيث يتنكّر الاصدقاء له حينما يقع الإنسان في الشدة، والكل يتبرّأ منه.

٤ ـ كثرة المناوئين عدداً حيث يتعاونون مع الظالم المنتصر، ظناً بالسلامة من ظلمه إياهم، فيتعاونون (في إرصاد البلاء له)، أي إعدائِهِ على المعتدَى عليه بالدلالة عليه أو على نقاط الضعف فيه.

لي(١) حَدَّهُ(٢)، وَصَيَّرْتَهُ - مِنْ بَعْدِ جَمْعٍ عَديدٍ - وَحْدَهُ، وَأَعْلَيْتَ كَعْبِيَ عَلَيْهِ(٣)، وَجَعَلْتَ ما سَدَّدَهُ مَرْدُوداً علَيْهِ(٤)، فَرَدَدْتَهُ لَمْ يَشْفِ غَيْظَهُ، وَلَمْ يَسْكُنْ غَليلُهُ(٥)، قَدْ عَضَّ على(٦) شَواهُ(٧)، وَأَدْبَرَ مُوَلِّياً قَدْ أَخْلَفَتْ(٨) سَراياهُ(٩).

وفي هذا المقطع إشارة إلى بعض حالات العدوّ وخططه، ثم حالات الإنسان في مواجهته، ثم نصر الله الغالب بإرغام العدوّ.

ومن حالات العدوّ استخدام وسائل التعذيب النفسي والجسدي، الّتي منها:

١ - تجريد السيف للحرب، وانتضاء السيف: تجريده من غمده ليستخدم في المواجهة بإعلان العداوة.

٢ - شحذ الظبة، وهي حدّ السيف والسكين، والشحذ: الإحداد، والمدية: السكين العريض، وذلك باعداد وسائل الحرب.

---

(١) في (ت): «ثم قللت»، ولم ترد في (ق) وملحق (ك): «لي».
(٢) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «عددهُ».
(٣) لم ترد في (ش) وملحق (ك): «عليه».
(٤) في (ق) (ش) (ت) وملحق (ك): «إليه».
(٥) في (ش) العبارة هكذا: «فَرَدَدْتَهُ لَمْ يَشْفِ غليلهُ، وَلَمْ يَبْرد حرارة غيوظه»، وفي حاشية (د): «الغلة: حرارة العطش، وكذلك الغليل، والغليل: الضغن والحسد»، وفي (س): «الغلة: حرارة العطش، وكذلك الغليل، والغليل: الضغن والحقد مثل الغُلّ». (حاشية ابن إدريس: ٣١٠).
(٦) في (ت) وملحق (ك): «عليّ».
(٧) في حاشية (د) و(س): «الشَوىَ: جمع مشواة، وهي جلدة الرأس، والشَوَى: اليدان والرجلان والرأس من الآدميين، يقال: رماه فأشواه، إذا لم يصب المقتل». (حاشية ابن إدريس: ٣١١).
(٨) في (ت): «أحلفت»، وفي (ش): «أخفقت».
(٩) في حاشية (د)و (س): «السّرية: قطعة من الجيش، والجمع: سرايا». (حاشية ابن إدريس: ٣١١).

٢ ـ لم يسكن غليله، والغليل: العطش، فيكون متعطشا للإجرام من دون ان يتمكن منه.

٣ ـ عضّ على شواه، والشوى: الأطراف من اليدين والرجلين وعظّها بالأسنان تعبير عن شدّة الأسف النفسي للظالم.

٤ ـ أدبر مولّياً، أي رجع هارباً من المواجهة لعلمه بتوفر الدرجة العالية من روح المقاومة في سبيل الحق عند المقاومين المؤمنين.

٥ ـ أخلفت سراياه. والسرية: الطائفة من الجيش، واما خُلفها فهو بفشل مخططاتها بخسران المعركة، كما هو الحال في كل معركة بين الجيش المادي والجيش العقائدي المؤمن بإحدى الحسنيين.

[٣/٤٩ ـ قمع البغاة]:

وَكَمْ مِنْ باغٍ بَغاني بِمَكائِدِهِ(١)، وَنَصَبَ لي شَرَكَ مَصائِدِهِ، وَوَكَّلَ بي تَفَقُّدَ رِعايَتِهِ، وَأَضْبَأَ إلَيَّ إضْباءَ(٢) السَّبُعِ لِطَريدَتِهِ، انْتِظاراً لِانْتِهازِ(٣) الْفُرْصَةِ(٤) لِفَريسَتِهِ، وَهُوَ يُظْهِرُ لي(٥) بَشاشَةَ الْمَلَقِ(٦)، وَيَنْظُرُني(٧) عَلى شِدَّةِ الحَنَقِ(٨).

---

(١) في (ش): «بمكايده».

(٢) في (ش) العبارة هكذا: «وَأضبئ إلَيّ إضباء»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «وضبأ إلي ضَبء»، وفي (س): «أضبأت على الشيء: أشرفت عليه لأن أظفر به». (حاشية ابن إدريس: ٣١١).

(٣) في حاشية (ج): «أي اغتنام»، وفي (س): «النُهزة: الفرصة، وانتهزتها: إذا اغتنمتها». (حاشية ابن إدريس: ٣١١).

(٤) لم ترد في (ق) (ت): «الفرصة».
وفي (س): «الطريدة: ما طردت من صيدٍ وغيره». (حاشية ابن إدريس: ٣١١).

(٥) لم ترد في (ق): «لي».

(٦) في (س) وحاشية (د): «المَلَق: الودّ واللطف الشديد، والمَلِق: صاحب الود واللطف». (حاشية ابن إدريس: ٣١١).

(٧) في (ق) (ت): «ويبطن عليّ».

(٨) في (س): «الحنق: الغيظ». (حاشية ابن إدريس: ٣١١).

٥ ـ البلاء المفاجي من هؤلاء الأعداء الكثيرين عدداً بخططهم الجهنّمية الّتي لا يمكن أن يتجّنبها الإنسان ولم تحصن بتفكير مسبق لاحباطها أو التوقّي منها.

وهذه الحالات عادة تكون للإنسان المجرّد عن الاعتقاد بنصر الله تعالى، دون المؤمن بالنصر منه تعالى؛ فإنّ من حالات الإنسان المؤمن التحصّن الروحي، وذلك بالإيمان بأن الله تعالى ينصر من نصره عاجلا أم آجلا:

١ ـ بتأييد الهدف الذي من اجله يستمر الإنسان في مقاومة الباطل.

٢ ـ بشدّ الأزر، أي القوّة على المقاومة العادلة.

٣ ـ بفلّ الحدّ، أي أن الله تعالى يكشف الدعايات الباطلة، ويحقق تفكك القوة الغاشمة[1].

٤ ـ بتخذيل العدوّ، بتجميد موارده الماديّة الّتي يوجب له التفوّق العسكري، ويصرف المرتزقة عنه حتى يصبح العدوّ وحيداً.

٥ ـ اعلاء صوت المعتدى عليه. وعلوّ الكعب كناية عن الظفر والشرف.

٦ ـ وقوع العدوّ في الفخّ الذي أعدّه وحفره لغيره؛ بأن تكون السهام مردودة عليه.

والتاريخ يشهد بأن الذين يعتدون على الآخرين بأنواع التعذيب النفسي والجسدي لابدّ وأن يصطلوا بذلك في حياتهم قبل مماتهم، كما لا يخفى على من درس موارد الاعتبار في التاريخ.

والنتيجة الحتمية بمقارنة هذه الحالات الثلاث ـ آجلا أم عاجلا ـ هو أن الخاسر يكون المعتدي، حيث يلقى به وباسمه في سلة المهملات ومزبلة التاريخ، سواءً في حياته أو بعد مماته، وتصح فيه الأوصاف التالية:

١ ـ لم يشف غيظه، فإنّه لم يبرأ من داء الغيظ الذي هو مرض نفسيّ ملازم له ما دام حياً.

---

(١) في مجمع البحرين، للشيخ فخر الدين الطريحي ٥: ٤٤٥، ما نصه: الفل بالفتح واحد فلول السيف وهي كسور في حده. والفلة مثله. وفللت الجيش من باب قتل: كسرته وهزمته. انتهى. والتَّفْليلُ: تفَلُّلٌ في حدِّ السِّكِّين، وفي غروبِ الأسنانِ، وفي السَّيفِ. و «الفل» بفتح الفاء: القوم المنهزمون. وهو كناية عن كسر قوة العدوّ.

٢ ـ شرك المصيدة. والشرك: حبل الصائد، فينصب الباغي الحبائل لإيقاع الإنسان في الفخ محاطاً بالعيون، بحيث لا يمكنه الانفلات منها.

٣ ـ الرقابة بالتجسّس على تحرّكات الإنسان، بأن يوكل من يقوم بدور التفقد، أي الطلب في مظانه للرعاية، أي الرقابة.

٤ ـ السرّية في الحركة، فيكون كالحيوان المفترس المطارد للفريسة، فإنّه يحاول الاستتار بإلصاق بدنه بالأرض، وهو المعبرّ عنه بالانضباء.

٥ ـ الانتهازية، فهو ينتظر ـ مهما طال الزمن ـ لانتهار الفرصة للبغي كما ينتظر الحيوان المفترس للفريسة حين يطاردها، فلا يحكم الباغي مبدأ إنساني.

٦ ـ البشاشة وهي طلاقة الوجه، وهي أولى وسائل النفاق المستخدمة بكثرة لكسب الثقة.

٧ ـ الملق، وهو الودّ والتلطف، وهذا ـ أيضاً ـ من وسائل النفاق المعروفة، حيث لا يستند العدوّ فيه إلى مبدأ.

٨ ـ الحنق في النظرات، وهو الغيظ، فمهما كان الإنسان مخفيا أسراره فإنها تلوح على صفحات وجهه وفلتات اللسان والنظرات المتعاقبة.

وهذه الصفات يشترك فيها البغاة والمنافقون؛ لأنهم في الحقيقة يشتركون في صفة واحدة هي النفاق، ويفترقون بأن الباغي يخطط لإعلانها دون غيره ممن يشاركه في النفاق.

ولم يشر الإمام عليه السلام في هذا المقطع إلى حالات الإنسان الذي يخطط الباغي ضدّه؛ لأنّ هذه الحالة لا يعلمها سوى الله والباغي نفسه، فالإنسان الذي يقع فريسة للبغاة لا يعرفها إلّا بعد معرفة آثارها المعلنة، ولا عاصم منها سوى الله سبحانه الذي يعرف السرائر أي ما يسرّه الإنسان في نفسه ويضمره من خير أو شرّ، وهو تعالى وحده الذي يعرف ما في الضمائر من الدغل، أي الفساد والريبة، وهو وحده تعالى العاصم منها.

فَلَمّا رَأَيْتَ[١] ـ يا إلهي، تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ[٢] ـ دَغَلَ[٣] سَريرَتِهِ، وَقُبْحَ[٤] ما انْطَوى عَلَيْهِ، أَرْكَسْتَهُ[٥] لأُمِّ رَأْسِهِ في زُبْيَتِهِ[٦]، وَرَدَدْتَهُ في مَهْوى حُفْرَتِهِ، فَانْقَمَعَ[٧] بَعْدَ اسْتِطالَتِهِ ذَليلاً في رِبَقِ[٨] حِبالَتِهِ الَّتي كانَ يُقَدِّرُ أَنْ يَراني[٩] فيها، وَقَدْ كادَ أَنْ يَحُلَّ بي ـ لَوْلا رَحْمَتُكَ ـ ما حَلَّ بِساحَتِهِ[١٠].

وكما يبتلي الإنسان بالأعداء من الخارج وهم الذين يظهرون العداء، كذلك قد يبتلي الإنسان بمن يقوم بدور العدوّ من الداخل، وهم البغاة. والباغي هو من يتجاوز حدّ المسؤولية الملقاة على عاتقه طالباً ما ليس له، وهم المنافقون.

وفي هذا المقطع إشارة إلى حالات البغاة، ثم النصر الإلهي في قمعهم، فذكر عليه السلام من حالاتهم:

١ ـ المكيدة، وهي الخدعة الّتي يستخدمونها، لإرضاء من يريدون البغي عليه، بعد ان يستوثق بهم.

---

(١) في حاشية (ج) في نسخة: «رَيتَ ـ كذا».

(٢) لم ترد في (ق) (ت): «تباركت وتعاليت».

(٣) في حاشية (د): «الدغل بالتحريك: الفساد»، وفي (س): «الدغل ـ بالتحريك ـ: الفساد، مثل الدّخل». (حاشية ابن إدريس: ٣١١).

(٤) في (ت): «وفتح».

(٥) في (س): «الركس: رد الشيء مقلوباً». (حاشية ابن إدريس: ٣١٢).

(٦) في حاشية (د) و(س): «الزّبية: الرابية لا يعلوها الماء، والزُبية: حُفرة تُحفر للأسد، سمّيت بذلك، لأنّهم كانوا يحفرونها في موضع عال». (حاشية ابن إدريس: ٣١١ ـ ٣١٢).

(٧) في (س): «قمعته وأقمعته: أي قهرته وذللته، فانقمع». (حاشية ابن إدريس: ٣١٢).

(٨) في (ج) (د): «رَبَقِ»، وفي حاشية (ج) (د): «رِبْقِ ـ س»، وفي حاشية (د) و(س): «الرِبق ـ بالكسر ـ: حبل فيه عدّة عُرىً تَشدّ به البُهم، الواحدة من العرى: ربقة». (حاشية ابن إدريس: ٣١٢).

(٩) في (ت): «تراى» والكلمة غير واضحة.

(١٠) لم ترد في (ش) العبارة من قوله: «وهو يظهر لي بشاشة الملق» إلى هنا.

[٤/٤٩ ـ التحصُّن من الحساد]:

وَكَمْ مِنْ حاسِدٍ قَدْ شَرِقَ(١) بي بِغُصَّتِهِ(٢)، وَشَجِيَ مِنّي بِغَيْظِهِ، وَسَلَقَني(٣) بِحَدِّ لِسانِهِ، وَوَحَرَني(٤) بِقَرْفِ عُيُوبِهِ، وَجَعَلَ عِرْضي غَرَضاً لِمَرامِيهِ، وَقَلَّدَني خِلالاً لَمْ تَزَلْ فيهِ(٥)، وَوَحَرَني بِكَيْدِهِ(٦)، وَقَصَدَني بِمَكيدَتِهِ(٧)، فناديْتُكَ ـ يا إلهي ـ مُسْتَغِيثاً(٨) بِكَ، وَاثِقاً بِسُرْعَةِ إجابَتِكَ، عالِماً أَنَّهُ(٩) لا يُضْطَهَدُ مَنْ آوى إِلَى ظِلِّ كَنَفِكَ، وَلا يَفْزَعُ مَنْ لَجَأَ إِلَى مَعْقِلِ انْتِصارِكَ(١٠)، فَحَصَّنْتَني مِنْ بَأْسِهِ بِقُدْرَتِكَ.

وهناك فرقة ثالثة ليسوا بأعداء ولا منافقين أو بغاة، بل يغلبهم الحسد.

والحسد، هو تمنّي زوال النعمة من المستحق لها مع السعي في زوالها، أو بدونه.

---

(١) في حاشية (د) و(س): «الشرق: الشجي والغصة. وشرق بكذا: إذا لم يمكنه تجرّعه. س». (حاشية ابن إدريس: ٣١٢).

(٢) في (ش): «بعصته»، [كذا].

(٣) في حاشية (د) و(س): «سلَقَ بالكلام سلقاً: إذا آذاه، وهو شدّة القول باللسان». (حاشية ابن إدريس: ٣١٢).

(٤) في حاشية (ج) (د): «ووخزني ـ س».

(٥) عبارة: «شَرِقَ بي بِغُصَّتِهِ، وَشَجِيَ مِنّي بِغَيْظِهِ، وَسَلَقَني بِحَدِّ لِسانِهِ، وَوَحَرَني بِقَرْفِ عُيُوبِهِ، وَجَعَلَ عِرْضي غَرَضاً لِمَرامِيهِ، وَقَلَّدَني خِلالاً لَمْ تَزَلْ فيهِ» ساقطة من (ت)، والعبارة في (ت) هكذا: «وكم من حاسد قد وخزني بكيده».

(٦) في (ق) العبارة هكذا: «وَكَمْ مِنْ حاسِد قَدْ وَحَرَني بِكَيْدِهِ»، وفي (ت) العبارة هكذا: «وَكَمْ مِنْ حاسِد قَدْ وَخَزَني بِكَيْدِهِ».

(٧) لم ترد في (ش) عبارة: «وَوَحَرَني بِكَيْدِهِ، وَقَصَدَني بِمَكيدَتِهِ».

(٨) في (ت): «مستعيناً».

(٩) في (ق): «بأنّهُ».

(١٠) في حاشية (ج) في نسخة: «انتظارك»، وفي (ش) العبارة هكذا: «فنادَيْتُكَ عالماً أَنَّهُ لم يُضْطَهَدُ مَنْ آوَى إِلى ظِلِّ كِفايتِكَ، وَلم يقرع القوارع مَنْ لَجَأَ إِلى مَعاقِلِ انْتِظارِكَ».

والإنسان لا يؤاخذ بقبيح ما انطوت عليه نفسه، بل بما صدرت منه من أفعال؛ فإنّ الإنسان بريئ ما لم تثبت التهمة عليه، ولكن الله العالم بالأسرار قادر على إحباط خطط البغاة، ومن طرق الاحباط المشار اليها في الدعاء ما يلي:

١ ـ الإركاس، وهو قلب الشيء، بأن تنقلب الخطط الّتي خططها الباغي لغيره على نفسه، وأم الرأس: هو الدماغ، والزبية: الحفرة في موضع عال للصيد، ومعنى قوله: «أركسته لأُم رأسه في زبيته» ان الله سبحانه قلب الباغي على رأسه في نفس المصيدة الّتي هيأها لغيره.

٢ ـ السقوط على أثر انكشاف الحقائق والخطط؛ فإنّ الباغي يسقط هاوياً؛ أي من الأعلى إلى الأسفل، ويصبح راجعاً منكوساً في الحفرة الّتي حفرها لغيره، فيكون مسجوناً بما خططه لغيره.

٣ ـ القمع، وهو القهر؛ فإنّ الباغي بعد السقوط يكون مقهوراً بالكف عن متابعة خططه الباغية.

٤ ـ الذلّة في الحياة باللجوء إلى ما يغطي استطالته أي تجبره وطغيانه، وتعدّي حدود مسؤولياته، وذلك باللجوء إلى ما يتيسر له من المحامين، لكي يستخدموا القوانين الّتي تبرر عمله ولو باتهامه بالجنون الذي لا يستسيغ ذلك عاقل لنفسه، وهي ذّلة ليس دونها ذّلة، حيث يرى الباغي نفسه في (ربق الحبالة)، أي عروة الحبل، وهي السلسلة المستخدمة للجناة، وكان الباغي قد خطط ان يرى المعتدى عليه مقيداً بهذه السلسلة.

وهذه هي أُولى علائم الذل، ولكن الله سبحانه قدّر ان لا يقع المعتدى عليه فيها، بل يقع الباغي نفسه فيها.

فالله سبحانه برحمته أنحى المعتدى عليه من خطط الباغي حيث انقلبت خططه على نفسه بعد أن كاد ان يبتلي بها المعتدى عليه، وما ذلك إلّا برحمته الواسعة على المؤمنين، وكم لهذا من نظائر في التاريخ.

٦ ـ تطويق الإنسان بصفات الحاسد نفسه، فيجعل تلك الخلال كالقلادة يفرضها فرضاً على الإنسان المحسود؛ لأنها خلال تنبع من نفسه، فهي (لم تزل فيه) وبذلك يحاول ان يتهم الآخرين بها.

٧ ـ الكيد، وهو الخدعة، والوحر: امتلاء الصدر غيظاً كما تقدم، والظاهر انها هنا بالمعجمة من الوخز بمعنى الطعن، وإلّا استلزم التكرار. والكيد وان كان سوف ينكشف أمره بمرور الأيام، ولكن يترك أثره من الطعن في النفوس الضعيفة.

٨ ـ قصد الإنسان في نفسه بالمكيدة، وهذا آخر درجات الحسد التي ابتدأت بالقطيعة ودرجت إلى المكيدة، وحيث لم تؤثر فيها ما درج عليه الحاسد من تثبيط عزيمة المحسود عليه، قصد بالمكيدة في الإنسان نفسه.

والتحصّن من هذه الخطط الّتي يستخدمها الحاسد لا يمكن إلّا بالاستعانة بالله تعالى بالوسائل المشروعة، ومنها:

١ ـ الدعاء بالنداء ورفع الصوت إليه تعالى، بحيث يسمع الحاسد وغيره أنّ المنادَى على كل شيء قدير.

٢ ـ الاستغاثة بالله دون غيره، فإنّ نصح الناصحين لا ينفع في داء مثل الحسد.

٣ ـ الوثوق بسرعة الإجابة من الله مع الأخذ بنظر الاعتبار الوقت المناسب في التأثير والردع المانع عن الحسد وأثره.

٤ ـ العلم بأن التحصّن بالله تعالى بقدرته يحصّن الإنسان من بأس الحاسدين مهما بلغت شدتهم وقوّتهم، وكنف الله ـ أي مناعته تعالى ـ لا اضطهاد فيه، ومعقل الله ـ أي حصنه ـ لا فزع فيه ولا خوف يعتريه؛ فإنّ الله سبحانه سوف يكشف حقيقة الحاسد والوسائل التي استخدمها، بحيث يجعله عبرة للآخرين، وما أكثر العبر وأقل الاعتبار، ولايفوتني في هذا المقام أن أذكر ما سمعته من مرجع عصره في كربلاء السيد ميرزا مهدي الشيرازي (ت/ ١٣٨٠هـ) وقد جاءهُ بعض وكلائه شاكيا مما يلاقيه من حسّاده فقال له: «حسود، آدم را بلند ميكند» يعني ان الحاسد يكون سبباً في رفعة الإنسان، وهذه كلمة جامعة؛ حيث أن دعايات

وهذه الطائفة تضرّ نفسها أكثر من الأعداء والبغاة، حيث لا يتمكنون من أداء ادوارهم ولكنهم يكونون أدوات مستخدمة لهم في الدعاية والتهريج، ويفتقر الإنسان إلى التحصّن منهم، وقد أشار في هذا المقطع إلى بعض أوصافهم، وذكر منها:

١ ـ القطيعة في الاخوّة الإسلامية، فالحاسد بحكم الحسد يقطع هذه الصلة، والشرق: هو الشق، يقال: شرق أُذن الشاة طولا، أي شقها كذلك، والغصّ: القطع، يقال: غصّ الشيء غصاً أي قطعه، والمعنى في قوله: «قد شرق بي بغصّته» التأكيد على الشق الذي أحدثه بالإنسان بسبب قطيعته؛ فإنّ القطيعة توجب الشق الذي هو التفرقة، مع أن الأدب الإسلامي يؤكد على التعاون والوحدة.

٢ ـ الغيظ، وهو شدة الغضب، والشجى: ما يعترض في الحلق جامداً. وقوله: «وشجى مني بغيظه» بيان لأثر الحسد على نفس الحاسد؛ فإنّ الحاسد يرى النعمة الّتي أنعم الله على عبده كالشيء الجامد الذي يعترض حلقه فيبتلي بالغيظ وشدة الغضب، بسبب الإنسان الذي أنعم الله عليه بجهده وسعيه؛ غافلا عن أنه ﴿لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ﴾[1].

٣ ـ حد اللسان، وحيث يتعاجز الحاسد من السعي للحصول على ما يرغب اليه، فإنّه يستخدم اللسان بالدعايات والتهريج واستخدام اللسان كالسيف الحادّ وسيلة لتحقير الإنسان المحسود. والسلق هو شدّة القول باللسان.

٤ ـ التهم الباطلة. والوحر: امتلاء الصدر غيظاً، و(قرف عيوبه) يعني إتهام الإنسان بعيوب الحاسد نفسه؛ فإنّه يتهم الآخرين بما من شأنه أن يفعل لو كان مكانهم؛ فإنّ كلّ إناء بالذي فيه ينضح؛ فإنّ التهمة تكشف عن نفسية المتّهِم نفسه.

٥ ـ انتقاص العرض، وهو ـ بكسر العين ـ بمعنى الجانب الذي يصان ويحمى من نفس الإنسان اوْ عائلته وأُسرته. فيجعله الحاسد هدفاً للتشهير، وهذا في الحقيقة يكشف عن إفلاس الحجة عنده.

---

(١) القرآن الكريم، سورة النّجم ٥٣: ٣٩.

٢ ـ نعم الله المتكاثرة كالمطر من السحاب، من الصحة والسلامة والبصر واللسان، وأهمها العقل الذي اكرم الله به كل إنسان.

٣ ـ رحمة الله المنتشرة المتتابعة كجداول المياه، وأقلها نعمة الهواء الطلق الذي يتمتع به كل إنسان.

٤ ـ العافية، وهي الصحة التامة بعد الابتلاء بالمرض، فلولا ان الله يُلبس الإنسان ثوب العافية منه، فإنّه لا ينفع مع المرض أي علاج.

٥ ـ طمس منابع الاحداث الّتي تضرّ بالإنسان من حيث النفس والمجتمع، فإنّ حوادث الدهر لولم تطمس، أي تمحى آثارها من منابعها، فانها سوف تنمو وتتكاثر وتنتشر مرة اخرى.

٦ ـ كشف الغواشي، أي الاستار المخيّمة على الإنسان من الكربات، وهي ما توجب الغموم؛ فإنّ في كشفها فرج، لأن العلم بها سبب للتحرك ضدّها بالأُسلوب المناسب.

[٦/٤٩ ـ دفع المكروه]:

وَكَمْ مِنْ ظَنٍّ[١] حَسَنٍ حَقَّقْتَ، وَعَدَمٍ[٢] جَبَرْتَ، وَصَرْعَةٍ[٣] أَنْعَشْتَ، وَمَسْكَنَةٍ حَوَّلْتَ[٤].

وفي هذا المقطع أشار إلى استجابة الدعاء في رفع النقائص كالآتي:

٧ ـ تحقيق الظن الحسن باستجابة الدعاء؛ لتحقيق الأمل والرجاء.

٨ ـ جبر الفقر والعدم ـ بفتحتين ـ وهو بالضم والسكون بمعنى الفقر.

---

(١) في (ش) العبارة هكذا: «وَعافِيَة اَلْبَسْتَها، وَغَواشيئ كُرُبات كَشَفْتَها، وَأمور كاربة دفعتها، وَأَعْيُنِ أَحْداث طَمَسْتَها، وَناشئة رحمة نَشَرْتَها، أللّهُمَّ وكَمْ مِنْ ظَنٍّ».

(٢) في (بعض النسخ): «عُدْمٍ».

(٣) في حاشية (ج): «صِرعةٍ ـ س».

(٤) في (ش) العبارة هكذا: «وَمن عَدِم املاق جَبَرْتَ، وَمن صَرْعَة مهلكة أَنْعَشْتَ، وَمن مَسْكَنَة فادحة حَوَّلْتَ».

الحساد يكون سبباً لأن يفتش السامع عنها ليتحقق صحتها، ومن هنا فسوف يقف على الحقيقة إن كان طالباً لها، ومن ليس له هذا الذوق لا ينفع معه النطق، والله العالم.

[٤٩/٥ ـ القدرة الإلهيّة]:

وَكَمْ مِنْ سَحائِبِ مَكْرُوهٍ جَلَّيْتَها[١] عَنّي[٢]، وَسَحائِبِ نِعَمٍ أَمْطَرْتَها عَلَيَّ، وَجَداوِلِ[٣] رَحْمَةٍ نَشَرْتَها، وَعافِيَةٍ أَلْبَسْتَها، وَأَعْيُنِ أَحْداثٍ طَمَسْتَها، وَغَواشي كُرُباتٍ كَشَفْتَها.

المكروه الذي يتوجّه إلى الإنسان من الحاسدين يرتفع بقدرة الله تعالى والوثوق به، فإنّ العوامل الداعية إلى الحسد سوف تنكشف ويبطل آثارها، كما ارتفعت مكروهات أُخرى كثيرة في حياة الإنسان منذ الولادة بقدرة الله تعالى، واستبدلت بما فيه الرحمة والخير؛ فإنّ هذه المكروهات تروّض النفس الإنسانية على التجلّد والتصبّر والاستمرار على الصراط المستقيم من دون انزلاق إلى مستوى الذين يستخدمون تلك الوسائل الرذيلة الحقيرة.

وقد أشار في هذا المقطع إلى بعض المكروهات بإجمال بذكر الآثار؛ لأنها لا تدخل تحت حصر، فكم من حالات المرض المستعصية لم ينفع فيها شيء من حذق الأطباء وارتفعت بالتضرّع إلى الله سبحانه، ولا يخلو حياة إنسان منذ الولادة إلى الممات من حالات المرض التي استبدلها الله بالعافية.

وفي هذا المقطع أشار اليها بالاجمال كالآتي:

١ ـ جلاء المكروه، أي كشفه، والمكروه ما يشق على الإنسان حمله، فكيف إذا تراكمت كالسحاب؟!

---

(١) في (ت): «جلبتها».

(٢) لم ترد في (ش): «عنّي».

(٣) في حاشية (د) و(س): «الجدول: النهر الصغير». (حاشية ابن إدريس: ٣١٢).

وَأَبَيْتُ إِلّا تَقَحُّماً لِحُرُماتِكَ، وَتَعَدِّياً لِحُدودِكَ، وَغَفْلَةً عَنْ وَعيدِكَ[١].

وقد أكرم الله تعالى الإنسان بالإرادة والعقل في أن يستخدم القدرة الّتي وجّهها الله اليه في تحويل حياته من حالة سيئة إلى حالة أحسن منها، لكي يتمتع بغنى النفس وسلامة الضمير ويتمكن من السير على الصراط المستقيم على الرغم من الانهماك، أي الجد من الإنسان في العصيان.

وأشار في هذا المقطع إلى موقفين متقابلين للإنسان تجاه الله، وأن على الله نجاة الإنسان في موارد:

١ ـ الإساءة من الإنسان بالعصيان، وقد قابلها الله سبحانه باتمام الاحسان؛ فإنّ من اصل الاحسان هو القدرة الّتي وهبها الله إياه، واتمامه: استمرارها. ولا سائل يسأل الله سبحانه عما يفعل بحكمته في الخلق والقضاء الّتي لا يعلمها إلّا هو.

٢ ـ موقف الله سبحانه باستمرار الاحسان يستلزم ان يحجز الإنسان نفسه عن العصيان. ولكن الإنسان قابلها بارتكاب ما لا يرتضيه الله سبحانه.

٣ ـ موقف الله سبحانه بالعطاء، سواءً كان موقف العبد السؤال أم لا، مع أنه لا يستحق ذلك عند عدم السؤال.

٤ ـ موقف الإنسان باستماحة الفضل منه تعالى، وموقف الله التفضل من دون منع، والاكداء: بمعنى المنع.

٥ ـ وبالاجمال، فموقف الله سبحانه هو:

ـ الاحسان على الإنسان في نفسه ومجتمعه منذ الولادة وحتى الوفاة.

ـ الامتنان بالعفو بالنسبة إلى الاخطاء والخطايا.

ـ التطّول بالافضال بالرغم من العصيان.

ـ الانعام بتوفير ما به صلاح الإنسان من الصحة والعقل.

وموقف الإنسان هو:

---

(١) في (ش) العبارة هكذا: «أَبَيْتَ إِلّا اِحْساناً وَأَبَيْتُ إِلّا تَقَحُّم حُرُماتِكَ، وَتَعَدِّي حُدودِكَ، وَغَفَلْتُ عَنْ وَعيدِكَ».

٩ ـ انعاش الصرعة، أي الورطة الشديدة الموجبة للصرع على الأرض أي الطرح، والانعاش الرفع منها.

١٠ ـ تحويل المسكنة، وهي حالة الفقر والذل بتحويلها إلى حالة العزّ وغنى النفس.

وبالجملة: ان هذه المراحل الشاقة في الحياة تجعل الإنسان في حصانة من ورود أمثالها بإرادة الله، حيث يتعلّم منها الإنسان اسلوب المقاومة لأمثالها في الحياة وما أكثرها؛ حيث لا يخلو حياة الإنسان منها، وبالتوكل على الله تعالى يتمكّن من مقاومتها.

[٧/٤٩ ـ موقفانِ متناقضان]:

كُلّ ذلِكَ إنْعاماً وَتَطَوُّلاً مِنْكَ، وَفي جَميعِهِ[١] إنْهِماكاً مِنّي[٢] عَلى مَعاصيكَ، لَمْ تَمْنَعْكَ[٣] إساءَتي عَنْ إتْمامِ إحْسانِكَ، وَلا حَجَرَني[٤] ذلِكَ عَنِ ارْتِكابِ مَساخِطِكَ[٥]، لا تُسْأَلُ عَمّا تَفْعَلُ، وَلَقَدْ سُئِلْتَ فَأَعْطَيْتَ[٦]، وَلَمْ تُسْأَلْ فَابْتَدَأْتَ، وَاسْتُميحَ[٧] فَضْلُكَ فَما أَكْدَيْتَ[٨].

أَبَيْتَ يا مَوْلايَ[٩] إلّا إحْساناً وَامْتِناناً، وَتَطَوُّلاً، وَإنْعاماً.

---

(١) في (ت): «وَفي جميع ذلك».

(٢) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «وَفي جَميعِ ذلك إنْهِماك مِنّي».

(٣) في (ق) (ت): «يمنعكَ».

(٤) في (ق): «حجزني»، وفي (ت): «حجز بي»، وفي حاشية (ج) (د): «حجزني ـ س».

(٥) لم ترد في (ش) عبارة: «كُلّ ذلِكَ إنْعاماً وَتَطَوُّلاً مِنْكَ، وَفي جَميعِهِ انْهِماكاً مِنّي عَلى مَعاصيكَ، لَمْ تَمْنَعْكَ إساءَتي عَنْ إتْمامِ إحْسانِكَ، وَلا حَجَرَني ذلِكَ عَنِ ارْتِكابِ مَساخِطِكَ».

(٦) في (ت): «وأعطيتَ».

(٧) في (ت): «وأستمنح».

(٨) في حاشية (د) و(س): «أكديت الرجل عن الشيء: رددته عنه، وأكدى الرجل: إذا قلّ خيره». (حاشية ابن إدريس: ٣١٢).

(٩) في (ق) (ت): «يا إلهي»، ولم ترد في (ش): «يا مولاي».

لا يملك الإنسان في مواقفه المتخاذلة من تقحّم الحرمات وتعدّي الحدود والغفلة عن الوعيد تجاه المواقف الإلهيّة العظيمة من الاحسان والامتنان والتطوّل والإنعام، إلّا وأن يقف موقف الحمد حيث لا يمكن تعادل الموقفين، إلّا به، وقد افتتح الإمام عليه السلام المقطع بسببين رئيسيّين للحمد، هما:

١ ـ القدرة الإلهيّة المطلقة الّتي لا يغلبها شيء.

٢ ـ الأناة من الله، أي المكث في العقاب وعدم العجلة فيه.

فإنّه لولا هذين السببين لكان الإنسان مستحقاً للعقاب العاجل.

وقد وقف العبد موقف الحمد هذا معترفاً بالتناقض بين موقفين، وهما موقفه هو، وموقف الله سبحانه في ثلاث نقاط، هي:

١ ـ سبوغ النعم من الله والسبوغ: الفيضان؛ فإنّ نعم الله كثيرة قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1] وأهمّها نعمة العقل.

٢ ـ التقصير في أداء الواجب في قبال تلك النعم الطائلة؛ لعدم الالتزام بالواجب.

٣ ـ الشهادة على النفس بالتضييع، وهو اهمال المسؤوليات الملقاة على عاتق الإنسان تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه.

[٩/٤٩ ـ الإستعاذة من الشرّ الخاص]:

أللّهُمَّ، فَإنّي[2] أَتقرَّبُ إِلَيْكَ بِالْمُحَمَّدِيَّةِ الرَّفيعَةِ، وَالْعَلَوِيَّةِ الْبَيضاءِ[3]، وَأَتَوَجَّهُ اِلَيْكَ بِهِما: أَنْ تُعيذَني[4] مِنْ شَرِّ ـ كَذا وَكَذا[5] ـ

---

(١) القرآن الكريم، سورة إبراهيم ١٤: ٣٤.

(٢) في (ق): «إنّي».

(٣) في (ت): «بالمحمدية البيضاء والعلوية الرفيعة».

(٤) في (ت): «فأعذني»، في حاشية (ج) (د): «فأعذني ـ س».

(٥) في (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ إنّي أَسألكَ بِالْمُحَمَّدِيَّةِ الرَّفيعَةِ، وأتوجّه إليك بالْعَلَوِيَّةِ الْبَيضاءِ، فَأعذني مِنْ شَرِّ ـ كَذا وَكَذا»، وورد في حاشية ملحق «ك» ما يلي: «ويذكر ما يحذره بدل «كذا وكذا»».

ـ تقحّم الحرمات، أي الدخول فيما حرمه تعالى والهجوم عليها واقترافها.

ـ تعدّي الحدود، أي تجاوز ما جعله تعالى حداً ومنع عن تجاوزه.

ـ الغفلة عن الوعيد، وهي السهو والغفلة عن العقاب المتوعد عليها، وعن الآثار المترتب عليها بسبب تعدّي الحدود في الدنيا والآخرة.

فإنّ هذين الموقفين متناقضين، ولا يكون العصمة إلّا بقدرة الله تعالى.

[٤٩/٨ ـ موقف الحمد]:

فَلَكَ الْحَمْدُ ـ اِلهي ـ مِنْ مُقْتَدِرٍ [لا يُنَازَعُ وَ](١) لا يُغْلَبُ(٢)، وَذِي أَنَاةٍ لا يَعْجَلُ(٣).

هذا مَقامُ مَنِ اعْتَرَفَ بِسُبُوغِ الْنِّعَمِ، وَقابَلَها بِالتَّقْصِيرِ(٤)، وَشَهِدَ عَلى نَفْسِهِ بِالتَّضْيِيعِ(٥).

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

(٢) في حاشية (ج) في نسخة: «لا تُغلب».

(٣) كذا في (ق): «لا يعجل»، وفي (د): «لا تعجلْ»، وفي حاشية (د): «الظاهر أن هذا الذي يترآى جزما، ضمّة ناقصة بتراءٰ تساهل قدس سره في إتمامها، فبقيت بما يشبه الجزم».

(٤) في (ش) العبارة هكذا: «وذي أناة لا يَعْجَلُ، هذا مَقامُ مَنِ اعْتَرَفَ لك بِالتَّقْصِيرِ».

(٥) في هامش الصحيفة الجامعة ما يلي: «ثم تقول هذه الزيادة المنقولة في الصحيفة الثالثة عن صحيفة ابن شاذان: اَللّهُمَّ إنّي أَسَأَلكَ بِالْمُحَمَّدِيَّةِ الرَّفيعَةِ، وَأتوجّه إِلَيْكَ بالْعَلَوِيَّةِ الْبَيضاءِ، وأتوسل بمحمّد وآله الأبرار صلوات الله عليه وعليهم. وأسألك أن تصلي عليهم أجمعين أكتعين، وأن تخلّصني من كلّ غمّ وهمّ وكرب (وأن تفعل بي كيت وكيت. وافعل بفلان كذا وكذا) وتسمّي حاجتك والرجل الذي تخشى ناحيته. فإنّه لا إله لي غيرك، ولا ربّ أعرفه فأتوسّل إليه سواك. أللهم، فإنّ وسيلتي إِلَيْكَ محمّداً وآله وبعدهم التوحيد، وذريعتي أنّي لم أشرك بك أحداً ولم أتخذ معك إلهاً. وقد فررت إِلَيْكَ من نفسي، فخلّصني من كلّ غمّ وهمّ وكرب أبيت عليه أو أظلّ فيه مما أنت أعلم به منّي، وأنت العظيم. بك استغثت يا معبودي فأغثني. تقول ذلك حتى ينقطع النَّفَس منك.

وإن أمكنك أن تدعو بهذا الدعاء وأنت ساجد فافعل، وهو: «اللهم لك الحمد وإِلَيْكَ المشتكى وأنت المستعان، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم»». (الصحيفة السجادية (أبطحي)، هامش ص ٣٥٧).

المطلقة، ولايتكأدّه، أي لا يمتنع عليه تعالى. وهي لا تضيق في غناه تعالى عن أي سبب في حصول التعّوذ بارادته العليا.

وختم المقطع بأن التعوّذ ليس انتقاماً لمن ابتدأ بالشرّ، بل طلباً للرحمة الإلهيّة ودوام التوفيق حتى يصبح الداعي إنسانا في حالة روحية عالية، ويكون ذلك سلماً للعروج به إلى رضوان الله، وهذا المعراج الروحي يستلزم التحرك على ما أمر به تعالى من تحمّل المسؤولية الإسلامية بالعمل بالواجبات وترك المحرمات، وذلك يستلزم الأمن من العقاب.

فإنّ[١] ذلِكَ لا يَضيقُ عَلَيْكَ في وُجْدِكَ، وَلا يَتَكَأَّدُكَ في قُدْرَتِكَ[٢]، وَأَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ.

فَهَبْ لي - يا إلهي - مِنْ رَحْمَتِكَ وَدَوامِ تَوْفيقِكَ ما أَتَّخِذُهُ سُلَّماً أَعْرُجُ بِهِ[٣] إِلى رِضْوانِكَ[٤]، وَآمَنُ بِهِ مِنْ[٥] عِقابِكَ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ[٦].

وقد ختم الإمام عليه السلام هذا الدعاء بالتعوّذ بالله من شرّ خاص كنّى عنه بـ (كذا و كذا) فإنّ لكل شرّ خاص أثر خاص على الإنسان المبتلى به، ولا يمكن أن يحسّ به غيره، فلا يعلم حقيقة ذلك الشرّ ودوافعه والوسائل المفيدة للتخلص منه أحد سوى الله تعالى، وكل ما يعلمه الإنسان إنما هو ظنون واحتمالات تشير إلى حقيقة خفية عند الإنسان معلومة عند الله.

وقد استشفع في ذلك بأمرين لهما دور أصيل في تطبيق حكم الله على الأرض وتحصيل رضاه تعالى، وهما:

١ - الرسالة المحمدية الّتي ختم بها الاديان، ولذلك ارتفعت على غيرها.

٢ - الولاية العلوية الّتي سارت على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فهي الرسالة البيضاء في نقائها؛ لأنها سائرة على خطى الرسالة المحمدية.

وقد أشار من أسباب الرجاء إلى:

١ - الشفاعة بالرسالة والولاية.

٢ - القدرة الإلهيّة؛ فإنّ الاعاذة من الشرّ الخاص يكون تحت قدرته

---

(١) في حاشية (ج): «وإنّ - س».
(٢) في (ش) العبارة هكذا: «فَإنَّ ذلِكَ لا يَضيقُ عَلَيْكَ في مجْدِكَ، وَلا يَعجزكَ في قُدْرَتِكَ».
(٣) لم ترد في (ق): «به».
(٤) لم ترد في (ق) (ت): «مرضاتك».
(٥) لم ترد في (ق) (ت): «من».
(٦) لم ترد في (ش) عبارة: «فَهَبْ لي - يا اِلهي - مِنْ رَحْمَتِكَ وَدَوامِ تَوْفيقِكَ ما اَتَّخِذُهُ سُلَّماً أَعْرُجُ بِهِ اِلى رِضْوانِكَ، وَآمَنُ بِهِ مِنْ عِقابِكَ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ».

القصور بأداء الواجب تجاه هذه النعم العظمى في الحياة، الّتي لولاها لاختلت حياة الفرد وأصبح عالة على المجتمع.

وعامة الناس يتمتّعون بهذه النعم من دون شكر لها، ولايُعرف قدرها إلّا بالنظر إلى من يفقدها أو يفقد بعضها. والقصور في اداء المسؤولية الإسلامية بالرغم من هذه النعم الأصلية الجسمية تستلزم الرهبة.

[٢/٥٠ ـ الأمل في العفو]:

أللّهُمَّ، إنّي وَجَدْتُ فيما أَنْزَلْتَ[١] مِنْ كِتابِكَ، وَبَشَّرْتَ بِهِ عِبادَكَ أَنْ قُلْتَ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢]، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنّي ما قَدْ عَلِمْتَ[٣]، وَما أَنْتَ اَعْلَمُ بِهِ مِنّي، فَيا سَوْأَتاهُ[٤] مِمّا أَحْصاهُ[٥] عَلَيَّ كِتابُكَ، فَلَوْلَا الْمَواقِفُ الَّتي أُؤَمِّلُ[٦] مِنْ عَفْوِكَ الَّذي شَمِلَ كُلَّ شَيءٍ لَأَلْقَيْتُ بِيَدي[٧]، وَلَوْ أَنَّ أَحَداً اسْتَطاعَ الْهَرَبَ مِنْ رَبِّهِ[٨]، لَكُنْتُ أَنا أَحَقَّ ـ يا إلهي[٩] ـ بِالْهَرَبِ مِنْكَ، وَأَنْتَ لا تَخْفى عَلَيْكَ خافِيَةٌ[١٠] في الأَرْضِ وَلا في

---

(١) في (ق) (ت): «أنزلته».

(٢) القرآن الكريم، سورة الزمر ٣٩: ٥٣، ولم ترد في (ق): ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

(٣) في (ق): «ما عملت».

(٤) كذا في (ق) (ت)، وفي (ج): «فيا سوأتا»،وفي حاشية (ج) في نسخة: «فيا سوأتاه»، وفي (س): «السَّوأةُ: العورة والفاحشة، والسوأة والسواء: الخلّة القبيحة». (حاشية ابن إدريس: ٣١٤).

(٥) في (ق) (ت): «أحصى».

(٦) في (ق) (ت): «آملُ»، وفي (د): «أُوَمّل».

(٧) في حاشية (د) و(س): «ألقى بيده: أي سقط في يده». (حاشية ابن إدريس: ٣١٤).

(٨) في (ق) (ت): «الهرب منك»، وفي حاشية (ج): «الهرب منك ـ س».

(٩) كلمة: «يا إلهي» من (ق) (ت).

(١٠) في (د): «خائنة»، ويحتمل: «خافية».

[الدعاء المتمم للخمسين]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في الرّهبة[1]

[١/٥٠ ـ دعاء الرهبة]:

أللّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَني سَوِيّاً، وَرَبَّيْتَني صَغيراً، وَرَزَقْتَني [رِزْقاً][2] مَكْفِيّاً.

الرهبة هو الخوف مع الاضطراب، وسببها عظم المسؤولية الإسلامية الملقاة على عاتق أي إنسان مسلم في الحياة بأداء الدور المطلوب منه في إعداد نفسه ثقافياً في خدمة مجتمعه إسلامياً، وقد استفتح الدعاء بنقاط ثلاث لا يمكن مكافأتها قط، وهي:

١ ـ الخلق سوياً باعتدال في أحسن تقويم من غير إفراط أو تفريط.

٢ ـ التربية صغيراً بالنموّ الطبيعي جنينا وصبياً ويافعاً في حين آخر.

٣ ـ الرزق، أي العطاء الكافي للاستمرار في الحياة.

وهذه النقاط الثلاث تشمل عامة الناس، ولا يعادلها شيء في الحياة، ولو أراد الإنسان أن يعادلها بشيء يجد نفسه عاجزاً عن ذلك عجزاً يلازم الرهبة في

---

(١) ورد هذا الدعاء في ملحق (ك) بالرقم (٥١) بنفس العنوان، وفي ملحق (ش) في الصفحة (٢١١) بنفس العنوان، وفي (ج) بعنوان: «الخمسون: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في الرهبة»، وفي (ق) بعنوان (السادس والأربعون) وتحته عنوان: «في الرهبة»، وفي (ت) بعنوان (الخمسون) وتحته عنوان: «في الرهبة»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٥٠)، بعنوان: «دُعاؤهُ في الرهبةِ».

(٢) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

إنّ كل إنسان مرتهن بعمله، ويتحمّل مسؤولية ما قام به خيراً كان او شراً، مهما كانت الأسباب الدافعة له على القيام بما قام به؛ لأن ما قام به انما كان نابعا عن ارادته الخاصة، فتحمل مسؤوليتها أمر طبيعي بالنسبة اليه، ومحاولة الهروب عن التبعة محاولة فاشلة؛ لأنه **أولا**: مطلوب في محكمة التاريخ في الدنيا، وفي محكمة الله تعالى في الآخرة.

وثانياً: انه مدرك، أي محكوم عليه بما يستحق من العقوبة، وانه سوف يلقى القبض عليه مهما حاول الفرار عن التبعة.

وفي حالة كهذه لا مخرج له سوى الاعتراف بالواقع المرّ؛ فإنّه من أسباب استحقاق العفو، وأشار من صفات هذه الحالة إلى:

١ ـ الوقوف للمحاكمة العادلة بين يدي الله تعالى.

٢ ـ الخضوع بالانقياد إلى حكمه تعالى.

٣ ـ الذلة بسهولة الانقياد مهاناً.

٤ ـ رغم الأنف في التراب، وهو كناية عن المهانة بسبب ما يستحق من العقوبة.

٥ ـ الاعتراف باستحقاق العذاب على التقصير.

وهذه حالة من لا يقنط من رحمة الله، فيستحق شمول العفو له، كما سبق من رحمته الواسعة، حتى يعود الإنسان في ثوب جديد معافى من البلاء ويقوم بدوره المطلوب منه في الحياة.

[٤/٥٠ ـ التشفّع بالله تعالى]:

فَأَسْأَلُكَ[١] ـ أللّهُمَّ ـ بِالْمَخْزُونِ مِنْ أَسْمائِكَ، وَبِما وارَتْهُ الْحُجُبُ مِنْ بَهائِكَ إِلّا رَحِمْتَ هذِهِ النَّفْسَ الْجَزُوعَةَ، وَهذِهِ الرِّمَّةَ[٢] الْهَلُوعَةَ[٣]،

---

(١) في حاشية (ج) (د): «واسألك ـ س».

(٢) في حاشية (د) و(س): «الرمة ـ بالكسر ـ: العظام البالية». (حاشية ابن إدريس: ٣١٤).

(٣) في حاشية (ج): «الهلع: أفحش الجزع».

السَّماءِ إلّا أَتَيْتَ بِهَا، وَكَفى بِكَ جَازِياً[١]، وَكَفى بِكَ حَسِيباً.

خصّ هذا المقطع بالأمل في العفو عن التقصير في أداء المسؤولية الّتي يتحمّلها أيّ إنسان مسلم باختلاف درجات المسؤولية من أحقر فرد في القاعدة إلى اكبر فرد في القيادة، فكلما عظمت المسؤولية كان التقصير فيها أعظم؛ فإنّ حسنات الأبرار سيئات المقرّبين[٢]، لأن حسناتهم إنما هي حسنات بالنسبة إلى من دونهم، وفي نفس الوقت هي سيئات بالنسبة إلى مَن فوقهم.

وقد افتتح المقطع بالأمل في العفو عن التقصير في أداء الواجب بما بشّر به سبحانه في كتابه بقوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[٣] هو اليأس ـ ومواقف الدعاء الّتي يصفها الداعي هي موارد الأمل لا اليأس الذي نهى عنه سبحانه، بالرغم من موجبات اليأس ـ لولا نهيه تعالى ـ فإنّ تلك الموجبات تعود إلى التقصير في أداء المسؤولية في مختلف المجالات وتقتضي الهرب من المواجهة خوفاً من الجزاء العادل، الذي هو العقاب، مع العلم بأنه تعالى لا يخفى عليه شيء ممّا خلق في الأرض والسماء؛ لأنه بكل شيء عليم، وهو الحسيب أي الرقيب الذي يحاسب الناس على اعمالهم، فلا مخرج سوى العفو الإلهي كي يعيش الإنسان المسؤول في طمأنينة من ذلك، ويستمر في أداء المسؤولية بحدودها.

[٣/٥٠ ـ الهروب من التبعات]:

أللّهُمَّ إنَّكَ طالِبِي إنْ أَنَا هَرَبْتُ، وَمُدْرِكِي إِنْ أَنَا فَرَرْتُ، فَها أَنَا ذا بَيْنَ يَدَيْكَ خاضِعٌ ذَلِيلٌ راغِمٌ، إنْ تُعَذِّبني فَإِنّي لِذلِكَ أَهْلٌ، وَهُوَ ـ يا رَبِّ ـ مِنْكَ عَدْلٌ، وَإِنْ تَعْفُ عَنّي فَقَدِيماً شَمَلَني عَفْوُكَ، وَأَلْبَسْتَني عافِيَتَكَ.

---

(١) في حاشية (ج) (د): «خازنا ـ س، كذا ضبطه».
(٢) انظر: شرح أصول الكافي ٤: ٢٠٩.
(٣) القرآن الكريم، سورة الزمر ٣٩: ٥٣.

[٥٠/٥ ـ من مقتضيات العفو]:

فَارْحَمْني ـ أللّهُمَّ ـ فَإنّي امْرُؤٌ حَقيرٌ، وَخَطَري يَسيرٌ، وَلَيْسَ عَذابي مِمّا يَزيدُ في مُلْكِكَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ[١]، وَلَوْ أَنَّ عذابي مِمّا يَزيدُ في مُلْكِكَ لَسَأَلْتُكَ الصَّبْرَ عَلَيْهِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ ذلِكَ لَكَ، وَلكِن سُلْطانُكَ[٢] ـ أللّهُمَّ[٣] ـ أَعْظَمُ، وَمُلْكُكَ[٤] أَدْوَمُ مِنْ أَنْ تَزيدَ فيهِ طاعَةُ الْمُطيعينَ، أَوْ تَنْقُصَ مِنْهُ مَعْصِيَةُ الْمُذْنِبينَ[٥]. فَارْحَمْني يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ، وَتَجاوَزْ عَنّي يا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرامِ، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحيمُ.

وختم الدعاء ببيان عدم التكافؤ الذي هو من مقتضيات العفو؛ فإنّ منزلة العبد التي تقتضي الرحمة غير متكافئة مع منزلة الربوبية الّتي ذاتها الرحمة.

وقد وصف منزلة الإنسان بأُمور منها:

١ ـ امرؤ، أي إنسان مخلوق لله تعالى.

٢ ـ حقير، وهو الذليل الصغير.

٣ ـ يسير الخطر، والخطر: المنزلة، واليسر قلتها.

وهذه المنزلة الوضعية تقتضي العفو. وعلى النقيض من ذلك منزلة الرب تعالى، فقد وصفها في هذا المقطع بأمرين:

١ ـ السلطنة العظمى؛ لحكومتها على كل المخلوقات بما فيها الإنسان.

---

(١) لم ترد في (ق): «مثقال ذرّةٍ».
(٢) في حاشية (د): «سلطانَكَ ـ س».
(٣) لم ترد في (ق): «اللهم».
(٤) في حاشية (د): «ملكَكَ ـ س».
(٥) في (ق) (ت): «معصية العاصين».

الَّتي لا تَسْتَطيعُ حَرَّ شَمْسِكَ، فَكَيْفَ تَسْتَطيعُ حَرَّ نارِكَ؟! وَالَّتي لا تَسْتَطيعُ صَوْتَ رَعْدِكَ، فَكَيْفَ تَسْتَطيعُ صَوْتَ غَضَبِكَ؟!.

وفي هذا المقطع استشفاع بما يخص الله تعالى، وذكر منه أمرين:

الأوّل: المخزون من أسمائه سبحانه وتعالى، أي ما استأثر بعلمه وحجبه عن خلقه، فلا يعلمه سواه تعالى، فلا طريق إلى ذلك إلّا به تعالى.

الثاني: ما وارته الحجب من بهاء الله تعالى، أي ذاته المقدسة الّتي لا ينفك عن البهاء، أي الجمال، فانها مواراة، أي مستورة بالحجب الماديّة الّتي عميت عنها عيون الأبصار، واستفاضت بنورها عيون القلوب.

وقد تشفّع بذلك لشمول الرحمة الإلهيّة على حالات الداعي المقتضية للعفو، وقد سرد منها في هذا المقطع وما يليه أموراً، منها:

١ ـ النفس الإنسانية الّتي هي النفس اللوامة.

٢ ـ الجزع، حيث لا يتحمّل الصبر.

٣ ـ الرمة، وهي العظام البالية من أعضاء الجسم الإنساني المتقوّم بالهيكل العظمي.

٤ ـ الهلع، وهو شدّة الجزع.

وهذه الحالات للإنسان تستوجب العفو؛ لأن الإنسان بهذه الحالات لا يستطيع تحمّل حر الشمس في الدنيا، فكيف يستطيع تحمّل حرّ النار في الآخرة، وكذلك هو لا يستطيع سماع صوت الرعد، الذي هو صوت السحاب الموجب للاضطراب في الدنيا، فكيف يستطيع سماع صوت الغضب الإلهي في الآخرة؟ مع العلم بأن الحالات الماديّة في الدنيا لا يمكن قياسها بالآخرة، فلا مخرج سوى رحمة الله سبحانه، فارحمنا يا الله!

[الدُّعاءُ الحادي والخمسون]

وَكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي التضرّع والاستكانة(١)

[١/٥١ ـ دعاء التضرّع والاستكانة]:

إلهِي، أحْمَدُكَ(٢) ـ وَأنْتَ لِلحَمْدِ أهْلٌ ـ عَلَى حُسْنِ صَنِيْعِكَ(٣) إليَّ، وَسُبُوغِ نَعْمَائِكَ(٤) عَلَيَّ، وَجَزِيْلِ(٥) عَطَائِكَ(٦) عِنْدِي، وعَلَى مَا

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٣٨) بعنوان: «ومن دعائه عليه السلام في الحمد»، وفي ملحق (ش) في الصفحة (٢١٣) بعنوان: «ومن دعائه عليه السلام في التضرع والاستكانة»، وفي (ج) بعنوان: «الحادي والخمسون: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في التضرع والاستكانة»، وفي (ق) بعنوان (السابع والأربعون) وتحته عنوان: «في التضرع والاستكانة»، وفي (ت) بعنوان (الحادي والخمسون) وتحته عنوان: «في التضرع والاستكانة»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٥١)، بعنوان: «دُعاؤهُ في التضرّع».

(٢) في (كَ) (ق) العبارة هكذا: «اللهمّ اني أحمدك».

(٣) في حاشية (د): «الصنيعة: العطية»، وفي (س): «الصنع والصنيع: العطاء، والصنيعة: العطية. س». (حاشية ابن إدريس: ٣١٧)، والصنيع: المعروف والإحسان، والتاء في الصنيعة للنقل من الوصفيّة إلى الاسميّة.

(٤) سبوغ النعماء: سعتها وفيضها.

(٥) في (د): «جزيلَ عطاءكَ»، وفي حاشية (د): «الظاهر أنّ الفتحة التي وقعت لا في موقعها تكون في الواقع من عين لفظة «عطائك»، قدّمت مساهلة حتى وقعت على لام لفظة «جزيل»، وامثال ذلك مما يقع كثيرا في عموم الكتب، وخصوصاً هذا الكتاب، كما لا يخفى على من له في صناعة الورق يد قصير، فضلاً عمّن له في أعمال [كلمات لا تقرأ] يد طولى».

(٦) العطاء: ما يهبه الله للعباد، وفي الاصطلاح: ما يخرجُ كل سنة مرة أو مرتين، وقيل: العطاء: ما يخرجُ كل سنة أو شهر.

٢ ـ الملك الأدوم، على النقيض ممّن يسير على خطى الإنسان.

وهما يقتضيان فيضان الرحمة؛ لأن العذاب الإلهي للإنسان لا يزيد في ملكه تعالى شيئاً؛ لأنه سلطنته عظمى ولا تتأثر بطاعة المطيعين زيادة، ولا بمعصية المذنبين نقصاناً. وحيث لا يوجد تكافؤ بين المنزلتين، فإنّ ذلك يقتضي العفو.

وختم المقطع الأخير بما تقتضيه منزلة الربوبية، وعدّ منها:

١ ـ الرحمة؛ لأنه تعالى أرحم الراحمين.

٢ ـ التجاوز بالعفو عن الذنوب؛ لأنه ذو الجلال والاكرام، ولا يؤمل الكرم إلّا منه تعالى.

٣ ـ التوبة، بقبولها، لأنه التواب الرحيم.

١ ـ حسن الصنع، أي ما فعله الله من خير ومعروف في الخلق والتدبير.

٢ ـ سبوغ النعماء، أي فيضها على الإنسان خاصة وعلى سائر المخلوقات، ولولاها لانعدمت الحياة للإنسان نفسه.

٣ ـ جزيل العطاء، أي كثرته عند الإنسان من الصحة والسلامة والعقل والبصر وغيرها من الاعيان والمعاني.

٤ ـ تفضيل الإنسان بالرحمة على سائر المخلوقات؛ لخلقه في أحسن تقويم.

٥ ـ سبوغ النعمة على الإنسان خاصة، وأفضلها نعمة العقل والصحة.

٦ ـ الاحسان بالتوفيق للشكر، الموجب للهداية، ولولاه لما تمكّن الإنسان من اصلاح نفسه.

٧ ـ الكفاية في الرزق، بحيث لا ينقص الإنسان استمرار الحياة مع القناعة في كل شؤون الحياة.

٨ ـ صرف البلاء من الأمراض بعد دورة النقاهة المتعقبة بالصحة والعافية.

٩ ـ منع المحذور من القضاء، والمحذور: ما يخاف منه، وهو استمرار القضاء الإلهي فيما يكرهه الإنسان مما فيه الشر.

فإنّ هذه الأمور بالاجمال تستدعي الحمد، وتوجب التضرع لاستمرارها، وعدم الابتلاء بنقائضها.

[٢/٥١ ـ اللطف الإلهي]:

إلهي، فَكَمْ[١] مِنْ بَلاءٍ جاهِدٍ[٢] قَدْ صَرَفْتَ عَنِّي؟، وَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ سَابِغَةٍ أقرَرْتَ بِهَا عَيْنِي؟[٣]، وَكَمْ مِنْ صَنِيْعَةٍ كَرِيْمَةٍ[٤] لَكَ عِنْدِي؟.

---

(١) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «إلهي، كم».

(٢) لم ترد في (ك): «جاهد».

(٣) أقرَّ الله عينهُ: أي اعطاهُ حتى تقرَّ عينهُ فلا تطمح إلى ما فوقهُ، ويُقال: حتى تبرد ولا تسخن، فإنَّ للسرور دمعة باردة، وللحزن دمعة حارَّة.

(٤) الكريمة: الشريفة، وكل شيء يشرّفْ في بابهِ فإنهُ يوصف بالكرم.

فَضَّلْتَنِي[(١)] مِنْ رَحْمَتِكَ، وأَسْبَغْتَ[(٢)] عَلَيَّ مِنْ نِعْمَتِكَ، فَقَدِ اصْطَنَعْتَ[(٣)] عِنْدِي مَا يَعْجِزُ عَنْهُ شُكْرِي.

وَلَولَا إحْسانُكَ[(٤)] إلَيَّ، وَسُبُوغ نَعْمَائكَ عَلَيَّ[(٥)] مَا بَلَغْتُ شيئاً[(٦)] من[(٧)] إحْرَازَ حَظِّي[(٨)]، وَلَا إصْلاحَ نَفْسِي، وَلَكِنَّكَ اِبْتَدأتَنِي بالإحْسَانِ، وَرَزَقْتَنِي في أُمُورِي[(٩)] كُلِّهَا الكِفَايَةَ[(١٠)]، وَصَرَفْتَ[(١١)] عَنِّي جَهْدَ البَلاءِ[(١٢)]، وَمَنَعْتَ مِنِّي مَحْذُورَ القَضَاءِ[(١٣)].

التضرّع هو التذلل والخضوع، والاستكانة: طلب سكون النفس، ولا يحصل ذلك إلّا بالرجوع إلى الله الذي يهب السكينة للإنسان؛ فإنّ السكينة تتحقق بسكون النفس، وهو انما يتحقق بالتذلل لمن يستحقه، وهو الله وحده دون سواه.

واستفتح الدعاء بالحمد لله تعالى على أُمور توجب التضرّع والاستكانة، وهي:

---

(١) في (ك) وملحق (ش) زيادة: «به».
(٢) أسبغت: اتممتَ.
(٣) الاصطناع: الإحسان والتربية والتأديب وفعل المعروف.
(٤) في (ك): «ولولا حسن صنيعك».
(٥) في (ق): «الديّ».
(٦) لم ترد في (د): «شيئاً».
(٧) عبارة: «شيئاً من» من (ق) (ج).
(٨) في (ق): «حقّي»، أي لولا إحسانِكَ وسعة نعمَتك لما أدركت ووصلتَ إلى تحصيل نصيبي من الخير.
(٩) في (ك): «الأمور».
(١٠) الكفاية: ما يحصل بهِ سدّ الفقر والحاجة وبلوغ المراد.
(١١) في (ك): «وَصَرَّفْتَ».
(١٢) جهد البلاء: الحالة الّتي يختار عليها الموت. أو الفقر.
(١٣) المحذور: المخوف الذي يحترز منهُ، والقضاء: الحكم، والمعنى: إنكَ لم تقض عليَّ بما أحذرُ منهُ وأكرههُ، بل قضيتَ عليَّ بما حسن موقعهُ عندي.

٢ ـ الاقالة للزلة عند العثار، وهو السقوط في الاثم بمقتضى الطبيعة الإنسانية بقبول التوبة.

٣ ـ مجازاة الأعداء بأخذ الظلامة، وهي ما يطلبه المظلوم ممّن ظلمه من حق؛ تحقيقاً للعدالة.

وهذه الأمثلة تحصل في الإنسان عادة، وحينها يشعر بأن الوسائل الماديّة التي استخدمها في تحقيق المطلوب له من الرجوع إلى مراكز العدالة الوضعية مثلا لم تثمر ثمرة، لأن العدوّ سوف يستخدم مثلها أو أقوى منها، فيقع مضطراً إلى ان يرجع إلى الله سبحانه بالدعاء، ويحقّق مطلوبه بالصبر والاتكال على الله تعالى وإن طال الزمن.

[٣/٥١ ـ أنواع الحمد]:

إِلهِي، مَا[١] وَجَدْتُكَ بَخِيْلاً حَيْنَ سَأَلْتُكَ، وَلَا مُنْقَبِضاً[٢] حَيْنَ أَرَدْتُكَ، بَلْ وَجَدْتُكَ لِدُعَائِي سَامِعاً، وَلِمَطَالِبِي مُعْطِياً، وَوَجَدْتُ[٣] نُعْمَاكَ عَلَيَّ سَابِغَةً فِي كُلِّ شَأْنٍ[٤] مِنْ شَأْنِي، وَكُلِّ زَمَانٍ مِنْ زَمَانِي.

فَأَنْتَ[٥] عِنْدِي مَحْمُودٌ[٦]، وَصَنِيْعُكَ لَدَيَّ[٧] مَبْرُورٌ، تَحْمَدُكَ[٨]

---

(١) في (ك): «فما».
(٢) في (ق): «متقبّضاً»،وفي حاشية (ج) (د): «متقبضا ـ س»، والتقبض والانقباض: ضدّ الانبساط، يقال: وجدتُ فلاناً منقبضاً: إذا لم يكن مسروراً ولا طيِّب النفس، والإرادة ـ هنا ـ: القصد والطلب، أي حين قصدتُكَ وطلبتُكَ. (رياض السالكين ٧: ٣٤٥).
(٣) في (ت): «وجدت».
(٤) الشأن: الأمر.
(٥) في (ك) (ت): «وأنت».
(٦) لم ترد في (ت): «محمود».
(٧) في (ك): «وَصنيعك عندي».
(٨) في (ك): «يحمدك».

أنْتَ الَّذِي أجَبْتَ عِنْدَ الاضْطِرَارِ دَعْوَتِي، وَأقَلْتَ عِنْدَ العِثَارِ زَلَّتِي(١)، وَأخَذْتَ لي(٢) مِنْ الأعْدَاءِ بِظُلَامَتِي(٣).

ولطف الله سبحانه يعمّ الإنسان في جميع حالاته منذ الولادة حتى يستمر في الحياة معتمداً على نفسه ومتوكّلا على الله في سيره وسلوكه.

وقد أشار إلى ذلك بالاجمال في هذا المقطع؛ لخروج موارد اللطف الإلهي عن الحصر والعدّ، وأقلها اللطف باستمرار الحياة، فقال بالاجمال:

١ ـ صرف البلاء الجاهد، أي المكروه الشاق الذي لا يتحمّله الإنسان عادة من الأمراض والعاهات.

٢ ـ إقرار النعم السابغة، والاقرار: ايجاد السرور في القلب والذي يظهر أثره في العين، وأقلها نعمة الحياة.

٣ ـ صنع المعروف الكريم، أي الشريف لعظمته في بابه، ويعرفه كل من يراه معروفاً وشرفاً كالعلم والصحة.

وبعد أن أشار إلى هذه الموارد من اللطف الإلهي بالاجمال، ذكر امثلة ثلاثة تحصل للإنسان في الحياة، حيث يحاول الإنسان ايجاد حل لها بواسطة سائر أفراد البشر، فيرى أنّ كلّا منهم يحاول استغلال الحالة الّتي وقع الإنسان فيها لمصلحته الشخصية بدل أن يساعده في حلها، وحينئذ يرجع إلى الله سبحانه فيجد أنه سبحانه يحلّ مشكلته بالصبر والبصيرة الّتي وهبها الله له، وهذه الامثلة هي:

١ ـ اجابة الدعوة عند الاضطرار، وهو سوء الحال؛ فإنّ الدعاء في هذه الحالة يكون خالصاً وصادقاً، فحينئذ يقتضي الإجابة.

---

(١) أقلتَ: غفرتَ وصفحتَ عن ذنبي، من الإقالة. والعثار: مصدر عثرَ الرجل: إذا سقطَ، وهو استعارة للسقوط في الإثم. والزلة: اسم من زلت قدمهُ، إذا زلقت، أي سقطت في الذنب، والمعنى: غفرت ذنبي عندَ سقوطي في الإثم.

(٢) لم ترد في (ك): «لي».

(٣) في (ق): «ظلامتي»، وفي (س): «الظلامة والظليمة والمظلمة: ما تطلبه عند الظالم، وهو اسم ما أُخذ منك ظلماً». (حاشية ابن إدريس: ٣١٧)، والظلامة: ما يطلبهُ المظلوم من الظالم. أو ما يكون للمظلوم عندَ الظالم.

وما يفيض عن الذات المقدسة صنيع مبرور، أي مشكور دائماً، وقد أشار من أنواع الحمد الى:

١ ـ حمد النفس؛ فإنّ موقف الداعي هو موقف الحمد والشكر.

٢ ـ حمد اللسان؛ بذكر حمد الله في كل صلاة فريضة عشرين مرة في اليوم وعلى كل حال.

٣ ـ حمد العقل؛ وهو الاعتقاد بأداء واجب الحمد لمن يستحقه دون سواه.

٤ ـ حمد الوفاء؛ ليكافئ اللطف الإلهي في عدم الانحصار بالزمان والحالات، كما تقتضيه حقيقة الشكر.

٥ ـ حمداً يبلغ رضا الله سبحانه؛ فإنّ كلّ ما يتصوّره الإنسان من انواع الحمد فهو دون المكافاة الحقيقة لما يجب تجاه انواع اللطف الإلهي.

[٤/٥١ - طلب النجاة]:

فَنَجِّنِي مِنْ سَخَطِكَ، يَا كَهْفِي حِيْنَ تُعْيِيْنِي المَذَاهِبُ[١]، وَيَا مُقِيْلِي[٢] عَثَرَتِي[٣]، فَلَوْلَا سَتْرُكَ عَورَتِي[٤] لَكُنْتُ مِنَ المَفْضُوْحِيْنَ، وَيَا مُؤَيِّدِي بِالنَّصْرِ، فَلَوْلَا نَصْرُكَ[٥] إِيَّاي لَكُنْتُ مِنَ المَغْلُوبِيْنَ، وَيَا مَنْ

---

(١) أي يا ملجئي حين أعجزُ ولا أدري أيّ طريق أسلُكَ للنجاة. والمذاهب: المسالك والطرق.

(٢) في (ت): «ويا مقيل»، وفي حاشية (د): «مُقيلي، بالضم، في سائر النسخ، وهو المضبوط في الشرح والمطابق للقوانين اللغوية».

(٣) في (ق) العبارة هكذا: «ويا مقيل عثرتي»، وفي (ك) العبارة هكذا: «ويا مقيل عثراتي حَيْنَ أوْبَقَتْنِي المَهَالِكُ»، ومقيل عثرتي: أي غافر ذنبي، وأوبقتني: حبستني، والمهالك: جمع المهلك، وهو محل الهلاك.

(٤) في (ك): «فلولا سترك عليّ»، أي إخفاؤكَ مساوئي.

(٥) في (ك): «فلولا نصرتك»، وفي (س): «انتصر عنه: أي انتقم منه». (حاشية ابن إدريس: ٣١٧).

نَفْسِي وَلِسَانِي، وَعَقْلِي[١]، حَمْداً يَبْلُغُ الوَفَاءَ[٢] وَحَقِيْقَةَ الشُكْرِ[٣]، حَمْداً يَكُونُ مَبْلَغَ رِضَاكَ عَنِّي.

وفي هذا المقطع إشارة إلى موجبات الحمد وانواعه على اللطف الإلهي الذي لا يحد ولا يحصى.

فأما الموجبات:

١ ـ عدم البخل، أي المنع حين السؤال؛ حيث إن طبيعة السؤال تقتضي اللطف ممّن يتوجه اليه السؤال.

٢ ـ عدم الانقباض حين الإرادة، أي الطلب من الداعي حيث إن طبيعة الطلب تقتضي اللطف ممّن يتوجه اليه الطلب.

٣ ـ سماع الدعاء بالرغم من كون الداعي مقصّراً.

٤ ـ اعطاء المطالب الّتي يقدمها الداعي بالرغم من كونه ملوماً.

٥ ـ النعمة السابغة في كل شأن، أي في كل الحالات الّتي يمر بها الإنسان في حياته.

٦ ـ وفي كل زمان من الماضي والحال والمستقبل.

فإنّ اللطف الإلهي لا ينحصر في حالة خاصة او زمان خاص، بل هو عام غيرمحدود بزمان ومكان وحالة خاصة.

واما الحمد على اللطف فكذلك لابدّ أن لا ينحصر بزمان او مكان او حالة خاصة؛ لأن الفيض الإلهي على العبد ذاتي، فهو تعالى (محمود) في ذاته أبداً،

---

(١) في (ك) زيادة: «وَما أقلَّت الأرض منِّي»: أيما حملت الأرض ورفعتهُ منِّي.
(٢) الوفاء مصدر: التمام والكمال.
(٣) حقيقة الشكر: كنههُ وأصلهُ، ويُقال: خالصه ومحضه، ويُقال: كمالهُ وغايتهُ.

سطواته خائفون) لعلمهم بانه يهب الملك لمن يشاء وينزع الملك ممّن يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

٥ ـ اهل التقوى، أي حقيق بأن يتقّى عقابه.

٦ ـ له الاسماء الحسنى الجامعة لصفات الكمال والجلال، فلا تكون الاسماء الحسنى إلّا لله تعالى.

وبالجملة، لا يكون النجاة في الحياة الا بالتعبئة الروحية واللّجوء إلى الله سبحانه؛ فإنّ المقاييس الماديّة لابدّ وأن تنتهي بالعدم.

[٥/٥١ ـ من حالات الداعي]:

أسْأَلُكَ أنْ تَعْفُوَ عني وَتَغْفِرَ لي، فَلَسْتُ[١] بَرِيّاً[٢] فَأعْتَذِرَ، وَلَا بِذِي قُوَّةٍ فأنْتَصِرَ، وَلَا مَفَرَّ[٣] لِي فأفِرَّ[٤].

وأسْتَقِيلُكَ[٥] عَثَرَاتِي، وَأتَنَصَّلُ[٦] إلَيْكَ مِنْ ذُنُوبي الّتي قَدْ أوْبَقَتْنِي[٧]، وَأحَاطَتْ[٨] بِي فأهْلَكَتْنِي.

مِنْهَا فَرَرْتُ إلَيْكَ ربِّ[٩] تَائِبَاً فَتُبْ عَلَيَّ، مُتَعَوِّذَاً فَأعِذْنِي[١٠]،

---

(١) في (ك) العبارة هكذا: «أسْأَلُكَ أنْ تَعْفُوَ وَتَغْفِرَ، فَلَسْتُ».

(٢) في (ق) (ت): «برياً»، وفي (ك) وملحق (ش): «بريئاً»، وفي (ج): «بريا»،وفي حاشية (ج) في نسخة: «بريئاً».

(٣) في حاشية (ج) (د): «مَفَرّ، مَفِرّ ـ معاً».

(٤) في (ت): «فأقَرّ».

(٥) في (ك): «استقيلك» بدون واو، وفي (ق) (ت): «فأستقيلك»، واستقيلُكَ عثراتي: أي اسألُكَ أن تغفر لي ذنوبي.

(٦) في (ت): «انتصل»، وأتنصل: أتبرّأ، واتخلّص بالاعتذار وطلبِ العفو.

(٧) في (ك) العبارة هكذا: «وَأتَنَصَّلُ إلَيْكَ مِنْ ذُنُوبٍ قَدْ أوْبَقَتْنِي»، وأوبقتني: أذلّتني.

(٨) في (ق): «فأحاطت».

(٩) لم ترد في (ك): «ربِّ».

(١٠) في حاشية (د): «وأعذني ـ س»، وقوله: متعوّذاً فأعذني، أي معتصماً وملتجئاً فاحفظني.

وَضَعَتْ لَهُ المُلُوكُ نِيرَ[١] المَذَلَّةِ عَلَى أعْنَاقِها[٢] فَهُمْ مِنْ سَطَوَاتِهِ[٣] خَائِفُونَ، وَيَا أهْلَ التَّقْوى[٤] وَيا مَنْ[٥] لَهُ الأسْمَاءُ الحُسْنَى.

كل إنسان يقف على مفترق الطرق في حياته ويكون في معاناة لاختيار الطريق الذي يجب أن يسلكه والمذهب الذي يجب ان يذهب فيه؛ حيث إن الصراط المستقيم لكل شيء في الحياة واحد، وهو الذي يوصل إلى المقصد في أسرع وقت، وغيره لا يكون بهذه المثابة، وبعد تواتر اللطف الإلهي على الإنسان ومعرفة الصراط المستقيم والإعراض عنه لا نجاة من سخطه تعالى إلّا باللجوء اليه، وقد أشار في هذا المقطع إلى بعض الصفات الإلهيّة التي تقتضي نجاة الداعي، وهي:

١ ـ الكهف، وهو الملجأ الذي يأوي إليه الملهوف، وهي على مفترق الطرق والمذاهب.

٢ ـ مقيل العثرة، أي المسامحة عن الزلات من الذنوب، فإنّ عدم الاقالة يوجب الفضيحة للمذنب؛ لأنها عورة يتحاشاها الإنسان، والاقالة سترٌ لها.

٣ ـ المؤيد بالنصر بالتعبئة الروحية لروح المقاومة، ولولا نصرالله بهذه الروح لكان الإنسان مغلوباً للقوى الطاغية.

٤ ـ مذل الملوك؛ فإنّ القوى الماديّة المتمثلة في اصحاب الملك تخضع امام ملوكيته تعالى؛ فإنّ (نير المذلّة على أعناقها) والنير: الخشبة الّتي توضع في عنق الثور حال الحرث، والملوك في الدنيا تحت قدرة الله، فإنّ نير المذلة لله تعالى في اعناقهم، فهم يتوجهون اليه تعالى في حالات مرضهم ومشاكلهم الّتي لا يمكنهم حلها، وعند فقد الأحبة والأولاد والابتلاء بالأعداء والاضداد (فهم من

(١) النير: الخشبة المعترضة في عنقي الثورين حال الحرث، ج: انيار، والعبارة تمثيل واستعارة لبيان الذُل والاستكانة.

(٢) في (ك): «أعناقهم».

(٣) في (ك): «سطوته»، والسطوة: البطش والأخذ بعنف وشدَّة.

(٤) يا أهل التقوى: يا حقيقاً بأن يُتقى ويخشى من عقابِهِ وأن يطاع وتجتنب معاصيهِ.

(٥) في (ك): «ومن»، وقوله: «يا من لهُ الأسماء الحُسنى»، أي: يا من لهُ أحسن الأسماء.

١ ـ ليس بريئاً؛ لمكان المعصية، فلا مورد للاعتذار مع ثبوت الجرم عن علم وقصد؛ فإنّ أثر الجرم لا ينمحي.

٢ ـ ليس قوياً، فلا يمكن ان ينتصر مع العصيان.

٣ ـ لا موضع يفرّ اليه من العصيان إلّا إلى الله سبحانه.

٤ ـ مستقيل للعثرات، يطلب الاقالة.

٥ ـ منتصّل من الذنوب، أي الخروج منها بالتوبة؛ فانها ذنوب موبقة، أي متلفة و محيطة بالإنسان توثّر عليه نفسياً، فهي مهلكة له روحياً.

٦ ـ فارّ إلى الله تعالى وحده من الحالة الّتي طوّقت حياته، حيث لا نجاة الّا بالله تعالى.

٧ ـ تائب، أي راجع إلى الله تعالى بسلوك الصراط المستقيم الذي أمر به تعالى.

٨ ـ المسكين، وهو الذليل المقهور وان كان غنياً.

٩ ـ المستكين، وهو الذليل الخاضع وان كان قوياً.

١٠ ـ المشفق، الذي هو في حالة الحذر من العقاب.

١١ ـ الخائف، المتوقّع للمكروه المتوعّد على ما ارتكب.

١٢ ـ الوجل، من استشعر الخوف بمواجهة الواقع المرّ الذي فيه.

١٣ ـ الفقير، الذي يفقد ما يحتاج اليه.

١٤ ـ المفتقر، الذي لا ملجأ له.

١٥ ـ الضعيف، الذي يفقد القوة في النفس والبدن والحال، وقد خصّ في هذا المقطع موردين من الضعف، وهما:

أ ـ ضعف المسارعة في اعمال الخير الّتي توجب الحرمان مما وعد الله أولياءه من الثواب.

مُسْتَجِيراً(١) فَلَا(٢) تَخْذُلْنِي، سائلاً فلا تحْرِمنِي، مُعْتَصِماً(٣) فَلَا تُسْلِمْنِي(٤)، دَاعِياً(٥) فَلَا تَرُدَّنِي خائباً(٦).

دَعَوْتُكَ ـ يا ربّ(٧) ـ مِسْكِيناً(٨)، مُسْتَكِيناً(٩)، مُشْفِقاً(١٠)، خَائِفاً، وَجِلاً، فَقِيْراً، مُضْطَرّاً(١١).

أشْكُو إليْكَ(١٢) ـ يا إلِهِي(١٣) ـ ضَعْفَ نَفْسِي عَنِ المُسَارَعَةِ فِيمَا وَعَدْتَه(١٤) أوْلِيَاءَكَ، والمُجَانَبَةِ عَمَّا حَذَّرْتَهُ أعْدَاءكَ، وَكَثْرَةَ هُمُومِي، وَوَسْوسَةَ نَفْسِي(١٥).

وأشار في هذا المقطع إلى بعض حالات الداعي الّتي تستوجب النجاة إمّا بالعفو باسقاط العقاب، وإما بالمغفرة بالستر على الذنب، ومن حالات الداعي:

---

(١) مستجيراً، أي: مستغيثاً ومستعيناً.

(٢) في حاشية (ج): «ولا ـ س»، وقوله: فلا تخذلني، أي: فلا تترك نصرتي وإعانتي.

(٣) معتصماً: ملتجئاً وممتنعاً من الشرّ والمكروهِ بلطفِكَ.

(٤) «فلا تسلمني»، أي: لا تترك نصرتي وإعانتي.

(٥) عبارة: «سائلاً فلا تحْرِمنِي، مُعْتَصِماً فَلَا تُسْلِمْنِي، دَاعِياً» ساقطة من (ت).

(٦) في (ك) العبارة هكذا: «رَاغِبَاً فَلَا تَرُدَّنِي خائبا»، وراغباً، أي: أقبلتُ عليكَ وأردتُكَ حريصاً عليكَ ومحبّاً لَكَ.

(٧) لم ترد في (ك): «يا رب»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «يا ربّي».

(٨) مسكيناً: فقيراً سيّئ الحال.

(٩) مستكيناً: خاضعاً ذليلاً.

(١٠) مشفقاً: خائفاً حذراً متحرّزاً.

(١١) في (س) وملحق (ش) العبارة هكذا: «مُضْطَرّاً إليْكَ».

(١٢) في (ك) (ق): «إليك أشكو».

(١٣) لم ترد في (ق): «يا إلهِي».

(١٤) في (ك): «وعدت».

(١٥) في حاشية (ج) زيادة: «على المسارعة، إلِهي ـ س»، وفي حاشية (د): «عن المنازعة ـ س»، وفي (ك) زيادة: «وقساوة قلبي، وما تعلم ما أكرهه من نفسي»، والمراد من قوله: «وسوسة نفسي»: حديث النفس بالشرّ أو بما لا فائدة فيهِ.

حياته كلها، وتلك الحالات تقتضي شمول اللطف الإلهي لنجاة الإنسان منها روحياً ومعنوياً.

[٦/٥١ ـ الرجاء]:

إلٰهي[١]، لَمْ[٢] تَفْضَحْنِي بِسَرِيرَتِي، وَلَمْ[٣] تُهْلِكْنِي بِجَرِيرَتِي[٤]، أدْعُوكَ فَتُجِيبُنِي وَإنْ[٥] كُنْتُ بَطِيئاً حِينَ تَدْعُونِي، وَأسْأَلُكَ كُلَّ مَا[٦] شِئْتُ مِنْ حَوائِجِي[٧]، وَحَيْثُ مَا كُنْتُ وَضَعْتُ عِنْدَكَ سِرِّي، فَلَا أدْعُو[٨] سِوَاكَ، وَلَا أرْجُو غَيْرَكَ.

لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ[٩]، تَسْمَعُ مَنْ[١٠] شَكَا إلَيْكَ، وَتَلْقَى[١١] مَن تَوَكَّلَ عَلَيْكَ[١٢]، وَتُخَلِّصُ مَنِ اعْتَصَمَ بِكَ، وَتُفَرِّجُ عَمَّنْ لاذَ بِكَ[١٣].

وآلاء الله سبحانه وألطافه تعالى كلها تبعث على الرجاء، ولكن خصّ هذا المقطع بذكر ثلاث منها:

---

(١) في (ق): «يا إلهي».
(٢) في (ت): «اللهم لا».
(٣) في (ت): «ولا».
(٤) في (ك): «بمعاصي».
(٥) في (ت): «فإن».
(٦) في حاشية (د): «الظاهر ان فتحة: «ما» أخرت حتى وضعت على شين: «شئت»».
(٧) في (ك): «حاجتي».
(٨) في (ق) (ت): «ولا أدعو».
(٩) لبَّيك: أي أنا مقيم على طاعتكَ إلباباً بعد إلباب، وإجابة بعد إجابة، أو معناهُ: اتجاهي وقصدي لَكَ. وأصلُ «لبيكَ»: لبين لكَ، فحذفت النون للإضافة، وهو منصوب على أنهُ مفعول مطلق، عاملهُ محذوف، كقولِكَ: حمداً وشكراً.
(١٠) في (ك): «ممن».
(١١) في (ك) (ق) (ت): «وتكفي»، وفي حاشية (ج) (د): «وتكفي ـ س».
(١٢) أي: تغني عن غيركَ من توكلَ عليكَ. (رياض السالكين ٧: ٣٦).
(١٣) لاذَ بِكَ: التجأ إليكَ.

ب ـ وضعف المجانبة عن اعمال الشرّ الّتي حذّر الله سبحانه منها. وانهمك فيها الأعداء واستحقوا العقاب.

١٦ ـ ذو همّ، وهو الحزن الذي يذيب الإنسان، وكثرة الهموم المحيطة بالإنسان تؤثر في حياته نفسياً وتوجب تحطّمه معنوياً وبسبب ذلك يختل صحته جسمياً.

١٧ ـ ذو وسوسة، وهي ما يحدث في نفس الإنسان من الخطرات الّتي لا خير فيها، والتي تكشف عن عدم الثبات في الرأي وعدم الوضوح في الرؤية في الحياة.

وهذه الحالات في نفسها حالات نفسية أو ماديّة تفتقر إلى الصلاح الروحي أو المادي، وتستوجب النجاة منها حتى يصبح الإنسان عضواً صالحاً في المجتمع ليقوم بدوره المسؤول.

وقد توجّه السائل حالكونه متبلساً بهذه الصفات المستوجبة للنجاة، فهو في حالة كهذه يستحق النجاة من الله سبحانه بلطفه العميم المأمول من ذاته المقدسة، ومنه:

١ ـ قبول التوبة، (فتب عليّ) بالرجوع من العقوبة إلى اللطف.

٢ ـ الاعاذة، (فأعذني) بقبول الاستعاذة، وهي الاعتصام به تعالى.

٣ ـ الاجارة، وهو الامان (مستجيراً فلا تخذلني) إذ لا اوثق من امان الله وجواره تعالى.

٤ ـ النصر باجابة السؤال بالايجاب، (فلا تحرمني) والحرمان: المنع.

٥ ـ العصمة، وهي المنعة مما يخاف منه، (فلا تسلمني) بالاهمال الذي هو تسليم إلى الهلاك.

٦ ـ قبول الدعاء (فلا تردّني خائباً) فإنّ ردّ الدعاء خيبة، وهي فوت المطلوب وعدم الظفر به.

وبالجملة، فحالات الإنسان كلها تعبّر عن العجز الكامل المستولي عليه في

[٧/٥١ ـ والله أَرْحَمُ الراحمين]:

إِلهِي، فَلَا تَحْرِمْنِي خَيْرَ الآخِرَةِ وَالأُولى لِقِلَّةِ شُكْرِي، وَاغفر لي[١] ما تَعْلَمُ مِنْ ذُنُوبِي.

إِنْ تُعَذِّبْ، فأنَا الظَّالِمُ المُفَرّطُ[٢] المُضَيِّعُ[٣]، الآثِمُ، المُقَصِّرُ، المُضجّعُ[٤]، المُغفِلُ[٥] حَظَّ نَفْسِي. وَإِنْ تَغْفِرْ[٦]، فأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ.

وختم الدعاء بالإشارة إلى الرحمة الإلهيّة الواسعة الّتي يرجوها الداعي بالرغم من صفاته الّتي تبعدّهُ عنها؛ لكونه:

١ ـ الظالم، لأنه تجاوز حدود المسؤولية الإسلامية الملقاة على عاتقه في نفسه ومجتمعه.

٢ ـ المفرّط بالتقصير بالحقوق حتى فات دور الاداء فيها؛ فإنّ التفريط يسلب الثقة، وذلك يؤثر على النفس والمجتمع.

٣ ـ المضيّع بإهمال الحقوق والواجبات تجاه نفسه من الصحة والسلامة، واسرته من الصيانة، وبالنتيجة المجتمع.

---

(١) في (ق): «فاغفر لي».
(٢) في (ت): «المقصّر»، والمفرّط: المتواني في الإطاعة.
(٣) المضيِّع: المفوّت لما يجبُ القيام بهِ.
(٤) في حاشية (ج) (د): «المضجع ـ س»، وفي (س): «التضجيع في الأمر: التقصير فيه، وتضجّع في الأمر: أي تقعَّد ولم يقم به». (حاشية ابن إدريس: ٣١٧)، وفي (ك) العبارة هكذا: «وَاعْفُ عَمَّا تَعْلَمُ مِنْ ذُنُوبِي، إنْ تُعَذِّبْ فأنَا الظَّالِمُ المُفَرّطُ، وَالآثِمُ المُضيعُ، والمُقَصِّرُ المضجع»، والمضجِّع: المتردد الذي لم يقم بالمطلوب تقصيراً.
(٥) المغفّل: التارك، والحظ: النصيب، أي المفوّت منفعة نفسه جهلاً.
(٦) هذا عدل ما تقدَّمَ من قوله: «ان تعذِّب»، والمعنى: ان تعذِّب فعذابُكَ عدلٌ، وإن تغفر فأنتَ أرحمُ الراحمين.

١ ـ المحافظة على السرّ؛ فبالرغم من علمه تعالى بالاسرار الّتي يسرّها الإنسان من الآخرين، فهو تعالى لا يفضح السريرة، أي سرّ الإنسان.

٢ ـ الامهال في العقاب، فهو تعالى لا يهلك المذنب فوراً بالجريرة، أي الذنب، بل يمهله للتوبة والإنابة.

٣ ـ اجابة الدعاء الخالص بالرغم من اهمال الإنسان مسؤولياته تجاه ما يدعوا إليه الله سبحانه من العمل والخير.

فإنّ هذه النقاط زيادة في اللطف والاحسان حيث لا يستحقها الإنسان العاصي.

وهذه توجب على الإنسان أن يركّز رجاءه على الله تعالى وحده دون سواه بالسؤال منه تعالى لقضاء الحوائج في أيّ حال او زمان او مكان، وإذا أخلص الرجاء حقيقة انحصرت التلبية اليه تعالى، والتلبية تعني الاقامة على الطاعة، طاعة بعد طاعة، من دون انقطاع في الحياة، والقول باللسان والعمل بالاركان.

ويلازم الاخلاص الصادق هذا، في أُمور:

١ ـ الشكوى إلى الله وحده؛ فإنّه يسمع الداعي، واما الشكوى إلى الناس فيلازمه ان السامع يستمع إلى حاجات نفسه أوّلا، ويستخدم الراجي في تحقيقها لنفسه ثانياً.

٢ ـ التوكل على الله وحده، فإنّه تعالى يلقي، أي يستقبل من أدّى ما عليه ثم توكل على الله.

٣ ـ الاعتصام بالله وحده، فإنّ الله يخلّص، أي ينجي من اعتصم به، أي استمسك بطاعته.

٤ ـ واللوذ، أي الالتجاء إلى الله وحده؛ فإنّ الله يفرّج الهم عنه بتقوية الروح المعنوية فيه؛ للاستمرار على الطريق الصائب والصراط المستقيم.

[الدعاء الثاني والخمسون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في الإلحاح على الله تعالى[1]

[١/٥٢ ـ دعاء الالحاح]:

يا اَللّهُ الَّذي لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ، وَكَيْفَ يَخْفى عَلَيْكَ ـ يا إِلهي ـ ما أَنْتَ خَلَقْتَهُ[2]؟!

وَكَيْفَ لا تُحْصي ما أَنْتَ صَنَعْتَهُ[3]، أَوْ[4] كَيْفَ يَغيبُ عَنْكَ ما أَنْتَ تُدَبِّرُهُ؟!

أَوْ[5] كَيْفَ يَسْتَطيعُ أَنْ يَهْرُبَ مِنْكَ مَنْ لا حَياةَ لَهُ إِلّا بِرِزْقِكَ؟

أَوْ[6] كَيْفَ يَنْجُو مِنْكَ مَنْ لا مَذْهَبَ لَهُ في غَيْرِ مُلْكِكَ؟.

---

(١) ورد هذا الدعاء في ملحق (ك)، بنفس الرقم والعنوان، وفي ملحق (ش)، في الصفحة (٢١٥) بنفس الرقم والعنوان، وفي (ج) بعنوان: «الثاني والخمسون: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في الإلحاح على الله تعالى»، وفي (ت) بعنوان: (الثاني والخمسون) وتحته عنوان: «في الإلحاح على الله عز وجل»، ولم يرد هذا الدعاء في (ق)، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٥٢)، بعنوان: «دُعاؤُهُ في الإلحاحِ».

(٢) في (ت): «خالقه».

(٣) في (ت): «صانعه».

(٤) في (ت): «أم».

(٥) في (ت): «أم».

(٦) في (ت): «أم».

٤ ـ الآثم بارتكاب الذنوب الّتي تعرقل مسيرة الحياة للفرد والاسرة والمجتمع.

٥ ـ المقصّر بالتواني في القيام بدوره الإسلامي المطلوب في كل حال.

٦ ـ المضجّع، من التضجيع، أي التناوم عن أداء الرسالة كالنائم.

٧ ـ المغفّل حظّ نفسه، أي نصيب نفسه في إسعاد نفسه المؤثر في سعادة مجتمعه؛ فإنّ سعادة المجتمع بسعادة الفرد والثقة المتبادلة.

فإنّ هذه الصفات تقتضى سلب الرحمة عن الإنسان، ولكن بالتوبة والتضرع والاستكانة الّتي تكررت في هذا الدعاء تقتضي شمول الرحمة الإلهيّة له، وان لا يحرم من خير الأولى وهي الدنيا الّتي يعيش فيها الحياة الأولى، وخير الآخرة من الثواب على قبول التوبة بالرغم من قلّة الشكر فيما سبق في زمن الخطايا والاخطاء بعد غفران الذنوب الّتي لا يعلمها الا الله سبحانه.

فالإنسان المعترف بالاخطاء والخطايا يستحق العقاب لظلمه على نفسه، وليس العذاب من الله ظلماً، بل تحقيقا لما يستحقه، وان كان يقتضي الترحم عليه لمقام التوبة، وعدم قطع رجاءه بالمغفرة؛ لأنه تعالى أرحم الراحمين.

[٢/٥٢ ـ طريق الخلاص]:

سُبْحانَكَ، أَخْشى خَلْقِكَ لَكَ أَعْلَمُهُمْ بِكَ، وَأَخْضَعُهُمْ لَكَ أَعْمَلُهُمْ بِطاعَتِكَ، وَأَهْوَنُهُمْ(١) عَلَيْكَ: مَنْ أَنْتَ تَرْزُقُهُ وَهُوَ يَعْبُدُ غَيْرَكَ.

وطريق الخلاص ينحصر بالطريق الذي مهّده سبحانه للعباد بالتوبة والإنابة، وذلك يستلزم أمرين:

الأوّل: العلم بالقدرة الإلهيّة، وذلك يستلزم الخشية وهي الخوف مع التعظيم، وبحسب درجات العلم بهذه القدرة تكون درجات الخشية؛ فإنّ أخشى الخلق لله اعلمهم به تعالى، وهذا العلم يستتبع العمل كما سيأتي.

الأمر الثاني: هو العمل بالطاعة لتنفيذ اوامره والاجتناب عمّا نهى عنه، فإنّ العلم يستتبع العمل، فهما متلازمان، فإنّ تخلف العمل يكشف عن عدم العلم الحقيقي، ولذلك تختلف درجات العمل، وبحسب هذه الدرجات يكون الخضوع وهو التواضع، فإنّ اخضع الخلق لله أعملهم بطاعته.

وايّ طريق اخر للخلاص لا يستلزم الأمرين من العلم والعمل يكون طريق الهوان؛ لأنه يتنعم برزق الله ويعبد غيره، فإنّ ذلك من اظهر مصاديق كفران النعمة الّتي تلازم الهون، وهو الخزي.

[٣/٥٢ ـ ظهور القدرة]:

سُبْحانَكَ! لا يَنْقُصُ سُلْطانَكَ مَنْ أَشْرَكَ بِكَ، وَكَذَّبَ رُسُلَكَ(٢)، وَلَيْسَ يَسْتَطِيعُ مَنْ كَرِهَ قَضاءَكَ(٣) أَنْ يَرُدَّ أَمْرَكَ، وَلا يَمْتَنِعُ(٤)

---

(١) في (ت): «وأوهنهم».
(٢) في حاشية (د) ظاهراً: «رسولك ـ س».
(٣) في (ت): «فضلك».
(٤) في (د): «تمتنع»، وفي حاشية (د): «الظاهر أن مورد الإعجام من تحت، كما في سائر النسخ»، وفي حاشية (د) أيضاً: «امتنع منه امتناعاً: قوي على منع نفسه منه واعتز وتأبى عما يراد منه. من الشرح». (رياض السالكين ٧: ٣٧٧).

الالحاح: هو المواظبة على السؤال بتكرار الطلب دائماً، والسبب الموجب للإلحاح هو علم الداعي بقصوره في أداء الواجب الملقى عليه من ناحية، وعلمه بقدرة الله تعالى العليا على كل شيء ومن ذلك عفوه ورحمته الواسعة من ناحية ثانية، فافتتح الدعاء بالصفات الإلهيّة الّتي تلازم هذه القدرة، منها:

١ ـ الخلق للمخلوقات، سواءً في الأرض أو السماء، فهي باعتبارها مخلوقة له تعالى تكون محتاجة اليه في الخلق، وعلمه تعالى بالمصلحة الكونية في هذا الخلق من أسباب الخلق كله، فلا يخفى عليه شيء منها.

٢ ـ الصنع، وهو إجادة الفعل[1]، فإنّ النظام والدقة المتناهية في شروق الشمس وغروبها والكواكب السيارة منها وغيرها كلها تسير بنظام بحيث لو اختل لحظة كانت له عواقب وخيمة على الكون كله والأنظمة الموجودة في العالم.

٣ ـ التدبير، وهو فعل الشيء مع التفكير في آثاره، أي عاقبته وأثره، فإنّ مخلوقات الله تعالى تخدم آثاراً ملقاة على عاتقها كواجبات ذاتية، وهي تتحرك لتحقق تلك الآثار في نفسها ومن ثمّ في الكون، وتلك الآثار ملحوظة عند الخلق، وليست غائبة.

٤ ـ الرزق، وهو كلما ينتفع به في الحياة لاستمرارها من الأسباب الماديّة، وأقلّها الهواء الطلق الذي لولاه لما تمكن الإنسان من الحياة، فإنّ انعدام مادة الاوكسجين منها تستلزم نهاية الحياة، فلا مهرب منه تعالى.

٥ ـ الملك، وهو القدرة على التصرف ولله القدرة العليا في الكون بالخلق والصنع والتدبير والرزق، فلا طريق يذهب الإنسان بالسلوك فيه إلى النجاة والخلاص سوى الطريق الذي مهّده سبحانه له، وهو التوبة والإنابة.

وهذه الصفات الإلهيّة الملازمة لقدرته تشمل حالة الداعي التائب المنيب لتقبّل توبته.

---

(١) والصنع فعل وزيادة قيد، فهو أخص مطلقا، والفعل أعم مطلقا، فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعاً.

أشرك وكذّب وكره وامتنع واختفى وعمّر، فإنّ مصير الكل إلى يوم الحساب أمام ربّ الأرباب.

[٤/٥٢ ـ عظمة الشأن]:

سُبْحانَكَ!، ما أَعْظَمَ شَأْنَكَ؟، وَأَقْهَرَ سُلْطانَكَ؟، وَأَشَدَّ قُوَّتَكَ؟، وَأَنْفَذَ أَمْرَكَ ؟.

ومظاهر القدرة المذكورة تدل على عظمة الشأن الّتي توجب على العاقل ان يسبّح الله تعالى، والتسبيح: تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه من الأمور المنافية لمظاهر القدرة تلك، وهي:

١ ـ الشرك؛ بطاعة الهوى.

٢ ـ التكذيب للرسل وعدم الاهتداء بهم.

٣ ـ دفع القضاء الذي لا مفرّ منه.

٤ ـ الامتناع بغير الله تعالى من البشر.

٥ ـ العبادة لغيره من القوى الماديّة الفانية بانتهاء دورها في الحياة.

فإنّ هذه الأمور كلها أمور ماديّة بحتة، والأمور الماديّة لها دور محدود في الحياة، ينتهي دورها بانتهاء أمد الحياة، كما هو الشأن للمادة والماديات حتّى تطغى الطبيعة على الحياة بالطوفان.

وحينما يطغى الإنسان في نفسه والملوك في المجتمع، فإنّ للطغيان أمد محدود، والقدرة الإلهيّة له بالمرصاد في الدنيا بانتهاء أمد الطغيان، وفي الآخرة حينما يرجع الجميع إلى رب العباد.

وحيث ان هذه الأمور المنافية تحصل في مخيّلة الإنسان على أثر قياس القدرة الإلهيّة المطلقة بالقدرة الماديّة في الحياة وجب التسبيح لله، أي تنزيه الله سبحانه من القياس بمخلوقاته؛ لأن هذا القياس مع الفارق؛ لاختلاف القوة في حقيقتهما وآثارهما، منها:

مِنْكَ مَنْ كَذَّبَ بِقُدْرَتِكَ، وَلا يَفوتُكَ مَنْ عَبَدَ غَيْرَكَ، وَلا يُعَمَّرُ فِي الدُّنْيا مَنْ كَرِهَ لِقاءَكَ.

واشار في هذا المقطع إلى بعض مظاهر القدرة الإلهيّة الحاكمة في الكون، وهو:

١ ـ السلطان التام، فإنّ النظام العام السائد في الكون من قانون الأسباب والعلل لا يختل قط؛ فإنّ أيّة حالة توجد في الحياة لابدّ وأن تستند إلى سبب أوجد ذلك، حتى ينتهي إلى مسبّب الأسباب. والشرك بالله وتكذيب الرسل وما شابه حالات تعرض على الإنسان بسبب الجهل وعدم المعرفة؛ فإنّ هذه الحالات تكشف عن نقص في الإنسان الّذي لا يستخدم قوّة العقل الذي وهبه الله، وليس ذلك نقصان في قدرته تعالى الّتي وهبه العقل للتفكير والتمييز.

٢ ـ القضاء؛ فإنّ قضاء الله هو حكمه النافذ في نظام الحياة بأمره وارادته تعالى، فهو نافذ في الكون سواءً كرهه الإنسان ام لا، فلا يستطيع الإنسان ردّ القضاء، أي دفعه؛ لأنه قضاء مقدر.

٣ ـ القدرة، بمعنى عدم العجز عن الشيء، والامتناع: القوة على منع النفس من الشيء؛ فإنّه لا شيء يمكن ان يمتنع من تحقق أمره تعالى فيه، فالعاجز هو المكذّب حيث لا يوجد احد يمنعه من أمر الله تعالى.

٤ ـ الإدراك، بمعنى عدم التعذّر من الفيض على الإنسان بحيث لا يفوته شيء، بل يحاسب بما يستحقه من الشرك والعبادة لغير الحق تعالى.

٥ ـ الإماتة بعد الحياة، وهو المراد من لقاء الله بقرينة السياق؛ فإنّ بالموت يلقى الإنسان ربه للجزاء والحساب، فإنّه لا يعمر في الدنيا خالداً سواء كره اللقاء أم أحبّه، فإنّ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[1].

وهذه المظاهر الخمسة للقدرة الإلهيّة حاكمة في الكون، والإنسان مهما

(١) القرآن الكريم، سورة الرّحمن ٥٥: ٢٦.

ينتهي إلى من أوجده كما أوجده وخلقه أوّل مرة، وكفى بذلك مثالا للقدرة المطلقة الّتي تباركت، أي كثر خيرها في الحياة الدنيا، وتعالت أي ارتفعت ان يكون لها مثيل، فهذه القدرة تكفي في الاعتقاد بالنقاط التالية:

١ ـ الألوهية (لااله الا الله) الموجد للمخلوقات من العدم.

٢ ـ التوحيد؛ لا شريك له في الخلق.

٣ ـ الإيمان، أي الوثوق به تعالى.

٤ ـ تصديق الرسل بالعمل على مؤدّى رسالاتهم.

٥ ـ قبول الكتاب، وهو القرآن الكريم في رسالته السعيدة للحياة.

٦ ـ الكفر بكلّ معبود غير الله تعالى، وذلك بجحده.

٧ ـ البراءة، أي قطع الصلة ممن اتخذ إلهاً غيره.

فإنّ الاعتقاد بالقدرة المطلقة الجديرة بالعبادة يستلزم العمل على مقتضاها، ولا يكون العمل الا بالتدرّج في هذه المراحل والتي تنتهي بالسلوك في الصراط المستقيم وقطع الصلة عمّن يسلك الطرق المنحرفة في الحياة.

[٦/٥٢ ـ حالة السائل]:

أللّهُمَّ إنّي أُصْبِحُ وَأُمْسي مُسْتَقِلّاً لِعَمَلي، مُعْتَرِفاً بِذَنْبي، مُقِرّاً بِخَطاياي، أَنَا بِإسْرافي عَلى نَفسي ذَليلٌ[١]، عَمَلي أَهْلَكَني، وَهَوايَ أَرْداني[٢]، وَشَهَواتي حَرَمَتْني.

ويتضمّن هذا المقطع بعض حالات السائل الداعي المستوجبة للعطف بقبول التوبة، منها:

---

(١) في (د): «أنا بإسرافي ذليل»، وفي حاشية (د): «أنا بإسرافي على نفسي ذليل ـ س».

(٢) في (د): «أرادني»، وفي حاشية (د): «أرداني»، وفي حاشية (د) أيضاً: «الظاهر أنه لسهو القلم، أو الدال قدّم على الألف».

١ ـ الشأن، أي الحال فأحدهما أعظم دون الاخر.

٢ ـ السلطان، أي القدرة، فأحدهما قاهر أي غالب، والآخر مقهور مغلوب.

٣ ـ القوة، أي الطاقة، فأحدهما شديد، والآخر ضعيف.

٤ ـ الأمر، وهو الإرادة، فأحدهما نافذ الإرادة، والآخر عاجز.

والله سبحانه وتعالى يتنزّه عن أي قياس.

[٥/٥٢ ـ القضاء الإلهي بالموت]:

سُبْحانَكَ!، قَضَيْتَ عَلى جَميعِ خَلْقِكَ الْمَوْتَ: مَنْ وَحَّدَكَ وَمَنْ كَفَرَ بِكَ، وَكُلٌّ ذائِقُ[١] الْموتَ، وَكُلٌّ صائِرٌ إِلَيْكَ.

فَتَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ، لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ وَحْدَكَ لا شَريكَ لَكَ، آمَنْتُ بِكَ، وَصَدَّقْتُ رُسُلَكَ[٢]، وَقَبِلْتُ كِتابَكَ، وَكَفَرْتُ بِكُلِّ مَعْبُودٍ غَيْرِكَ، وَبَرِئْتُ مِمَّنْ عَبَدَ سِواكَ.

وقد خص هذا المقطع بالموت كمثال للقدرة المطلقة الذي لا يمكن أن ينكره أحدٌ من الطوائف الخمسة الّتي تلبّست بالشرك، وتكذيب الرسل، ودفع القضاء، والامتناع بغير الله، وعبادة المادة والماديات؛ فانهم جميعاً يعلمون بأن الموت يعم الخلق جميعاً، المؤمن الموحّد لله والكافر به تعالى، بلا استثناء؛ فإنّ البشر كما هو الحال في غيره من المخلوقات من نبات وحيوان ذائق الموت لا محالة، فيكون الموت الحد الفاصل الذي به ينتهي دور الإنسان في الحياة، وهذا ما وعد الله تعالى به، فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[٣] فكلّ موجود من العدم

---

(١) في حاشية (د) ظاهرا: «ذائقَ ـ س».

(٢) في حاشية (ج) في نسخة: «برسلك»، وفي (ج): «رسلك»، ولعلّ العبارة في (ج) هكذا: «وصدَقت رسلُك».

(٣) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٥٦.

سُؤالَ مَنِ اسْتَكْثَرَ ذُنُوبَهُ، وَاعْتَرَفَ بِخَطِيئَتِهِ.

سُؤالَ مَنْ لا رَبَّ لَهُ غَيْرُكَ، وَلا وَلِيَّ لَهُ دُونَكَ، وَلا مُنْقِذَ لَهُ مِنْكَ، وَلا مَلْجأَ لَهُ مِنْكَ إلّا إلَيْكَ.

وهذا المقطع يتضمّن أنواع السؤال بالالحاح، وقد سرد منها:

١ ـ سؤال الآمل، وهو توقّع الأُمور المحبوبة الدنيوية دائماً، وهذا النوع من التوقّع يوجب لهو النفس أي الاشتغال بما لا يعنيها عمّا يجب الاشتغال به لاصلاح النفس بأداء الواجب عليه في الحياة.

٢ ـ سؤال الغافل عن أداء الدور المطلوب من الإنسان، فإنّ الغفلة توجب أموراً متسلسلة، هي:

أولاً: سكون العروق في البدن بالميل إلى الراحة، بدل الجِدّ في العمل.

ثانياً: فتنة القلب، أي استمالته بالنعم الكثيرة الّتي تشغل بال الإنسان.

ثالثاً: قلة الفكر والتدبير بالمستقبل الذي يصير اليه نتيجة الاهمال بالواجب والميل إلى الراحة.

٢ ـ سؤال المغلوب على أمره، وذكر من أسباب الغلبة:

أولاً: غلبة الأمل بتوقّع الخير دائماً من دون عمل لتحصيله.

ثانياً: فتنة الهوى، والهوى: ميل النفس إلى اللذات الدنيوية، وفتنتها: استمالتها إلى ذلك.

ثالثاً: تمكّن الدنيا، واستمكانها: تسلطها على حياة الإنسان باللهو واللعب والتفاخر والتكاثر.

فإنّ السائل في هذه الأسباب يكون مغلوباً على أمره، لا خيار له فيها مع غلبتها، ولا عاصم سوى الله.

٤ ـ سؤال المستكثر للذنوب، فإنّ كثرة الذنوب توجب اليأس، فلا مفرّ منها سوى الالحاح في السؤال بقبول الصفح، دون من قلّت ذنوبه، فإنّ قلة الذنوب في نفسها تكون من مستوجبات العفو.

٥ ـ سؤال المعترف بالخطيئة، والاعتراف هو الاقرار باللسان المعبّر عن

١ ـ قلّة العمل.

٢ ـ الاعتراف بالذنب.

٣ ـ الإقرار بالخطايا.

٤ ـ الإسراف على النفس.

ونتيجة هذه الحالات:

١ ـ الهلاك، ممّا يوجب العذاب لذلة العمل، أي حقارته.

٢ ـ الردى، أي الوقوع بالتردي إلى الهاوية بسبب هوى النفس.

٣ ـ الحرمان من الخير بسبب اتباع الشهوات.

وهذا الحالات المستتبعة لهذه النتائج تعم الإنسان في كل الاوقات من الصباح الذي يعمّ فيه ضياء النهار والمساء الّذي يعمّ فيه ظلام الليل، ولا مخرج من هذه الحالات إلّا بالسؤال منه تعالى بإلحاح للفرج بقبول التوبة.

[٧/٥٢ ـ الإلحاح في السؤال]:

فَأَسْأَلُكَ ـ يا مَولايَ ـ سُؤالَ [مَن آمَنَ بِكَ وَوَحَّدَكَ، وَأَيْقَنَ بِقُدْرَتِكَ، وَعَرَفَ فَضْلَكَ، وَصَدَّقَ بِرُسُلِكَ، وَخافَ مِنْ عَذابِكَ، وَطَمِعَ فِي رَحْمَتِكَ.

أَللّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ سُؤالَ][1] مَنْ نَفْسُهُ لاهِيَةٌ لِطُولِ أَمَلِهِ، وَبَدَنُهُ غافِلٌ لِسُكُونِ عُرُوقِهِ، وَقَلْبُهُ مَفْتونٌ بِكَثْرَةِ النِّعَمِ عَلَيْهِ، وَفِكْرُهُ قَليلٌ لِما هُوَ صائِرٌ إِلَيْهِ.

سُؤالَ مَنْ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الأَمَلُ، وَفَتَنَهُ الْهَوى، وَاسْتَمْكَنَتْ مِنْهُ الدُّنْيا، وَأَظَلَّهُ[2] الأَجَلُ.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ت).

(٢) في (ت): «وأطله».

بِرَحْمَتِكَ، فَإِلَيْكَ أَفِرُّ[١]، وَمِنْكَ أَخافُ، وَبِكَ أَسْتَغيثُ، وَإِيَّاكَ أَرْجُو، وَلَكَ أَدْعُو، وَإِلَيْكَ أَلْجَأُ، وَبِكَ أَثِقُ، وَإِيّاكَ أَسْتَعينُ، وَبِكَ أُؤمِنُ، وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ، وَعَلى جُودِكَ وَكَرَمِكَ[٢] أَتَّكِلُ[٣].

وختم دعاء الالحاح بثلاثة اسئلة اساسية، هي: الغنى والتسلية والكرامة، كل ذلك لله تعالى، فهذه النقاط الثلاث هي الهدف الاصيل من الالحاح في الدعاء؛ لأنّ بها تكون الحياة المطمئنة نفسياً. ولأهمية هذه النقاط الثلاث قدّم عليها سلسلة من الأمور وختمها بسلسلة من العلل والأسباب.

فامّا ما ذكره مقدمةً على سبيل الاستشفاع، فهي بالقسم بأمور هي:

١ ـ بحقّه تعالى الواجب على جميع الخلق، وحقوقه تعالى على الخلق كثيرة منها: حقّه في العبادة.

٢ ـ بالاسم العظيم من أسماء الله الحسنى التي أمر الله رسوله بالتسبيح به، وأمرنا به في كل صلاة نصليها، وفي كل ركوع نركع به لله قائلين: (سبحان ربّي العظيم وبحمده) فإنّ اسمه العظيم مستجمع لجميع صفات الكمال والجمال.

٣ ـ بجلال وجهه الكريم، والجلال: العظمة، والوجه عبارة عن الذات المقدسة، والكريم: المؤثر في الصفح عن الجاني والاحسان إلى المسيئ، ومن الصفات الذاتية:

ـ الذي لا يبلى، فإنّ البلى يستلزم الحدوث في الله، والله سبحانه قديم.

ـ لا يتغير؛ فإنّ التغيّر يستلزم زوال الكيفية عما كان عليه، وهو من صفات الحادث.

---

(١) في (ت): «أقرّ».

(٢) في (ث): «ورحمتك».

(٣) في (س): «اتكلت على فلان في أمري: إذا اعتمدت عليه، والتوكّل: إظهار العجز والاعتماد على غيرك». (حاشية ابن إدريس: ٣١٧).

الاعتقاد بالقلب، وحالة كهذه تستوجب الالحاح والاصرار، دون سؤال من لا يعترف كذلك.

٦ ـ سؤال المربوب المعترف بالربوبية لله رب العالمين، فإنّ الاعتقاد بالربوبية تستلزم أموراً:

١ ـ أن لا ربّ غيره، فهو المسؤول الوحيد للخلاص والعفو.

٢ ـ لا وليَّ غيره، فهو الناصر الوحيد الذي يُسأل نصره.

٣ ـ ان لا منقذ غيره، فهو المخلّص من ورطة الذنوب الّتي وفع فيها السائل.

٤ ـ لا ملجأ غيره، فهو الحصن الّذي يعتصم به، فإنّه لا ملجأ للإنسان من الله في حال من الاحوال، إلّا حال كونه لاجئاً إلى الله تعالى.

وأنّ هذه الأنواع في الالحاح في السؤال انما تكون لمن غلبه اليأس عن أي طريق للخلاص من ورطة الذنوب والعارف بأن لا خلاص إلّا بالرجوع إلى الله سبحانه وطلب العفو منه؛ فإنّ الأسباب الداعية إلى الالحاح مجتمعه فيه.

[٨/٥٢ ـ مطالب أساسية]:

إلهي، أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ الْواجِبِ عَلى جَميعِ خَلْقِكَ، وَبِاسْمِكَ الْعَظيمِ الَّذي أَمَرْتَ رَسُولَكَ أَنْ يُسَبِّحَكَ بِهِ، وَبِجَلالِ وَجْهِكَ الْكَريمِ، الَّذي لا يَبْلى وَلا يَتَغَيَّرُ، وَلا يَحُولُ وَلا يَفْنى، أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وَاَنْ تُغْنِيَني عَنْ كُلِّ شِيْء بِعِبادَتِكَ، وَأَنْ تُسَلِّيَ نَفْسي عَنِ الدُّنْيا بِمَخافَتِكَ، وَاَنْ تُثْنِيَني[1] بِالْكَثيرِ مِنْ كَرامَتِكَ

(١) في (ت): «تثبتني»، وفي (ج) (د): «تثيبني»، وفي حاشية (ج) (د): «تثنيني ـ س»، وفي حاشية (د): «ثنيت الرجل بقضاء حاجته: أي صرفته ورجّعته، وأصله من ثني العود، وهو عطفه. والباء من قوله: «بالكثير» للملابسة. من الشرح». (رياض السالكين ٧: ٣٨٩).

بِرَحْمَتِكَ، فَإِلَيْكَ أَفِرُّ[١]، وَمِنْكَ أَخافُ، وَبِكَ أَسْتَغيثُ، وَإِيَّاكَ أَرْجُو، وَلَكَ أَدْعُو، وَإِلَيْكَ أَلْجَأُ، وَبِكَ أَثِقُ، وَإِيّاكَ أَسْتَعينُ، وَبِكَ أُؤْمِنُ، وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ، وَعَلى جُودِكَ وَكَرَمِكَ[٢] أَتَّكِلُ[٣].

وختم دعاء الالحاح بثلاثة اسئلة اساسية، هي: الغنى والتسلية والكرامة، كل ذلك لله تعالى، فهذه النقاط الثلاث هي الهدف الاصيل من الالحاح في الدعاء؛ لأنّ بها تكون الحياة المطمئنة نفسياً. ولأهمية هذه النقاط الثلاث قدّم عليها سلسلة من الأمور وختمها بسلسلة من العلل والأسباب.

فامّا ما ذكره مقدمةً على سبيل الاستشفاع، فهي بالقسم بأمور هي:

١ ـ بحقّه تعالى الواجب على جميع الخلق، وحقوقه تعالى على الخلق كثيرة منها: حقّه في العبادة.

٢ ـ بالاسم العظيم من أسماء الله الحسنى التي أمر الله رسوله بالتسبيح به، وأمرنا به في كل صلاة نصليها، وفي كل ركوع نركع به لله قائلين: (سبحان ربّي العظيم وبحمده) فإنّ اسمه العظيم مستجمع لجميع صفات الكمال والجمال.

٣ ـ بجلال وجهه الكريم، والجلال: العظمة، والوجه عبارة عن الذات المقدسة، والكريم: المؤثر في الصفح عن الجاني والاحسان إلى المسيئ، ومن الصفات الذاتية:

ـ الذي لا يبلى، فإنّ البلى يستلزم الحدوث في الله، والله سبحانه قديم.

ـ لا يتغير؛ فإنّ التغيّر يستلزم زوال الكيفية عما كان عليه، وهو من صفات الحادث.

---

(١) في (ت): «أقرّ».
(٢) في (ت): «ورحمتك».
(٣) في (س): «اتكلت على فلان في أمري: إذا اعتمدت عليه، والتوكّل: إظهار العجز والاعتماد على غيرك». (حاشية ابن إدريس: ٣١٧).

الاعتقاد بالقلب، وحالة كهذه تستوجب الالحاح والاصرار، دون سؤال من لا يعترف كذلك.

٦ ـ سؤال المربوب المعترف بالربوبية لله رب العالمين، فإنّ الاعتقاد بالربوبية تستلزم أموراً:

١ ـ أن لا ربّ غيره، فهو المسؤول الوحيد للخلاص والعفو.

٢ ـ لا وليَّ غيره، فهو الناصر الوحيد الذي يُسأل نصره.

٣ ـ ان لا منقذ غيره، فهو المخلّص من ورطة الذنوب الّتي وقع فيها السائل.

٤ ـ لا ملجأ غيره، فهو الحصن الّذي يعتصم به، فإنّه لا ملجأ للإنسان من الله في حال من الاحوال، إلّا حال كونه لاجئاً إلى الله تعالى.

وأنّ هذه الأنواع في الالحاح في السؤال انما تكون لمن غلبه اليأس عن أي طريق للخلاص من ورطة الذنوب والعارف بأن لا خلاص إلّا بالرجوع إلى الله سبحانه وطلب العفو منه؛ فإنّ الأسباب الداعية إلى الالحاح مجتمعه فيه.

[٨/٥٢ ـ مطالب أساسية]:

إلهي، أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ الْواجِبِ عَلى جَميعِ خَلْقِكَ، وَبِاسْمِكَ الْعَظيمِ الَّذي أَمَرْتَ رَسُولَكَ أَنْ يُسَبِّحَكَ بِهِ، وَبِجَلالِ وَجْهِكَ الْكَريمِ، الَّذي لا يَبْلى وَلا يَتَغَيَّرُ، وَلا يَحُولُ وَلا يَفْنى، أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وَاَنْ تُغْنِيَني عَنْ كُلِّ شِيْءٍ بِعِبادَتِكَ، وَأَنْ تُسَلِّيَ نَفْسي عَنِ الدُّنْيا بِمَخافَتِكَ، وَاَنْ تُثْنِيَني (١) بِالْكَثيرِ مِنْ كَرامَتِكَ

---

(١) في (ت): «تثبتني»، وفي (ج) (د): «تثيبني»، وفي حاشية (ج) (د): «تثنيني ـ س»، وفي حاشية (د): «ثنيت الرجل بقضاء حاجته: أي صرفته ورجّعته، وأصله من ثني العود، وهو عطفه. والباء من قوله: «بالكثير» للملابسة. من الشرح». (رياض السالكين ٧: ٣٨٩).

٥ ـ دعاء الله وحده بالسؤال للعفو، دون غيره.

٦ ـ اللجأ إلى الله بالاعتصام بحبله المتين في الحياة العملية.

٧ ـ الوثوق بالله بالاعتماد على ما رسمه للهداية.

٨ ـ الاستعانة بالله بطلب المعونة منه دون غيره.

٩ ـ الإيمان بالله بالتصديق، أي الاعتقاد بالجنان، أي القلب، والقول باللسان، والعمل بالاركان.

١٠ ـ التوكّل على الله في جوده وكرمه تعالى بالاعتماد عليه، دون ما سواه من الأسباب والمسببات.

فالله سبحانه هو المطّلع على حالة السائل، وهو القادر بجوده وكرمه على العفو والمغفرة، ولاطريق للسائل في النجاة سوى التوكّل على الله تعالى في كل الأمور، ومنها طلب العفو.

ـ لا يفنى؛ فإن الفناء هو العدم، والله سبحانه أزلي قديم.

فهذه صفات الألوهية انما استخدمت في حالة الالحاح في الدعاء؛ لأنه لا مفّرج من الحالة الّتي وقع فيها العبد سوى الله سبحانه.

وقد عقّب عليه السلام القسم بهذه الصفات الإلهيّة بأسئلة أساسية، هي:

اولا: الصلاة على محمد وآله، فإنّ بها يكون استجابة الدعاء، لكونه داعياً إلى الصراط المستقيم، فقد بشر النبيّ صلى الله عليه وآله بالرسالة وطبّق رسول الله صلى الله عليه وآله السنة الإلهيّة في الحياة.

ثانياً: الغنى عن كل شيء بعبادة الله تعالى، وعبادته: هي العمل الصالح من الطاعات والخيرات.

ثالثاً: التسلية عن الدنيا، وهي ازالة محبة الدنيا من القلب بمخافة الله سبحانه، فإنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة.

رابعاً: الكرامة، وهي المنفعة مع التشريف. والكرامة من الله يغني عن الكثير من حطام الدنيا، كما قال سيد الساجدين: «من أراد عزّاً بلا عشيرة؛ وغنىً بلا مال، وهيبة بلا سلطان، فلينتقل من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته»[1].

وختم هذه الاسئلة بذكر الأسباب الموجبة لسؤالها، وهي:

١ ـ الفرار إلى الله، بالاقبال عليه والاعراض عمّا سواه من الماديات.

٢ ـ الخوف من الله بالانتهاء عمّا نهى عنه.

٣ ـ الاستغاثة بالله بطلب النصر منه، دون غيره.

٤ ـ رجاء الله بتوقع الاحسان والرحمة منه، دون غيره.

---

(١) الخصال: ١٦٩.

لْمُتَجِرِّينَ[١] عَلَيْكَ[٢]، الْمُسْتَخِفِّينَ[٣] بِوَعِدِكَ[٤].

سُبْحانَكَ![٥] أيَّ جُرْأَةٍ اجْتَرَأْتُ عَلَيْكَ، وَأَيَّ تَغْرِيرٍ غَرَّرْتُ[٦] نَفْسي؟!

التذلل لله تعالى هو اظهار الذل والصغار والهوان لله تعالى، قال لشارح المدني (ت/ ١١٢٠هـ): «وهو يكون بالجنان كالاعتقاد بانه اقل بباده وأفقرهم اليه، وبالاركان كإلصاق الخدّ بالأرض وتعفير الوجه في لتراب والرمي بالنظر نحو الأرض وسكون حركات الاطراف، وباللسان بالاقرار والاعتراف بالنطق بما اعتقده من ذلّ نفسه وافتقاره وعظم ما كتسبه من الخطايا والذنوب والتضرّع اليه تعالى ومناجاته سبحانه بالسؤال الدعاء والابتهال اليه في حط ذنوبه وغفران خطاياه كما اشتمل عليه هذا لدعاء الشريف»[٧].

وقد استفتح الدعاء حالة الداعي بالاجمال وعقّبها بالتفصيل.

أما حال السائل بالاجمال: فقد أفحمته الذنوب، والافحام: انقطاع الصوت ن كثرة البكاء، فإنّ كثرة الذنوب تقطع الحجة على الإنسان، ونتيجة ذلك ان نقطع مقالة السائل؛ لأنه لا حجة له حتى يتمسك بها في الدعاء، بل الحجة عليه ن كثرة الذنوب وانواعها.

---

(١) في (ت) العبارة هكذا: «الْمُتحيرين».
(٢) في (ق) العبارة هكذا: «الْمُذْنِبينَ، مُوقف الأشْقِياءِ الْمُتَحيّرينَ عَلَيْكَ»، وفي ملحق (ك) العبارة هكذا: «الْمُذْنِبينَ، الأَشْقِيآءِ الْمُترددينَ عَلَيْكَ».
(٣) في (ت) العبارة هكذا: «الْمُستحقين».
(٤) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «الْمُسْتَحقّينَ بِوَعيدِكَ»، وفي ملحق (ك) العبارة هكذا: «الْمُسْتَحقّينَ بِوَعيدِكَ».
(٥) لم ترد في (ق): «سبحانك».
(٦) في (ق): «وأيّ تعزيز أعززت».
(٧) رياض السالكين ٧: ٣٩٧.

[الدعاءُ الثالث والخمسون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في التذلّل لله عزّ وجلّ[1]

[٥٣/١ ـ دعاء التذلّل وحالة الداعي]:

رَبِّ أَفْحَمَتْني[2] ذُنُوبي، وَانْقَطَعَتْ مَقالَتي، فَلا حُجَّةَ لي، فَأَنَا الأَسيرُ بَبَلِيَّتي، الْمُرْتَهَنُ بِعملي[3]، الْمُتَرَدِّدُ في خَطيئَتي، الْمُتَحيِّرُ عَنْ[4] قَصْدي، الْمُنْقَطَعُ بِي.

قَدْ أوقَفْتُ[5] نَفْسي مَوْقِفَ الأَذِلّاءِ الْمُذْنِبينَ[6]، مَوقِفَ الأَشْقِياءِ

---

(١) ورد هذا الدعاء في ملحق (ك) بنفس الرقم والعنوان، وفي ملحق (ش) بنفس الرقم والعنوان، وفي (ج) بعنوان: «الثالث والخمسون: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في التذلل لله عز وجل»، وفي (ت) بعنوان: (الثالث والخمسون) وتحته عنوان: «في التذلل لله عزوجل»، وفي (ق) بعنوان: (الثامن والأربعون) وتحته عنوان: «عند الهموم»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٥٣)، بعنوان: «دُعاؤهُ في التذلّل».

(٢) في حاشية (د): «أفحمته: إذا أسكته في خصومة أو غيرها»، وفي (س): «كلمته فأفحمته: إذا سكّته في خصومة أو غيرها». (حاشية ابن إدريس: ٣٢١).

(٣) في (ق) (ت) وملحق (ك): «بفعلي»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «بفعلي ـ س».

(٤) في ملحق (ك) زيادة: «قضاء».

(٥) في (ت): «فقد وقفت»، وفي (ق): «لقد وقفت»، وفي ملحق (ك): «وقفت»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «وقفت ـ س».

(٦) في حاشية (د): «المذنبين، جمع مذنب، وضبط الإعجام هنا لا يخلو عن مسامحة، والأمر بيّن».

إرْحَمْ[١] شَيْبَتي، وَنَفادَ أَيّامي، وَاقْتِرابَ أَجَلي، وَضَعْفي[٢]، وَمَسْكَنَتي[٣]، وَقِلَّةَ حيلَتي[٤].

وأشار في هذا المقطع وما يليه إلى الرحمة الإلهيّة الّتي يفتقر اليها الإنسان في الدنيا، وبعد الموت، وفي القبر والحشر.

واما ما يستوجب الرحمة في الدنيا، فحياة الإنسان لا يخلو منه، وقد عدّ في هذا المقطع منه:

١ ـ الكبوة، وهي السقوط على الوجه. وحرّ الوجه: صفحته وما رقّ من البشرة، وطبيعي انها غير مقصودة، وسببها غالباً قصور الإنسان نفسه وعدم تحرّزه.

٢ ـ زلّة القدم، وهي استرسالها في مكان زلق، وهي كذلك غير مقصودة، ولكن سببها غالباً ليس القصور من جانب الإنسان، بل وعورة المكان المفتقر ألى شدّة التحرّز.

٣ ـ الجهل، وهو الحمق، وكم للإنسان في صغره من جهالات وحماقات ارتكبها لا عن استكبار، والأعمال بالنيات، فلا تقابل تلك الحماقات من القادر الحكيم إلّا بما يرشد الإنسان إلى الرشد، وهو الحلم.

٤ ـ الاساءة، والسوء يكون من الشيء القبيح، والاساءة فعله، وهو ضد الاحسان، وفعل القبيح عن جهل وحمق لا يقابل من الحكيم العادل إلّا بالاحسان بارشاده إلى قبيح الفعل.

٥ ـ الاقرار بالذنب، فإنّ الاقرار خطوة نحو الحكم العادل، وهو يستوجب العفو من الرحيم.

---

(١) في (ق) (ت) وملحق (ك): «فارحم».

(٢) في (ق) زيادة: «ونفسي».

(٣) في حاشية (د) و(س): «الاستكانة: الخضوع». (حاشية ابن إدريس: ٣٢١).

(٤) في حاشية (د) هامش لم نتحقق موضعه، ونصه ـ ظاهراً ـ: «من الموت».

واما تفصيل حالة السائل، فإنه:

١ ـ الاسير بالبلاء والامتحان الخاص به.

٢ ـ المرتهن بالعمل، فهو مرهون، أي محبوس بعمله.

٣ ـ المتردد في الخطيئة، والتردد فيها: الابتلاء بها مرة بعد أُخرى.

٤ ـ المتحيّر في القصد، أي الانحراف عن الطريق المستقيم.

٥ ـ المنقطع به عن الطريق، حيث عاقته الخطايا عن السير.

وهذه الحالة لها نتيجة طبيعية، حيث أن الإنسان بنفسه اختار موقف الاذلّاء المذنبين على موقف الاعزاء المطيعين، واختار كذلك موقف الاشقياء المتجرئين على الله على موقف المتقين المحتاطين في اتخاذ القرار الصائب، ولهذا الموقف الاختياري أصبح السائل من المستخفّين بالوعد الإلهي خيراً او شراً؛ استهانة منه به، وهذا الموقف موقف الجرأة واللامبالاة، وقد قاد إلى ذلك غرور النفس الامارة بالسوء.

[٢/٥٣ ـ الرحمة في الدنيا]:

مَوْلايَ، إرْحَمْ كَبوتي[١] لِحُرِّ وَجْهي[٢]، وَزَلَّةَ قَدَمي، وَعُدْ[٣] بِحِلْمِكَ عَلى[٤] جَهْلي، وَبِإِحْسانِكَ على[٥] إساَءَتي، فَأَنَا الْمُقِرُّ بِذَنْبي، الْمُعْتَرِفُ بِخَطيئَتي، وَهذِه يَدِي[٦] وَناصِيَتي، أَسْتَكينُ بِالْقَوَدِ مِنْ نَفْسي،

---

(١) في (ق): «كباتي»، وفي (ت) وملحق (ك): «كبائي»، وفي حاشية (د) و(س): «كبا لوجهه يكبو كبواً: سقط». (حاشية ابن إدريس: ٣٢١).

(٢) في (س): «حُرّ الوجه: ما بدا من الوجنة، والوجنة: ما ارتفع من الخدين». (حاشية ابن إدريس: ٣٢١).

(٣) في (ق): «فعُد».

(٤) في (ق): «عن».

(٥) في (ق): «عن».

(٦) في (ق) (ت) وملحق (ك): «رقبتي».

[٣/٥٣ ـ الرحمة بعد الموت]:

مَوْلايَ، وَارْحَمْني[١] إِذَا انْقَطَعَ مِنَ الدُّنْيا أَثَري، وَامَّحى[٢] مِنَ الْمَخْلُوقينَ ذِكْري، وَكُنْتُ[٣] في المنْسِيِّينَ[٤] كَمَنْ[٥] قَدْ نُسِيَ[٦].

ومما يفتقر اليه الإنسان: الرحمة بعد الموت، وذلك في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: بعد الموت بقليل حيث ينقطع الأثر الجسمي للإنسان باختفاء البدن من الدنيا، فإنّه بعد الغسل والدفن لا يبقى لجسمه أثر على وجه الأرض، وانما يبقى على وجه الأرض منه الآثار الحاكية عن جسمه من صورة وخط وما شابه.

المرحلة الثانية: محو ذكر الإنسان بالتدريج من الذاكرة الإنسانية، فإنّ ذكرى الميت يطول باختلاف العادات والتقاليد، وكلما بعد تاريخ الوفاة قلّت الذاكرة، فهي في الأيام الأولى أشد وأقوى ثم يتدرج إلى الضعف بالشهور والسنين في الجيل الّذي شاهد الإنسان، وهو الجيل الأوّل والثاني غالباً، واما الجيل الذي لم يشاهد الإنسان فتكون الذكريات سماعاً عن الآباء، ويمحو تدريجياً، وهي ليست بالقوة والشدة الّتي شاهدهما الجيل السابق، وهؤلاءهم غالباً الجيل الثالث، واما الجيل الرابع فلم يشاهد شيئاً، بل قد لم يكن سمع من نقاط الضعف والقوة في الإنسان شيئاً، فينمحي ذكر الإنسان من الذاكرة بالمرة، وهل هناك من يتذكر جدّ جدّه؟

المرحلة الثالثة: مرحلة النسيان التام، حيث يصبح الإنسان منسيّاً من دون

---

(١) في (ق): «فارحمني».

(٢) في (ق) (ت): «وامتح»، وفي ملحق (ك): «امتحى»،وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «وامتحي ـ س».

(٣) في (ت): «فكنت».

(٤) في (ق): «فكنت من المنسيّين»، وفي ملحق (ش): «وكنت في المنسيّين»، وفي ملحق (ك): «فكنت في المسيئين».

(٥) في (ت): «كم».

(٦) في (ق): «ممَّنْ قَدْ نُسِيَ»، وأيضاً: «كَمَنْ قَدْ نُسِيَ».

٦ ـ الاعتراف بالخطيئة، بعرفان ما يستلزمه من الحكم العادل، وهو يستلزم حسن الظن بالعدالة، ومنها: العفو لمن اعترف.

٧ ـ القود، وهو القصاص إذا سلّم القاتل نفسه للقتل بمن قتله، والسائل في حالة مشابهة للقاتل المستحق للقصاص، وهذه الحالة بادية في يديه الّتي يرفعها للدعاء، وناصيته وهي الشعر المسترسل في مقدّم الرأس المتطأطي؛ استسلاماً وانقياداً للحكم العادل.

٨ ـ الشيبة، وهى ابيضاض الشعر بالدخول في سنّ المشيب؛ فإنّ الشيبة تكشف عن ضعف في الجسم لا يتحمّله الإنسان عادة.

٩ ـ نفاذ العمر، فإنّ الأيام كلّما انقضت ولّت من دون رجعة، فكل إنسان يعيش في يومه وينفذ ذلك اليوم من أيام الحياة بلا رجعة، فليست الأيام مشارفة للنفاذ كما يتوهم، بل هي نافذة أي فانية.

١٠ ـ اقتراب الاجل، فإنّ الأيام كلما ابتعدت عن تاريخ الولادة اقتربت إلى تاريخ الوفاة، وهو الأجل الذي لا مفرّ للإنسان منه.

١١ ـ الضعف في الجسم والفكر، فإنّ الإنسان كلما امتدت به الأيام ضعفت قوته الفعلية والجسمية، فالإنسان يضعف بدناً وروحاً.

١٢ ـ المسكنة، وهي الفاقة والحاجة، فإنّ الحالة الّتي يكون الإنسان المعترف فيها من أشد الحالات في الحاجة إلى الرحمة، وخاصة رحمة الله الواسعة.

١٣ ـ قلة الحيلة، والحيلة: القدرة على التصرف للوصول إلى المقصود، وحيث أن المقصود للداعي هو العفو والغفران من الله سبحانه، فلا حيلة له للوصول اليها سوى الدعاء، وهو اقل ما يمكنه تقديمها إلى الساحة المقدسة.

فالسائل بتقديم هذه النقاط يستوجب الرحمة والعطف من الله تعالى ورحمة الله الواسعة يمكن ان تشمله بارادته تعالى، وهو على كل شيء قدير.

المرحلة الثانية: بلى الجسم، والبلى: هو الفناء بالتفسّخ تدريجياً بذوبان المواد الدهنية للجسم وتحوّلها إلى الدود وما يأكل منها من الحشرات والهوام على مرور الأيام والسنين.

المرحلة الثالثة: تفرّق أعضاء الجسم، وهو كل عظم وافر باللحم، وتفرّقها عادة تكون بحملها من مكان لآخر على مرور الزمان وخاصة من القبور المزدحمة بالاموات.

المرحلة الرابعة: تقطّع الاوصال، وهي المفاصل الّتي هي مجتمع العظام، وتفرّقها كذلك عادة يكون بسبب طارئ عليها عادة.

وهذه المراحل كلّها مغفولة للإنسان في حياته، فهو بحكم كونه حيواناً ناطقاً لا يحس إلّا بما يحتاج اليه الإنسان في حياته الماديّة، ويغفل عمّا بعد الموت من المراحل التي ينبغي للعاقل ان ينتبه إليها؛ لأنها واقعة لا محالة.

والرحمة في هذه المراحل انما هي بسبب تألّم الروح بمشاهدة ما يحصل للجسد من هذه الحالات الّتي تؤلم تصوّرها للإنسان في الحياة، فكيف بالروح وهي تشاهد ذلك مشاهدة حسية حسب مقتضى الحياة للروح بعد الموت؛ حيث إن الموت ليس سوى انفصال الروح عن الجسد؛ فالأرواح جنود مجنّدة فما تعارف في الحياة منها تعارف بعد الممات.

[٥/٥٣ ـ الرحمة في الحشر]:

مَوْلايَ، وَارْحَمْني[١] في حَشْري وَنَشْري، وَاجْعَلْ في ذلِكَ الْيَومِ مَعَ أَوْلِيائِكَ مَوْقِفي، وَفي أَحِبّآئِكَ مَصْدري، وَفي جِوارِكَ مَسْكَني، يا رَبَّ الْعالَمِينَ.

وحيث أن آخر مرحلة يفتقر فيها الإنسان إلى رحمة الله هو يوم القيامة، ختم هذا المقطع الأخير من الدعاء بذلك؛ فإنّ الإنسان يحشر يوم القيامة فيمن يحشر

---

(١) في (ق) (ت) وملحق (ك): «فارحمني».

ذكر، فيكون من جملة المنسيين في التاريخ وهم الموتى الذين لا يخطر ذكرهم ببال أحد، من دون ان يتعلّق بهم ذكر قط، ولا يعلم عنهم سوى انهم كانوا موجودين في الحياة في برهة من الزمن ثم أدركهم الوفاة، ولا يعرف لهم عدد ولا اسم ولا رسم، وما عرف عنهم في التاريخ من خير او شرّ، فهم ليسوا إلّا نقطة بالنسبة إلى البحر.

والإنسان يفتقر إلى رحمة الله سبحانه في كل هذه المراحل بالذكر الحسن بما يخلفه من عمل صالح، وبالذكر الجميل في التاريخ، وبالذكر الحسن فيما يكتبه التاريخ عنه من حقائق ويكشف من زيف الدعايات المغرضة، فإنّ الحقائق لا تخفى على من ينقّب عنها، كما هي في ذكر من يدخل التاريخ من ابوابه، من الأنبياء والمصلحين والشهداء والعلماء والصالحين.

[٤/٥٣ ـ الرحمة في القبر]:

مَوْلايَ، وَارْحَمْني[١] عِنْدَ تَغَيُّر صُورَتي[٢] وَحالي إِذا بَلِيَ جِسْمي، وَتَفَرَّقَتْ أَعْضائي، وَتَقَطَّعَتْ أَوْصالي[٣].

يا غَفلَتي[٤] عَمّا يُرادُ بي.

ومما يفتقر اليه الإنسان: الرحمة في القبر، حيث يمرّ جسم الإنسان بمراحل أربع هي:

المرحلة الأولى: تغيّر الصورة والحال، فإنّ الصورة وهي الهيئة المتعادلة في الحياة الدنيا تتغيّر بالموت إلى حالة مضادّة تماماً في الصفة والكيفية، من النظارة إلى الذبول، ومن الحيوية إلى الركود الابدي التام.

---

(١) في (ق): «فارحمني».

(٢) في ملحق (ك): «عند تضرّعي وتَغَيُّر صورتي».

(٣) في حاشية (د): «الأوصال: المفاصل، والتلقين: التفهيم، ولقنني: فهّمني»، وفي (س): «الأوصال: المفاصل». (حاشية ابن إدريس: ٣٢١).

(٤) في (ق) (ت) وملحق (ك): «ما أغفلني».

[الدعاءُ الرابع والخمسون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في استكشاف الهموم[1]

[١/٥٤ ـ دعاء استكشاف الهموم]:

يا فارِجَ الْهَمِّ، وَكاشِفَ الْغَمِّ، يا رَحْمنَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَرَحيمَهُما، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ[2] وَأَفْرُجْ[3] هَمّي، وَاكْشِفْ غَمّي.

يا واحِدُ، يا أَحَدُ، يا فردُ[4]، يا صَمَدُ، يا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، إعْصِمْني وَطَهِّرني، وَأَذْهبْ بِبَلِيَّتي[5].

---

(١) ورد هذا الدعاء في ملحق (ك) بنفس الرقم والعنوان، وفي (ج) بعنوان: «الرابع والخمسون: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في استكشاف الهموم» وهو آخر أدعية النسخة (ج)، وفي (ت) بعنوان: (الرابع والخمسون) وتحته عنوان: «في الاستكشاف الهموم»، وفي (ق) بعنوان: (التاسع والأربعون)، وتحته عنوان: «عند الهموم»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٥٤)، بعنوان: «دُعاؤهُ في استكشاف الهموم».

(٢) في (ق): «وآله».

(٣) في (ق) (ت): «وفرّج».

(٤) لم ترد في (ج) (د): «يا فرد».

(٥) في حاشية (د): «قد حكي مع ذلك بين قطع الهمزة، وقال الشارح: وفي رواية: واذهب ببليتي بقطع الهمزة مع الباء، وهي لغة حكاها صاحب القاموس حيث قال: ذهب به: أزاله كأذهبه به، وتخرج على زيادة الباء في المفعول للتأكيد كما خرج عليه قوله تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ (سورة المؤمنون ٢٣: ٢٠)، فيمن ضم أوله وكسر ثالثه. من الشرح». (رياض السالكين ٧: ٤٢٢).

من الموتى بالخروج من القبور مسوقين إلى الحساب وينشر فيمن ينشر، أي يعيش حياة جديدة اخروية؛ فإنّه في هذه المرحلة الاخيرة الدائمة يفتقر إلى رحمة الله الخالدة.

وقد ختم هذا المقطع بثلاث نقاط من الرحمة، هي:

أولاً: الوقوف موقف أولياء الله، وحيث إن موقف أولياء الله موقف الجزاء الأوفى لأعمالهم الصالحة في أنفسهم والمجتمع، فيكون الموقف موقفاً ناجحاً.

ثانياً: الخروج من الموقف موفّقاً بصحبة احباء الله تعالى، حيث يصدر الناس بعد الموقف متفرّقين، إمّا إلى اليمين المنتهي إلى الجنة، وهو طريق احباء الله تعالى، وإمّا إلى الشمال المنتهي إلى النار وهو طريق أعداء الله.

ثالثاً: السكنى في جوار الله معنوياً، وهذه الحالة غاية ما يمكن ان يصبوا إليه المؤمن؛ لأنها الخلود في جنة النعيم.

وبعد هذه النداءات والصلوات على محمد وآله الموجبة لقبول الدعاء، دعا بالمراد بقوله: (افرج همّي واكشف غمّي).

وحيث أنّ إزالة الحزن حقيقة يجب ان يكون بازالة أسبابه، ختم هذا المقطع بسلسلة نداءات من الصفات الإلهيّة، وعقّبها بما يستلزم إزالة الحزن حقيقة، والنداءات أربع، وهي:

١ ـ يا واحد، أي الذي لا مشارك له في الصفات، فهو واحد في الصفات.

٢ ـ يا أحد، الذي لا شريك له في الذات، فهو أحد عن الذات(١).

٣ ـ يا صمد، المستغني بذاته والكل محتاج اليه.

٤ ـ يا من لا مثيل له، واشار إلى أمثلة ثلاثة يعم الاعتقاد بها حتى لغير المسلمين، وهي:

أولاً: (لم يلد) لأن الولادة من طبيعة الحيوان، والله ذات مجرّد لا يتصف بها.

---

(١) الفرق بين واحد وأحد: أن معنى الواحد أنه لا ثاني له فلذلك لا يقال في التثنية واحدان كما يقال رجل ورجلان، ولكن قالوا اثنان حين أرادوا أن كل واحد منهما ثان للآخر، وأصل أحد أوحد مثل أكبر وإحدى مثل كبرى فلما وقعا اسمين وكانا كثيري الاستعمال هربوا في إحدى إلى الكبرى ليخف وحذفوا الواو ليفرق بين الاسم والصلة وذلك أن أوحد اسم وأكبر صفة والواحد فاعل من وحد يحد وهو واحد مثل وعد يعد وهو واعد، والواحد هو الذي لا ينقسم في وهم ولا وجود، وأصله الانفراد في الذات على ما ذكرنا. وقال صاحب العين: الواحد أول العدد، وحد الاثنين ما يبين أحدهما عن صاحبه بذكر أو عقد فيكون ثانياً له بعطفه عليه ويكون الأحد أولاً له ولا يقال: إن الله ثاني اثنين ولا ثالث ثلاثة، لأن ذلك يوجب المشاركة في أمر تفرد به. فقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ معناه أنه ثاني اثنين في التناصر. وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾، لأنهم أوجبوا مشاركته فيما ينفرد به من القدم والإلهية. فأما قوله تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾، فمعناه أنه يشاهدهم كما تقول للغلام: اذهب حيث شئت فأنا معك، تريد أن خبره لا يخفى عليك. (الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري: ٥٦٤ ـ ٥٦٥، العنوان رقم: ٢٢٧٨).

[وَاقْرَأْ «آيَةَ الْكُرْسِيّ» وَ«الْمُعَوِّذَتَينَ» وَ «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ»[1]، وَقُلْ:]

الهم: هو الحزن، واستكشافه: طلب ازالته بإزالة أسبابه، وقد استفتح الدعاء بالنداء إلى الله سبحانه؛ لأنه تعالى القادر على كشف ما لا يتمكن منه الإنسان، والنداءات الثلاث هي:

١ ـ يا فارج الهمّ؛ فإنّ الحزن مهما كانت أسبابه تولّد في الإنسان حالة نفسية يجب التغلب عليها للاستمرار في الحياة العادية، وفي اللحظة الّتي يبتلي بها الإنسان لا يمكن التغلّب عليها إلّا بالفرج من الله سبحانه، والفرج هو الكشف بارادته العليا بتهيئة أسبابه للإنسان لرفع الهم بنفسه.

٢ ـ يا كاشف الغم، والغم هوالحزن الشديد مما لا يمكن للإنسان التغلب عليه، ويظهر آثاره على وجه الإنسان، وكشف هذا النوع من الحزن لا يدخل تحت قدرة الإنسان، كموت الحبيب بل يكون كشفه بإرادة الله العليا بتهيئة أسبابه للإنسان حتى يرتفع الغم من دون دخل للإنسان في ذلك كالتعويض بالافضل.

٣ ـ يا رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، الاضافة بمعنى «في»، أي الرحمن والرحيم في كلّ من الدنيا والآخرة، وفي الفرق بين معنى الرحمن والرحيم وجوه واقوال بعد الاتفاق على انهما صفتان من (رحم) للمبالغة، والظاهر من بناء الصفتين ان (فعلان) فيما يظهر أثره في الخارج كالغضبان والعطشان، و (فعيل) فيما يكون أثره في الذات كالعليم والسميع والفهيم وما شابه، وعليه يتحقق الوصفإنّ معاً في الدنيا كما يتحققان في الآخرة بلا اشكال، وقد شرحت هذا شرحاً وافياً في حاشية التفسير[2]، وان لم يذهب إليه احد من المفسّرين، والله خير ناصر ومعين.

---

(١) في (ت): «والإخلاص».

(٢) وهو تفسير «أوضح البيان في تفسير القرآن»، للمؤلف دام ظله، طبع القسم الأول والاخير منه (الجزء ٣٠) في شيكاغو، سنة ١٤٢٢.

سُؤالَ مَنْ لا يَجِدُ لِفاقَتِهِ مُغيثاً[١]، وَلا لِضَعْفِهِ مُقَوِّياً، وَلا لِذَنْبِهِ غافِراً غَيْرَكَ.

يا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرام، أَسْأَلُكَ عَمَلاً تُحِبُّ بِهِ[٢] مَنْ عَمِلَ بِهِ، وَيَقيناً تَنْفَعُ بِهِ[٣] مَنِ اسْتَيْقَنَ بِهِ[٤] حَقَّ الْيَقينِ في نَفاذِ أَمْرِكَ.

أشار في هذا المقطع إلى حالات السائل المستوجبة للعفو، ومنها:

١ ـ (من اشتدت فاقته) والفاقة: الحاجة، واشتدادها: قوتها، حيث لا مخرج منها سوى الله تعالى.

٢ ـ (من ضعفت قوّته) والقوّة: القدرة، وضعفها بعجز الإنسان.

٣ ـ (وكثرت ذنوبه) فانها السبب الحقيقي لضعف القوة وشدة الفاقة للعفو عنها.

٤ ـ (من لا يجد لفاقته مغيثا غير الله) فهو المدعو لحلها.

٥ ـ (من لا يجد لضعفه مقوياً غير الله) فهو القادر على ذلك دون غيره.

٦ ـ (من لا يجد لذنبه غافراً غير الله) فإذا شمل العفو الإلهي حالة الإنسان ارتفع السبب الحقيقي للضعف والفاقة، وكان الإنسان في خلاص من تبعاتها.

فالمدعوّ في حل هذه الفاقة هو الله سبحانه وحده، وهو الحقيق بالعفو كما تقتضيه صفاته الإلهيّة من صفة الجلال وهو العظمة، ومن صفة الاكرام وهو لطفه العميم بالكرم على الخلق اجمعين بأنواع الاحسان والكرم الّتي منها نعمة الحياة،

---

(١) في (ت): «معتباً»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «مغنياً».

(٢) كذا في غير (ت)، ولم ترد في (ت): «به».

(٣) لم ترد في (ق) (ت): «به».

(٤) في (ت): «ينفع»، وفي حاشية (ج) (د): «تنفع من استيقن ـ س»، وفي حاشية (د) في نسخة: «ينفع».

ثانياً: (لم يولد) لأنّ الولادة من صفات الممكن، والله واجب الوجود لا يحتاج إلى شئ.

ثالثاً: (لم يكن له كفواً) والكفو: المماثل في الصفات أو الذات، فإنّ الواحديّة تستلزم عدم المشاركة في الصفات، والوحدة تستلزم عدم الشريك في الذات. وتفصيلها موكول إلى علم الكلام.

وعقّب هذه النداءات الأربعة بأدعية ثلاثة، هي:

الأوّل: (اعصمني) فإنّ كشف الهم وحده من دون العصمة يكون كشفاً وقتيّاً، والعصمة تستلزم الكشف الدائم.

الثاني: (طهّرني) والطهارة هي النقاء من الدنس، وهي آثار الهم الّتي تترسب في نفس الإنسان، وبسبب الحالة النفسية الّتي ابتلي بها الإنسان فقصر في مسؤولياته الواجبة عليه تجاه المجتمع، فإنّ بطهارته يكون طهارة المجتمع.

الثالث: (اذهب ببليتي) وهي الأسباب الموجبة للهم، فإنّ ازالتها صيانة للإنسان من الوقوع في ذلك مرّة أُخرى.

وقد عقّب ذلك بقراءة ما يشجّع الروح المعنوية في الإنسان لمقاومة موجبات الهم، وهي:

١ ـ آية الكرسي، وهي الآية ٢٥٥، أو الآيات ٢٥٥ إلى ٢٥٧ من سورة البقرة.

٢ ـ سورتي المعوذتين، وهما: سورة الفلق وسورة الناس، هما السورتان الاخيرتان في القرآن رقم ١١٣ و ١١٤.

٣ ـ سورة (قل هو الله) وهي سورة التوحيد، وهى السورة رقم ١١٢ من القرآن الكريم.

وقد استفاضت الاحاديث والآثار في فضلها وآثارها.

[٢/٥٤ ـ حالات السائل]:

أللّهُمَّ، إِنّي أَسْأَلُكَ سُؤالَ مَنِ اشْتَدَّتْ فاقَتُهُ، وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ، وَكَثُرَتْ ذُنُوبُهُ.

[٣/٥٤ ـ وعند الموت]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ(١) [وَأصلِحْ باليَقِينِ قَلْبِي](٢) وَاقْبِضْ عَلَى الصِّدْقِ(٣) نَفْسي، وَاقْطَعْ مِنَ الدُّنْيا حاجَتي، وَاجْعَلْ فيما عِنْدَكَ رَغْبَتي(٤).

[وَاجْعَلْ حَاجَتِي وَرَغْبَتِي](٥) شَوْقاً إِلَى لِقائِكَ، وَهَبْ لي صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ.

أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ كِتاب قَدْ خَلا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كِتاب قَدْ خَلا(٦).

أَسْأَلُكَ خَوْفَ الْعابِدينَ لَكَ، وَعِبادَةَ الْخاشِعينَ لَكَ(٧)، وَيَقينَ الْمُتَوَكِّلينَ عَلَيْكَ(٨)، وَتَوكُّل الْمُؤْمِنينَ بِكَ(٩).

يتضمن هذا المقطع حالات الإنسان عند قبض الروح، وعبرّ عنه بلقاء الله، حيث يكون مصير كلّ إنسان اليه تعالى، وسرد ما يفتقر اليه الإنسان في هذه الحالات، منها:

---

(١) لم يرد في (ق) (ت): «صَلِّ عَلى مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد».
(٢) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).
(٣) في (ت): «التصدّق».
(٤) في (ق) العبارة هكذا: «وَاقْطَعْ مِنَ الدُّنْيا حاجَتي وَرَغْبَتي».
(٥) ما بين المعقوفتين من (ت) فقط.
(٦) لم ترد في (ت): «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كِتاب قَدْ خَلا».
(٧) في (ق) (ت): «وَعِبادَةَ الْخائِفينَ منكَ».
(٨) في (ق): «وَيَقينَ الْمُتَوَكِّلينَ بكَ».
(٩) كذا في (ق)، وفي غيرها: «وَتوكل المؤمنينَ عليكَ»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «بك»، ولم ترد في (ق) عبارة: «وَتوكُّل الْمُؤْمِنينَ بكَ».

ودونها العفو عن الخطايا الّتي تلبس بها الإنسان، كلّ بحسب مقامه ودوره المسؤول في الحياة.

وختم هذا المقطع بسؤالين لهما اكبر الأثر في حياة الإنسان، وهما:

الأوّل: (عملا تحبّ به من عمل به) فإنّه لابدّ وأن يترتب عليه الأثر، وبدون ذلك يكون جهداً باطلا، ومن أهم الآثار من العمل ان يكون مطلوباً ومحبوباً عند الآمر به، ونتيجة ذلك ان يكون العامل به محبوباً بالقيام بدوره المطلوب منه في الحياة، فإنّ حبّ العامل به يكشف عن تأثير العمل في حياة الإنسان، وهو المطلوب من الأمر.

الثاني: (يقيناً تنفع به من استيقن به) فإنّ الإنسان بسبب اليقين الذي استيقن في نفاذ أمر الله تعالى، أي تحقيق ما أمر به تعالى في الخارج بمحض أمره، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١]. فاحترز بهذا القيد من اليقين الذي لا ينفع الإنسان شيئاً، مثل اليقين الحاصل عند الموت؛ فإنّ من استيقن نفاذ أمره تعالى يكون مستسلماً له في كل حالاته قبل حصول سكرات الموت، واحترز بقوله: (حقّ اليقين) المراتب الاخرى من اليقين؛ فإنّه على مراتب ثلاث، هي:

١ ـ علم اليقين: الحاصل بالحجة والبرهان والآثار، كالاستدلال بالدخان على وجود النار.

٢ ـ عين اليقين: الحاصل بالكشف والشهود، كمشاهدة النار المشتعلة خارجاً من بُعد.

٣ ـ حق اليقين: الحاصل بالاصطلاء بالنار من قرب مادياً، كاللمس، أو معنوياً كالوجدان، وهذا أعلى مراتب اليقين، وأنفعها في الدنيا والآخرة.

اللهم ارزقنا وجميع المؤمنين الوصول إلى زلال منبع حق اليقين، آمين رب العالمين.

---

(١) اقتباس من القرآن الكريم، سورة يس ٣٦: ٨٢.

اللجوء إلى الله سبحانه بالسؤال؛ لأن يجعله مهيئاً للدور القادم ومستعداً له ومتذّرعاً بما يأتي:

١ ـ خوف العابدين لله، فإنّ خوف العابد يحثّ على العمل بما ينفع الناس كما ينفع نفسه، فكل عمل خير عبادة.

٢ ـ عبادة الخاشعين لله؛ فإنّ الخشوع قوام العبادة، وكل طاعة عبادة اذا حصلت بالقربة لله تعالى.

٣ ـ يقين المتوكلين على الله، على اختلاف درجات التوكل الّتي أعلاها اليقين حق اليقين.

٤ ـ توكّل المؤمنين على الله، بالرضا بقضاء الله وتفويض الأمر إلى الله والتسليم لأمر الله.

وتوفّر هذه الحالات عند قبض الروح تجعل الإنسان مشتاقاً إلى لقاء الله تعالى، وكذلك تهوّن سكرات الموت على المؤمنين، اللهم اجعلني منهم.

[٤/٥٤ ـ مرضاة الله]:

أللّهُمَّ اجْعَلْ[١] رَغْبَتي في مَسْأَلَتي مِثْلَ[٢] رَغْبَةِ أَوْليائِكَ في مَسائِلِهِمْ[٣]، وَرَهْبَتي مِثْلَ رَهْبَةِ أَوْليائِكَ[٤] [في مخائلتهم[٥]][٦]، وَاسْتَعْمِلْني[٧] في مَرْضاتِكَ عَمَلاً لا أَتْرُكُ مَعَهُ شَيْئاً مِنْ دِينِكَ مَخافَةَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ.

---

(١) في (ت): «واجعل».
(٢) في (ت): «لمثل».
(٣) في (ت): «أولئك في مسألتهم».
(٤) لم ترد في (ت): «مثل رهبة أوليائك».
(٥) كذا في (ق) (ت)، ويحتمل فيهما أيضا: «في مخايلتهم».
(٦) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).
(٧) في (ق): «فاستعملني».

١ ـ قبض النفس على الصدق، وقبض النفس كناية عن الموت، حيث يفيض الروح، أي يخرج من الجسد إخراجاً، بالرغم من كراهية الجسد ذلك، لاستئناسه بالروح.

وما يفتقر اليه الإنسان حينئذ هو ان يكون القبض على الصدق، أي على الثبات والاستقامة على الثوابت الإسلامية في الحياة، حيث إن الموت هو الحد الفاصل بين دور العمل المتعقب بدور الجزاء، فلا ينفع الإنسان بعد هذه المرحلة شيء سوى الصدق في العمل.

٢ ـ قطع الحاجة من الدنيا، فاذا كان الإنسان قد أدّى الدور المطلوب منه في الحياة، فلا يكون حينئذ له حاجة من الدنيا؛ لأنه واثق من أداء الواجبات الملقاة عليه حينما كان في الدنيا، فلا يفتقر إلى من يؤدّي عنه ما كان ينبغي له ان يؤدّيه من واجبات شخصية وحقوق الناس وغيرها.

٣ ـ الرغبة فيما عند الله، والرغبة هي كثرة الإرادة للثواب الموعود على ما قدمه من اعمال الخير والصلاح الّتي تنفع نفسه واسرته والمجتمع، باعتباره العضو الصالح في المجتمع الذي فارقه بالموت.

٤ ـ الشوق إلى لقاء الله؛ فإنّ المؤمن الواثق بانتهاء دوره في الحياة يتطلّع إلى لقاء الله تعالى وإلى المصير اليه والقدوم عليه بالشوق النفسي إلى ذلك؛ لليقين بصدق الوعد حق اليقين.

٥ ـ التوكل على الله، وصدق التوكل عليه تعالى هو الانقطاع إليه، بأن لا يكون للإنسان حاجة إلى غيره تعالى، وحيث إن حياة الإنسان انما هي تجربة يعيشها، وان اعماله مكتوبة أي مسجّلة في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها[1] وطبيعي ان يكون فيها الخير وفيها الشر. وحيث إن دور العمل في الدنيا. ودور الحساب والجزاء في الآخرة، فلا ملجأ للإنسان سوى

---

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. (القرآن الكريم، سورة الكهف ١٨: ٤٩).

وما يحتاج اليه الإنسان حقيقة هو ما يؤدّي إلى العاقبة الحسنة، من الاعمال الصالحة النافعة لنجاة النفس في الدنيا والآخرة، فإنّ صلاح الفرد يكون إعداداً لعضو للعضوية الصالحة في المجتمع؛ فإنّ صلاح المجتمع بصلاح افراده وأعضائه، ودور الإنسان باداء الواجب الشخصي الملقى على عاتقة لابدّ وأن يؤثر في المجتمع سواءً اراد ذلك ام لا، وإرادة الله هي الإرادة العليا بإعداد الإنسان للقيام بهذا الدور المسؤول في الحياة خير قيام، ومن علائم هذا الإعداد للحاجة الّتي هي المسؤولية:

١ ـ تعظيم الرغبة في المسؤولية، بأن تكون الرغبة صادقة مقبولة.

٢ ـ اظهار العذر، والعذر هو دفع اللوم على ما يترك من المسؤولية واظهار كونه غالباً واضحاً لكون ما حصل من التجاوز انما كان عن حسن نية وحسب القدرة والاستطاعة.

٣ ـ تلقين الحجة، وهي ما يحتج به في يوم القيامة، والتلقين: الإلهام بذلك من الله تعالى.

٤ ـ معافاة الجسد، فإنّ صحة الجسد ممّا يتوقف عليه اداء الدور المسؤول في الحياة.

وهذه نقاط يفتقر الإنسان اليها في اداء الدور المطلوب منه في الحياة.

فإنّ العمل من دون رغبة صادقة لا يؤدّي الدور المطلوب كاملا.

والثانية: أن تكون من التلقية، بمعنى إفادة المضامين في الاتصال بين شيئين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَّنٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾. (سورة الإنسان ٧٦: ١١)، **والثانية**: تشديد القاف والنون جميعاً، من التلقين. انتهى ملخصاً»، وفي (س): «التلقين: التفهيم، ولقّني: فهّمني. تمّت حاشية ابن إدريس على الصحيفة السجادية الكاملة، ووافق الفراغ من تنسيخه غرّة شهر جمادى الأوّل من عام ثمان وثمانين وألف من هجرة الرسول والحمد لله ربّ العالمين». (انتهى). وقال السيد الخرسان في الهامش: «هكذا جاء في نهاية النسخة الرضوية، وتبدو عجمة الناسخ في قوله: (من تنسيخه) إذ لا يقال ذلك، بل يقال كما في الصحاح: (نسخت الكتاب، وانتسخته، واستنسخته، كلّه بمعنى، والنُسخة ـ بالضم ـ: اسم المنتسخ منه). (حاشية ابن إدريس: ٣٢٣).

وأشار في هذا المقطع إلى ان الهدف الأصلي للمؤمن الحقيقي هو مرضاة الله سبحانه، وان ذلك يستعلم بعلائم ثلاث، هي اصيلة في الأولياء الذين يتوبون إلى الله سبحانه بصدق في اعمالهم واقوالهم، وهي:

أولاً: رغبة الأولياء.

وثانياً: رهبة الأولياء.

وثالثاً: العمل في مرضاة الله، ويستلزم ذلك عدم المخافة من أحد من الخلق في تطبيق اوامر الله وترك نواهيه.

وهذه النقاط الثلاث لا تنفك عن حياة الأولياء؛ فإنّ الرغبة عندهم مقارنة للرهبة، وهما مقارنان للعمل، فهم في نفس الوقت الذي هم اكثر الناس رغبة في الله لا تحصنهم الرغبة وحدها؛ لاحتمال القصور او التقصير في واجباتهم، فيكونوا أشد الناس رهبة كذلك؛ لأن معرفتهم بالله وقربهم إلى الله فوق معرفة غيرهم، فإنّ حسنات الابرار سيئات المقربين(١).

وفي نفس الوقت الذي لهم الرغبة الصادقة المقارنة بالرهبة الصادقة فإنّه لا يكفي شيء منهما بالتبتّل فقط، لأنّه لا رهبانية في الإسلام، بل لابدّ من ان يقارن كل ذلك بالعمل الصادق؛ فإنّ أثر صلاح النفس لابدّ وأن يظهر في سلوك الإنسان في نفسه واسرته ومجتمعه.

[٥/٥٤ ـ حاجة الإنسان]:

أللّهُمَّ هذِهِ حاجَتي، فَأَعْظِمْ فيها رَغْبَتي، وَأَظْهِرْ فيها عُذْري، وَلَقِّني(٢) فيها حُجَّتي، وَعافِ فيها جَسَدي.

---

(١) انظر: بحار الأنوار ٢٥: ٣٠٤.

(٢) في حاشية (د): «قال السيد علي خان في شرحه: التلقين من الله تعالى عبارة عن الإلهام، ومنه: لقّني حجّتي يوم ألقاك. (رياض السالكين ٧: ٤٤٥) وقال السيد باقر العلوم: هناك بحسب اختلاف الرواية قراءتان، **الأولى**: أن تكون بمعنى الإلقاء والتفهيم والإملاء والتعليم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (سورة النمل ٢٧: ٦). =

والإنسان المسلم المسؤول يتجرد عن الشرك بمختلف انواعه؛ من الشرك جلي والخفيّ.

ومن الشرك الخفي: رجاء غيرالله سبحانه، فقد ختم هذا الدعاء بالتأكيد على ذه الحاجة في حياة الإنسان، وخاصة عند مضلّات الفتن؛ فإنّ حياة الإنسان ـ أي سان ـ لا يخلو من فتن يمتحن بها مدى ثباته على الثوابت الاصلية الّتي يجب ان لتزم بها، فإنّ الفتنة تعني الامتحان، وكلما اشتد الامتحان اشتد الاحتمال لسقوط، والفتن المضلة هي الّتي لا يجد الإنسان فيها الصراط المستقيم للسلوك.

وبعد كمال الدين بما سنّه الرسول الامين في حياته ـ وهو اسوة المسلمين ما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] ـ لا يبقى مجال لغموض تلك الثوابت الإسلامية سوى الأهواء.

وقد ختم الدعاء بالتأكيد على ان الله سبحانه هو الثقة والرجاء دون البشر او لأهواء، وليس في أمر دون أمر، بل في الأمور كلها، مما يتعلق بالنفس والاسرة المجتمع، مما شرعه سبحانه من الخير في الدنيا والنجاة في الآخرة، كل ذلك رحمته، المتواصلة على الخلق اجمعين.

اللهم ارحمنا برحمتك بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وآله الطاهرين ومن سار على نداه من الآن إلى يوم الدين، آمين رب العالمين.

* * *

قال الفقير إلى الله محمد حسين بن محسن الحسيني الجلالي أحسن الله اليه: لى هنا ينتهي ما جال في الفكر القاصر حين قراءة هذا النص الطاهر من إملاء جدّي سيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام، وقد اعتمدت حين ذلك على الشرح الكبير لمسمى: «رياض السالكين»، للسيد علي خان المدني (ت/ ١١٢٠) فهو اغنى الشروح مادة وحسناً واسلوباً، وقال (قدس سره) في آخر الشرح: أنه أتمّه في مدّة اثني عشرة سنة، وفرغ منه في ١١٠٦، ولكن هذا الشرح لم يشمل للملحقات المشهورة في

نصوصها في مقدِّمة (الصحيفة السجادية) بتحقيقنا، تحت عنوان: «خصوصيات النسخ المعتمدة» فراجعها هناك.

(١) القرآن الكريم، سورة الأحزاب ٣٣: ٢١.

والرغبة من دون حجة لا توجب قناعة فكرية، التي يفتقر إليها العامل في مقام العمل.

وكل من الرغبة والحجة من دون صحة كاملة ينقصهما التنفيذ.

وكل من الرغبة والحجة والصحة لا تعصم الإنسان من العثرات غير المتوقعة التي تفتقر إلى العذر الواضح المقنع، ولا يكون ذلك الا باظهاره واعلانه على المجتمع.

فإنّ هذا النقاط الاربع لها دور رئيسي في اعداد العضو الصالح في المجتمع، والإنسان المسلم المسؤول يكون حاجته الرئيسية ان يكون هو العضو الصالح الذي يؤدّي دور المسؤولية الملقاة عليه بامانة، والتوفيق من الله.

[٦/٥٤ ـ رجاء النجاة]:

أللّهُمَّ مَنْ أَصْبَحَ[١] لَهُ ثِقَةٌ أَوْ رَجاَء غَيْرُكَ، فَقَدْ أَصْبَحْتُ وَأَنْتَ ثِقَتي وَرَجائي في الأُمُورِ[٢] كُلِّها، فَاقْضِ لي بِخَيْرِها عاقِبَةً، وَنَجِّني مِنْ مُضِلّاتِ الفِتَنِ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ[٣].

وَصَلَّى اللّهُ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللّهِ الْمُصْطفى وَعَلى آلِهِ الطّاهِرينَ[٤].

---

(١) في (ت): «أصلح».

(٢) في (ق) (ت): «في أموري».

(٣) لم ترد في (ق) (ت): «بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ».

(٤) العبارة في (ت) هكذا: «وصل على محمد وآله وسلّم كثيراً»، وفي هامش (ت): «تمّ الكتاب»، وجاء في آخر الصفحة ما نصه: «فرغ من تعليقه ـ وهنا حك لاسم الناسخ، بمقدار ست كلمات ـ في أول ربيع الأوّل سنة سبع وتسعين وستمائة، بمدينة السلام بغداد، حامداً الله تعالى ومصلياً على رسوله محمد وآله الأكرمين وسلامه»، هذا، وفي (حاشية ابن إدريس): «تمّت حاشية ابن إدريس على الصحيفة السجادية الكاملة، ووافق الفراغ من تنسيخه غرّة شهر جمادى الأوّل من عام ثمان وثمانين وألف من هجرة الرسول والحمد لله ربّ العالمين»، وجاء في (ق) العبارة التالية: «وَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وآلِهِ الطّاهِرينَ وسلّم كثيراً».

وهذا أيضاً آخر ما جاء من الأدعية في (ج)، وبعدها قرآت وتملّكات وبلاغات أوردنا =

ايوب، في شهر ربيع الاخر من سنة ثلاث وستمائة، والحمد لله الرحمن الرحيم وصلاته وتسليمه على رسوله سيدنا محمد المصطفى وعلى آله الغر اللهاميم».

٢ ـ بلاغ محمد بن ادريس الحلي المتوفّى ٥٩٨، وصورة النص: «وعليها أيضاً ـ اعني على نسخة علي بن احمد السديد ـ: بلغت مقابلة مرّة ثانية بخط السعيد محمد ادريس بحسب ما وصل اليه الجهد، ولله الحمد، وذلك في شهر ذي القعدة من سنة اربع وخمسين وستمائة، وكلّ ما على هامشها من حكاية (سين) ونسخة؛ فإنّه عن ابن ادريس، وكذلك جميع ما يوجد بين السطور وعليه (سين) فإنّه حكاية خطه، وأمّا ما كان نسخة بلا سين، فمنها ما هو بخط ابن السكون، ومنها ما هو بخط ابن ادريس رحمه الله».

وأيضا بخطه: «صورة خط ابن ادريس في مقابلته: بلغ العرض بأصل خير الموجود وبذل فيه الجهد والطاقة الا ما زاغ عنه النظر وحسر عنه البصر».

٣ ـ مقابلة على نسخة علي بن السكون الحلي بتاريخ ذي الحجة ٦٤٣، وصورة النص: «نقلت هذه الصحيفة من خط علي بن السكون وتتبع اعرابها عن اقصاه، حسب الجهد الا ما زاغ عنه النظر وحسر عنه البصر، وذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث واربعين وستمائة».

وعليها أيضاً ما حكايته: «وعليها ـ اعنى على النسخة الّتي بخط ابن السكون خط عميد الرؤساء رحمه الله تعالى قراءة صورتها...». (راجع رقم ١).

٤ ـ وعليها أيضا البلاغ المورخ ذي الحجة ٦٤٣، وصورة النص: «بلغت مقابلة وتصحيحاً بالنسخة المنقول منها فصححت بحسب الجهد الا ما زاغ عنه النظر وحسر عنه البصر، وذلك في شهر ذي الحجة ثلاث واربعين وستمائة، ولله الحمد».

٥ ـ خط علي بن احمد السديد بتاريخ ٤٤٢، وصورة النص: «نقلت هذه الصحيفة من خط علي بن احمد السديد رحمه الله، وفرغت في حادي عشر شعبان سنة سبعين وستمائة[1]، وقد كتب ما صورته: «نقلت هذه الصحيفة من خط علي بن السكون... الخ». (راجع رقم ٣).

---

(١) في النسخة المطبوعة، ص٢٥٠، العبارة هكذا: «وسبعمائة».

عصرنا، بل اقتصر على الرواية المشهورة المتكونة من روايتي ابن الأعلم والمطهري على ما بينهما من الاختلاف، واشار (قدس سره) في مواقع كثيرة من شرحه إلى ذلك. كما صرح في اكثر من موضع بوجود نسخ قديمة لديه، مما يظهر ان هذه الملحقات في عصرنا لم تكن في تلك النسخ او انها لم تكن مشهورة في عصره، وربما لذلك لم يشرحها او شرحها ولم نقف على الشرح، واقدم طبعة من الشرح وقفت عليها هي المؤرخة ١٣١٧، والمطبوعة طبعة حجرية على خط زين العابدين الخونساري القمي، وقد اعتمدت في متن الادعية على الرواية المشهورة، ط/ المشكاة، بخط احمد الزنجاني ١٣٦١ هجرية، الّذي اعتمد بدوره على نسخة محمد تقي المجلسي المؤرخة ١٠٥٨. وقد جاء في آخرها ما نصه: «قد تم استنساخ هذه النسخة الشريفة في طهران عاصمة ايران، باهتمام العبد محمد بن احمد الآخوندي وكتابة العبد المحتاج الحاج احمد الزنجاني النجفي في ضحوة يوم الجمعة رابع صفر الخير سنة احدى وستين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية».

فائدة جليلة:

لقد جاء في آخر نسخة الصحيفة السجادية المشهورة بخط غلام علي الشهير بمحمد امين المورخة ١٠٧٩ نصوص التوثيقات من القراءة والاجازة والمقابلة والعرض الّتي وجدها الناسخ على النسخ المنقول منها. وحيث إن نسخة الشارح المدني (ت/ ١١٢٠) ونسخة السيد المشكاة المطبوعة ١٣٦١ أهملتا هذه النصوص، واحتفظت بها نسخة محمد أمين المؤرخة ١٠٧٩، أوردتها هنا نصاً حسب تواريخها، وهي:

١ ـ قراءة عميد الرؤساء هبة الدين حامد بن احمد بن ايوب في ٦٠٣، وصورة النص: «قرأ عليّ السيد الاجلّ والنقيب الأوحد العالم جلال الدين عماد الإسلام أبو جعفر القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن معية ادام الله علوّه، قراءة صحيحة مهذّبة، ورويتها له عن السيد بهاء الشرف أبي الحسن محمد بن الحسن بن احمد، عن رجاله المسمين في باطن هذه الورقة».

وبهامش الورقة التي في اول الكتاب، ما نصه: «وأبحته روايتها عني حسب ما وقفته عليه وحددته له. وكتب هبة الله بن حامد بن احمد بن أيوب بن علي بن

شرح ملحقات الصحيفة

لا يخفى ان ملحقات الصحيفة على أقسام:

الأوّل: ما احتوت عليه نسخة عميد الرؤساء هبة الله بن حامد بن أيوب، والتي أجاز بها في ربيع الآخر سنة ٦٠٣هـ، باسناده، وعليها اعتمد من تأخّر عنه من أعلام مذهب اهل البيت، وقد أشرت اليها في «الدراسة المنيفة» فليراجع.

والمحلقات فيها تحتوي على أربعة عشر دعاءً، كالآتي:

١ـ دعاء التسبيح، وأوله قوله: «سبحانك اللهم وحنانيك».

٢ـ دعاء التمجيد.

٣ـ دعاء التذلل.

٤ـ دعاء آل محمد عليهم السلام.

٥ ـ دعاء آدم عليه السلام.

٦ـ دعاء الكرب والاقالة.

٧ـ دعاء ما يخاف ويحذر.

٨ ـ ١٤ ـ أدعية الأيام السبعة، مبتدءاً بيوم الأحد، ومنتهيا بيوم السبت.

وقد اعتمدت في متن الملحقات هذه على نسخة السيد محمد المشكاة الّتي طبعت باشرافه على نسخة محمد تقي المجلسي، المؤرخة ١٠٥٨، وقد طبعت بالاوفسيت عن خط الشيخ أحمد الزنجاني النجفي عام ١٣٦١ بطهران.

الثاني: ما احتوت عليه نسخة محمد أمين المؤرخة ١٠٧٩ من الملحقات

٦ ـ عرض بخط الشهد الأوّل محمد بن مكي العاملي (ت/ ٧٨٦)، وصورة النص: «عارضتها بأصلها المذكور وفيها مواضع مهملة التقييد، فنقلتها على ما هي عليه، والحمد لله وحده وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله، وكتب محمد بن مكي[1]».

٧ ـ عرض آخر بخط الشهد الأوّل محمد بن مكي العاملي (ت/ ٧٨٦)، وصورة النص: «بلغت مقابلة مرة ثانية بخط السعيد محمد بن ادريس . . .الخ». (راجع رقم ٢).

٨ ـ خط غلام علي الشهير محمد امين في ذي الحجة ١٠٧٩ ونصه: «نقلت هذه الصحيفة الكاملة المعزية المنسوبة إلى سيدنا ومولانا السجاد وزين العباد الإمام مفترض الطاعة علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب صلوات الله وسلامه عليهم، من خط الشيخ العالم العلامة الشهيد الأوّل شمس الدين محمد بن مكي رحمه الله تعالى ورضي عنه، وتتبع اعاريبها ونقطها وجميع ما يرى فيها من الحواشي والنسخ لفظا باللفظ، عن اقصاه إلى اقصاه، حسب الجهد والطاقة الا ما زاغ عنه نظري وحسر عنه بصري، وكان ذلك في عاشر ذي الحجة الحرام من سنة تسع وسبعين بعد الالف، وانا العبد المفتقر إلى عفو ربه العلي، ابن محمد علي غلام علي الشهير بمحمد امين».

٩ ـ وقد قابلها الفقير إلى الله محمد حسين بن محسن بن علي الحسيني الجلالي في مجالس متعددة حضراً سفراً، والفضل في ذلك إلى السيد المشكاة الّذي سهّل تصوير الاصل بالرغم من القيود الشديدة على التصوير، والغريب أنه بالرغم من إشرافه على طبع الصحيفة لم يذكر هذه الصحيفة ولم يقنع بها، والعصمة لأهلها».

(١) في النسخة المطبوعة، ص٢٥٠، العبارة هكذا: «والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله وسلامه، وكتبه محمد بن مكي».

[الدعاءُ الخامس والخمسون]

من تسبيح الإمام مّما[1] أُلحق ببعض نسخ الصحيفة: وكان من تسبيحه، أعني زين العابدين عليه السلام

١/٥ ـ من تسبيح الإمام]:

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَحَنَانَيكَ .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَعَالَيْتَ .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْعِزُّ إزارُكَ .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْعَظَمَةُ رداؤكَ .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْكِبْرِيَاءُ سُلْطَانُكَ .

سُبْحَانَكَ مِنْ عَظِيمٍ مَا أَعْظَمَكَ!

سُبْحَانَكَ سُبِّحتِ فِي الْمَلأِ الْأَعْلَى .

[سُبْحَانَكَ][2] تَسَمَعُ وَتَرَى مَا تَحْتَ الثَّرى .

---

(1) في بعض النسخ: «وهو ممّا». والتسبيح ـ لغة ـ: التنزية، و «سبحان» مفعول مطلق منصوب، ومعناه: أُنزّه الله عمّا لا يليق بشأنه تعالى.

(2) ما بين المعقوفتين من بعض النسخ.

زيادة على القسم الأوّل، وهي: المناجات الخمسة عشر، أوّلها: للتائبين، واخرها: للزاهدين، ثم دعاء العصمة، أوّله: «إلهي اسألك أن تعصمني حتى لا أعصيك»، ثم دعاء الافتقار، أوّله: «إلهي لو سألتني حسناتي لوهبتك إيّاها»، مع تخلل ادعية اخرى لغيره عليه السلام، وسأذكر ـ ان شاء الله تعالى ـ وصفها في آخر القسم الثاني من الملحقات.

الثالث: ما يستحق الالحاق بالصحيفة؛ لوحدة السند فيه مع سند الصحيفة، حيث يكون المجمع فيها «المتوكل بن محمد البلخي»، ومن هذا القسم الدعاء رقم ٣٧ من رواية ابن مالك في استجابة الدعاء، واوله: «اللهم قد أكدى الطلب»؛ فإنّ هذا النوع أولى بالاستدراك والالحاق، وعسى ان تقف يد التتبّع على غيره، والله الموفق.

ومهما كان، فاني سوف استمر في توضيح ما يبدو للفكر القاصر حين قراءتها من ادعية الملحقات.

وقد رقّمت الأدعية التي الحقت بالرواية المشهورة حسب التسلسل، وحيث أن آخر دعاء في المشهورة هو برقم ٥٤، فيكون أوّل دعاء في الملحقات رقم ٥٥ وهكذا يكون التسلسل حتى آخر الملحقات، والله وليّ التوفيق.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ.

سُبْحَانَ الْعَلِيِّ الْعَظِيم[1].

التسبيح ـ لغة ـ: التنزية، و «سبحان» مفعول مطلق منصوب، ومعناه أُنزّه الله عمّا لا يليق بشأنه تعالى.

وقد سرد في هذا المقطع سلسلة من التسبيحات المتلوّة بما يوجب ذلك من الصفات الإلهيّة، وهي:

١ ـ (سبحانك اللهم وحنانيك) وهي من حنّ، بمعنى الرحمة الإلهيّة الواسعة على الخلق اجمعين، الموجبة لتنزيهه تعالى عما يضادّ هذه الصفة مما لا يليق بشأنه تعالى من الظلم.

٢ ـ (سبحانك اللهم وتعاليت) حيث إن الذات المقدسة متعالية، فهو منزّه عن ضدّها وهو التسافل.

٣ ـ (سبحانك اللهم والعزّ إزارك) والإزار: ما يستر القسم الأسفل من الجسم، وهنا كناية عن صفة لازمة للذات، فهو تعالى منزّه عن ضدها وهو الذلّ.

٤ ـ (سبحانك اللهم والعظمة رداؤك) والرداء كالكساء، جاء بمعنى ما يلبس من الغطاء الكبير، والسيف، والدين، والزينة، والجامع المشترك: هو ما يلبس زيادة على ما يفتقر اليه الإنسان من الملبوس، لأيّ غرض كان، وسياق الدعاء يقتضي ان يكون الأوّل؛ لتعقبه بالازار الذي يغطي الاسفل من الجسم على ما اشرت اليه في تلخيص الذهب، والمعنى تغطية عظمة الله سبحانه الكون كله، فهو تعالى منزّه عن الذل.

٥ ـ (سبحانك اللهم والكبرياء سلطانك) والكبرياء: التجبرّ والتعالي، والسلطان: الحجة، ولذلك سمّي الحاكم سلطاناً لأنّ به تقام الحجة على

---

(١) في بعض النسخ: «سُبحَانَ الله العلي العظيم»، وفي (ط): «سُبحَانَك العلي العظيم».، وفي حاشية (ط) في نسخة: «سُبحَانَ ربّي العلي العظيم».

سُبْحَانَكَ أَنْتَ شَاهِدُ كُلِّ نَجْوَى.

سُبْحَانَكَ مَوْضِعُ كُلِّ شَكْوَى.

سُبْحَانَكَ حاضِرَ كُلِّ مَلأٍ.

سُبْحَانَكَ عَظِيمَ الرَّجاءِ.

سُبْحَانَكَ تَرَى مَا فِي قَعْرِ الْمَاءِ.

سُبْحَانَكَ تَسَمَّعُ أَنفاسَ الْحِيتَانِ فِي قعور الْبَحارِ.

سُبْحَانَك تَعَلَّمُ وَزْنَ السَّمَاواتِ.

سُبْحَانَكَ تَعَلمُ وَزْنَ الأرضينَ.

سُبْحَانَكَ تَعلمُ وَزْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ.

سُبْحَانَكَ تَعلمُ وَزْنَ الظُّلْمَةَ وَالنَّورَ.

سُبْحَانَكَ تَعلمُ وَزْنَ الفيءَ وَالْهَوَاءَ.

سُبْحَانَكَ تَعلمُ وَزْنَ الرِّيحَ، كَمْ هِيَ مِنْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

سُبْحَانَكَ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ[1].

سُبْحَانَكَ عَجباً، مَنْ عَرَفَكَ كَيْفَ لَا يَخَافُكَ.

---

(١) الْقُدُّوسُ: البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا، مأخوذ من القدس بمعنى الطهارة. قال في النهاية: في أسماء الله تعالى «القدوس» هو الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص، وفعّول بالضم من أبنية المبالغة. وقد يفتح القاف وليس بالكثير، ولم يجيء منه إلّا «قدّوس» و «سبّوح» و «ذرّوح».

الإنسان، وعظمة الذات المقدسة يستلزم عظمة الرجاء، فهو تعالى منزّه عن الضد هو اليأس منه؛ لأنه ﴿لَا يَاْيْئَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

١٢ ـ (سبحانك ترى ما في قعر الماء) القعر: العمق ونهاية الشيء من الأسفل، والمعنى عمق البحار المحيطة، والّتي تستغرق ثلثي الكرة الأرضية تقريباً، فإنّ العلم لم يتفرّغ بعد لاستثمار ما فيها من معادن، والله تعالى لا يغيب عنه هذه الاعماق الّتي خفيت على عقول البشر.

١٣ ـ (سبحانك تسمع أنفاس الحيتان في قعور البحار) والحوت لغة: السمك بأنواعه، والمراد فصيلة الحيتان العظيمة جسماً الّتي تعيش في البحار، وهي المعروفة بالبال، وهي ـ ككل الحيوانات المائية ـ لها خصائص معروفة في علم الفسلجة وحياتها بعيدة عن الإنسان عادة؛ لذلك ليست اصواتها وخصائصها معروفة إلّا لذوي الاختصاص، والله سبحانه (السميع العليم) بما يعزب عن علم الإنسان عادة بما فيها أنفاس هذه الحيتان الّتي لا تستأنس بالإنسان.

١٤ ـ (سبحانك تعلم وزن السماوات) وقد تمكّن العلم الحديث من معرفة طبقات الجوّ التي تعلو الكرة الأرضية، والسماء: العلو، والسماوات بمراتبها العالية متعددة، وقد استخدمها العلم الحديث في بثّ الذبذبات، وهي محدّدة بالمقاييس الماديّة.

وأشار في هذا التسبيح وما يليه إلى سلسلة من المقاييس الّتي يغفل عنها العقل البشري بتصور انها خلاء من دون مقاييس، مع ان الله سبحانه هو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[2] من دون أي اعتباط.

١٥ ـ (سبحانك تعلم وزن الأرضين) باعتبار الطبقات المتراكمة عبر العصور والاجيال، والتي بسببها يكتشف علماء الجيلوجيا عمر الأرض، حيث تمتاز كل طبقة منها بخصائص على طول الزمن.

---

(١) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢: ٨٧.
(٢) القرآن الكريم، سورة الأعلى ٨٧: ٣ ـ ٣.

الخصم، وجبروته تعالى بقدرته المطلقة، وحجته القاهرة على الخلق بالخلق والحياة.

٦ ـ (سبحانك من عظيم ما أعظمك؟) فإنّ عظمته تعالى لا تقاس بعظمة اخرى، وذاته المقدسة المعظم لا تقارن بأي موجود عظيم في المقاييس الماديّة، ويكفي ان الله بيده الحياة والموت، وهو على كل شيء قدير.

٧ ـ (سبحانك سبّحت في الملأ الأعلى) فالتسبيح لا يختص بالمخلوقين على وجه الأرض، بل سبقهم في التسبيح الملأ الأعلى من الملائكة المقربين إلى الله سبحانه، فكما انه يسمع تسبيح الملأ الاعلى، ففي نفس الوقت (تسمع وترى ما تحت الثرى) والثرى: الأرض؛ لأنه السميع العليم.

٨ ـ (سبحانك انت شاهد كل نجوى) النجوى: السر بين اثنين؛ لتخفّي السر عن الآخرين، والله سبحانه يعلم السرّ والعلن وما تخفى الصدور؛ فإنّه ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[١] فهو تعالى سامع للسر، ولكونه (اقرب إليهم من حبل الوريد)[٢] فهو شاهد كذلك.

٩ ـ (سبحانك موضع كلّ شكوى) الشكوى: ما يتظلّم به عند من يرفع الظلامة عن المظلوم، وهو الحاكم العادل، وبما ان صفة العدل المطلق في الإنسان معدومة؛ لأنه بشر يخفى عليه الحقائق وخاصة ممن تمرّنوا على الباس الحق بالباطل بأساليبهم الملتوية، فيكون الحاكم الّذي ينبغي ان تطرح الشّكوى عنده هو الله تعالى دون غيره؛ لأنه منزّه عن ميل وانحراف عن الحق ولا تخفى عليه خافية.

١٠ ـ (سبحانك حاضر كل ملأ) والملأ: الجماعة من الناس، والحضور: التواجد الملازم للمشاهدة لما يجري بينهم، فالله سبحانه خير الشاهدين.

١١ ـ (سبحانك عظيم الرجاء) والرجاء: الأمل بتحقيق ما يصبوا إليه

---

(١) القرآن الكريم، سورة المجادلة ٥٨: ٧.

(٢) اقتباس من القرآن الكريم، سورة ق ٥٠: ١٦.

٢٢ ـ تنزيه الله عن كل نقص وعيب مقروناً بالحمد.

٢٣ ـ تنزيه الله تعالى العليّ العظيم في الذات والوصف.

قال الجلالي: وقد جاء زيادة في هذا الموضع في نسخة أُخرى في مكتبة شكاة نفسها برقم ٧٣ ص ١٣١ بخط غلام على الشهير بـ: «محمد أمين»، ؤرخة ١٠٧٩ الّتي وصفتها في «الدراسة المنيفة حول الصحيفة»، ونص يادة ما لفظه: «روى الزهري عن سعيد بن المسيب، قال: كان القوم لا رجون من مكة حتى يخرج علي بن الحسين سيد العابدين، فخرج وخرجت ه فنزل في بعض المنازل فصلى ركعتين فسبح في سجوده فلم يبق شجر ولا ر الا سبحوا معه، ففزعنا، فرفع رأسه فقال: يا سعيد، أفزعت؟ قلت: نعم بن رسول الله، فقال: هذا التسبيح الاعظم، حدثني أبي عن جدي عن ول الله ﷺ أنه قال: لا يبقى الذنوب مع هذا التسبيح وان الله جل جلاله خلق جبريل ألهمه هذا التسبيح، وهو اسم الله عز وجل الاكبر»[1]. انتهت يادة.

---

(١) راجع: اختيار معرفة الرجال؛ للشيخ الطوسي ١: ٣٣٣ ـ ٣٣٥، الحديث ١٨٧ و١٨٨، وتمام الحديثين ما يلي:
١٨٧ ـ وفي رواية الزهري: عن سعيد بن المسيب، قال: كان القوم لا يخرجون من مكة حتى يخرج علي بن الحسين سيد العابدين، فخرج وخرجت معه فنزل في بعض المنازل فصلى ركعتين فسبح في سجوده فلم يبق شجر ولا مدر إلّا سبحوا معه، ففزعنا، فرفع رأسه فقال: يا سعيد أفزعت؟ قلت: نعم يا بن رسول الله. فقال: هذا التسبيح الأعظم، حدثني أبي عن جدي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: لا يبقى الذنوب مع هذا التسبيح، فقلت: علمنا.
١٨٨ ـ وفي رواية علي بن زيد: عن سعيد بن المسيب، أنه سبح في سجوده فلم يبق حوله شجرة ولا مدرة إلّا سبحت بتسبيحه، ففزعت من ذلك وأصحابي. ثم قال: يا سعيد ان الله جل جلاله لما خلق جبريل ألهمه هذا التسبيح فسبحت السماوات ومن فيهن لتسبيحه الأعظم، وهو اسم الله عز وجل الأكبر. يا سعيد، أخبرني أبي الحسين، عن أبيه، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن جبريل عن الله جل جلاله أنه قال: ما من عبد من عبادي آمن بي وصدق بك وصلى في مسجدك ركعتين على خلأ من الناس إلّا غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلم أر شاهداً أفضل من علي بن =

١٦ ـ (سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر) وقد تمكّن الإنسان ان يصل بسلطان العلم الى القمر ويجلب منه العينات الّتي على اساسها قدّر وزن القمر، وان لم يمكنه بعد من الوصول إلى الشمس المحرقة ولكنه بقياس الأشعة المنبعثة منها تمكّن من ان يقدّر وزنها بصورة تقريبية بما فيها من المادة الّتي تفرز الاشعاع، ولذلك يمكن التكهن بعمرها تقريبا أيضاً، والله سبحانه الذي خلقهما يعلم وزنهما بالدقة الّتي لا يدركه العقل البشري.

١٧ ـ (سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور) وقد اكتشف العلم الحديث سرعة النور الذي اصبح مقياساً لحساب بعد النجوم وتحديد عمرها التقريبي، وعلم وزن الظلمة والنور تحت القدرة الإلهيّة.

١٨ ـ (سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء) الفيء: الرجوع، ومنه الظل الذي يرجع في كل يوم، والهواء: الشيء الخالي والجو؛ لغلبة الاعتقاد بانه خال من المخلوقات، ولكل من الفيء والهواء مقاييس محدّدة تحدد حركاتها وآثارها في الفصول الاربعة ويستعلم منها الأنواء.

١٩ ـ (سبحانك تعلم وزن الريح، كم هي من مثقال ذرة) الذرة: أصغر جزء في الوجود، والمثقال: آلة لقياس الثقل، والريح: الهواء النسيم، وقد جعل الله سبحانه لأصغر جزء من الموجودات وهو الذرة، ولأخف الموجودات وهو الهواء النسيم، مقياساً دقيقاً ووزناً.

٢٠ ـ (سبحانك قدوس قدوس قدوس) القدس: التنزّه من كل نقص، فالله سبحانه بجعله لكلّ شيء من المخلوقات وزناً خاصاً أي معادلا يحاسب بمقياس خاص لا يتعدى ما حدّ الله له، والله منزّه عن كل نقص، وفي هذا التسبيح تكرار للتنزيه ثلاث مرات.

وقد ختم التسبيحات هذه الّتي تعبر عن القدرة المطلقة بتسبيحات ثلاث كنتائج ايجابية لما تقدم، وهي:

٢١ ـ التعجب ممن يعرف الله كيف يمكن أن لا يخافه.

روايات اهل البيت عليهم السلام، وقد يقتصر في السند مصرحاً بالرفع عن الآباء اختصاراً للسند. وكلمة المدر يعني الطين، وحيث إن البيوت كانت تبنى بالطين؛ لأنه كان من المواد الأوّلية للبناء كنّى به عن البلاد المسكونة، وقد أصبح قولهم: «الشجر والمدر» مثلا لما عمّ واشتهر أثره.

قال الجلالي: المراد بالزهري ـ بضم الزاي المعجمة وسكون الهاء ـ: أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبيد الله بن الحرث بن زهرة ـ وإليه النسبة ـ القرشي المدني، المتوفى سنة ١١٤هـ، وهو يروي عن شيخه ابو محمّد سعيد بن المسيب المخزومي المدني الأعور بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائد بن مخزوم، واليه النسبة. روى عن جمع من الصحابة، ولد سنة ١٥ وتوفي ٩٣ للهجرة، فتكون روايته عن الإمام علي بن الحسين السجاد قبل وفاة الأخير بسنتين على اقل تقدير؛ حيث إن وفاة الإمام عام ٩٥ والسند من الإمام إلى جدّه الأعلى رسول الله ﷺ بسلسلة الابناء عن الاباء، فهو يروي عن أبيه الإمام محمد الباقر (ت/ ١١٤هـ) عن جده سيد الشهداء الحسين بن علي (ت/ ٦١هـ) عن ابيه علي بن أبي طالب (ت/ ٤١هـ) عن رسول الله ﷺ (ت/ ١١هـ) كما هي سلسلة

= الحسين (عليه السلام) حيث حدثني بهذا الحديث. فلما أن مات شهد جنازته البر والفاجر، وأثنى عليه الصالح والطالح، وانهال الناس يتبعونه حتى وضع الجنازة، فقلت: إن أدركت الركعتين يوماً من الدهر فاليوم، فلم يبق إلّا رجل وامرأة. ثم خرجا إلى الجنازة. ووثبت لأصلي فجاء تكبير من السماء. فأجابه تكبير من الأرض. فأجابه تكبير من السماء. فأجابه تكبير من الأرض، ففزعت وسقطت على وجهي. فكبّر من في السماء سبعاً. وكبّر مَن في الأرض سبعاً. وصلى على علي بن الحسين (عليه السلام). ودخل الناس المسجد فلم أدرك الركعتين ولا الصلاة على علي بن الحسين (عليه السلام). فقلت: يا سعيد لو كنت أنا لم أختر إلّا الصلاة على علي بن الحسين (عليه السلام)، أن هذا لهو الخسران المبين. قال: فبكى سعيد ثم قال: ما أردت إلّا الخير، ليتني كنت صلّيت عليه فإنه ما رئي مثله. والتسبيح هو هذا:

«سبحانك اللهم وحنانيك، سبحانك اللهم وتعاليت، سبحانك اللهم والعزّ إزارك، سبحانك اللهم والعظمة رداؤك ـ ويقال: سربالك ـ، سبحانك اللهم والكبرياء سلطانك، سبحانك من عظيم ما أعظمك، سبحانك سبحت في الأعلى، سبحانك تسمع وترى ما تحت الثرى، سبحانك أنت شاهد كل نجوى، سبحانك موضع كل نجوى، سبحانك حاضر كل ملأ، سبحانك عظيم الرجاء، سبحانك ترى ما في قعر الماء، سبحانك تسمع أنفاس الحيتان في قعور البحار، سبحانك تعلم وزن السماوات، سبحانك تعلم وزن الأرضين. سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء، سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرة، سبحانك قدّوس قدّوس قدّوس، سبحانك عجباً من عرفك كيف لا يخافك، سبحانك اللهم وبحمدك، سبحان الله العلي العظيم».

وسرد في المقطع الأوّل الصفات الإلهيّة الّتي تنبئُ عن شرف الذات، والتي يعجز الوصف عنها سوى التأكيد على حقيقتها؛ فإنّه لا يمكن الاستدلال على وجود النور إلّا بالتأكيد على انه نور؛ والوجدان اكبر برهان، ومن ذلك:

١ ـ التجلّي للقلوب بالعظمة، فإنّ العقل يستظهر من عظمة الآثار عظمة المؤثر. والنظام الدقيق الحاكم في الكون يكشف عن عظمة الخالق، فأنوار عظمته متجلية ظاهرة للعقول المفكرة في الأسباب والمسببات، ونتيجة ذلك: أنّ أوهام البشر الماديّ لا يمكن ان تبلغ كنهه، أي حقيقة عظمته.

٢ ـ الاحتجاب عن الابصار بالعزة؛ فكل شيء يقاس بمقياسه الخاص به، فلا تقاس الماديات إلّا بالحواس الماديّة، واما ما ليس بمادة من المجردات فلا يقاس بالمادة، فهي محتجبة عن المقاييس الماديّة كالباصرة، والله سبحانه بعزته، أي بشرفه على الماديات محجوب عن الابصار، ونتيجة ذلك: ان الابصار لا تتمكن من رؤيته، والتثبت هنا: التمكن من المعرفة.

٣ ـ الاقتدار على الاشياء بالقدرة، والاقتدار: التمكن، فإنّ قدرته المطلقة لا حدّ لها من النفوذ في الاشياء الّتي تعجز عنه القدرة الماديّة.

٤ ـ التجبّر بالعظمة والكبرياء، والتجبر: السلطة الظاهرة على الكون، وتختص بالله سبحانه، لأن العظمة والكبرياء ليست إلّا له تعالى، ومن أسمائه: الجبار الذي لا يقهر عن إرادته.

٥ ـ التعطّف بالعز والبرّ والجلال، والتعطف: الانحناء والميل، وبالرغم مما يختص به تعالى من العظمة والكبرياء، فهو يميل إلى المخلوقات بما يقتضيه اوصاف الذات من العزّ، وهو الشرف، والبر وهو الاحسان، والجلال وهو الرفعة الذاتية.

٦ ـ التقدّس بالحسن والجمال، فالقدس: الطهر والبركة، فإنّ الحسن والجمال الماديان باديان في خلق العالم ونظامه الدقيق في مطالع السيارات السبع، والإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، كل ذلك يكشف عن الطهر والبركة في ذات خالقها، فالتقديس الحقيقي له في خلق المخلوقات كما شاء من الحسن والجمال والدقة في النظام، وتبارك الله أحسن الخالقين.

[الدعاء السادس والخمسون]

دُعاءٌ وتَمجِيدٌ[1] لَهُ عليه السلام

[١/٥٦ ـ دعاء التمجيد]:

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي تَجَلَّى لِلْقُلُوبِ بِالْعَظَمَةِ، وَاحْتَجَبَ عَنْ الأبصارِ بِالْعِزَّةِ، وَاقْتَدَرَ عَلَى الأشياءِ[2] بِالْقُدْرَةِ، فَلَا الأبصَارُ تَثْبُتُ لِرُؤْيَتِهِ، وَلَا الأوهَامُ تَبْلُغُ كُنْهَ[3] عَظْمَتِهِ.

تَجَبَّرَ بِالْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ، وَتَعَطَّفَ[4] بِالْعِزِّ وَالْبِرِّ وَالْجَلَالِ، وَتَقَدَّسَ بِالْحُسْنِ وَالْجمَالِ، وَتَمَجَّدَ بِالْفَخْرِ وَالْبَهَاءِ، وَتَهَلَّلَ[5] بِالْمُجِدِ والآلآءِ[6]، وَاسْتَخْلَصَ بِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.

المجد ـ لغة ـ: شرف الذات المقارن بحسن الفعال، والتمجيد: التعظيم لما يقربه من العز والرفعة.

استعرض هذا الدعاء في المقطع الأوّل حقيقة المجد الذي هو شرف الذات، وفي المقطع الثاني حسن الفعال الّتي تترشّح من شرف الذات.

---

(١) التمجيد، من المجد، وهو ـ لغة ـ: شرف الذات المقارن بحسن الفعال، والتمجيد: التعظيم لما يقربه من العز والرفعة.

(٢) في نسخة: «الإنشاء».

(٣) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته.

(٤) في (ط): «واستعطف».

(٥) في نسخة: «تجلل».

(٦) الآلاء: النعم الظاهرة.

لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فِي مَكَانٍ، وَلَا غَايَةَ فِي زَمانٍ، لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ وَلَنْ يَزَالُ كَذَلِكَ أَبَدًا، هُوَ الإلهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الدَّائِمُ الْقَدِيمُ، الْقَادِرُ الْحَكِيمُ[1].

وسرد في هذا المقطع بعض الصفات للذات المقدسة المستلزمة لحسن الفعال في المخلوقات، وهي:

١ ـ خالق لا نظير له في خلق الكون من السماوات والأرض.

٢ ـ واحد لا ندّ له، والند: النظير المشابه؛ فإنّ الواحد في العدد يماثلة عدد آخر في الوحدة. لكن الله واحد لا شبيه له[2].

٣ ـ واحد لا ضدّ له، والضدّان: أمران وجوديان لا يجتمعان، والتوحيد ينفي الشريك، فينفي الضد.

٤ ـ صمد لا كفو له، والصمود: الاستحكام في الوجود، ويلازمه: الاستقلال، فلا كفو له، أي لا نظير له ولا معادل، فإنّ كل موجود ممكن يفتقر إلى غيره في الايجاد إلّا واجب الوجود المستقل عن النظير.

٥ ـ إله لا ثاني له، فإنّ التثنية ادنى مراتب الشرك، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[3].

٦ ـ فاطر لا شريك له، والفاطر: الخالق ابتداءً من دون مشاركة أحد في الخلق.

٧ ـ رازق لا معين له، فإنّ الاعانة تستلزم الاحتياج، والواجب لا يفتقر إلى أي شيء.

٨ ـ الأوّل بلا زوال، الأوّل بمعنى الحركة، فإنّ الأوّلية في الممكنات تكون بالحركة من العدم إلى الوجود، وأما واجب الوجود فهو أول بلا حركة تسبقه.

---

(١) في نسخة: «الحليم».

(٢) وتقدم معنى «الأحد»، والفرق بينه وبين «الواحد» في بيان المقطع الثاني من الدعاء رقم (٥٤)، فراجع.

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنبياء ٢١: ٢٢.

٧ ـ التمجيد بالفخر والبهاء، فالشرف يلازم الفخر الحقيقي بالوصف بالخصال الذاتية والبهاء الحقيقي، وهو الحسن؛ فإنّ الفخر والبهاء في الإنسان انما يرجع إلى واهبها الذي هو واجدهما بالذات.

٨ ـ التهلّل بالمجد والآلاء، والتهلل هو ظهور الفرح، والله سبحانه يعود اليه الفرح الحقيقى بسبب مجده، وهو شرف الذات. وبسبب آلائه على الخلق وهي نعمائه التي انعم بها على الخلق أجمعين، وأقلها نعمة الحياة والنظام العام.

٩ ـ الاستخلاص بالنور والضياء، والخلوص: العفو من أية شائبة، واستخلاصه بالنور والضياء إشارة إلى خلوص الذات المقدسة وآثارها، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1] ونتيجة النور: الضياء المستلزم للذات.

والصفات الإلهيّة في هذا المقطع لا تكون إلّا لذات لها المجد، أي شرف الذات بالحقائق المذكورة الّتي تتجلّى لمن له عين البصيرة.

[٢/٥٦ ـ حَسَنُ الْفعالِ]:

خَالِقٌ لَا نَظِيرَ لَهُ، واحدٌ[2] لَا نِدَّ[3] لَهُ، وَواحدٌ لَا ضِدَّ لَهُ[4]، وَصَمْدٌ لَا كُفْوَ لَهُ، وإلهٌ لَا ثَانِيَ مَعَهُ، وَفَاطِرٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، ورازقٌ لَا مَعِينَ لَهُ، والأوّلُ بِلَا زَوالٍ، وَالدَّائِمُ بِلا فَنَاءٍ، وَالْقَائِمُ بِلا عَنَاءٍ، وَالْمُؤَمِّنُ بِلَا نِهايَةٍ، وَالْمُبْدِئُ بِلا أَمَدَ، وَالصَّانِعَ بِلا أَحدٍ[5]، وَالرَّبُّ بِلا شَرِيكٍ، وَالْفَاطِرُ[6] بِلا كُلْفَةٍ، وَالْفَعَّالُ بِلَا عَجزٍ.

---

(١) القرآن الكريم، سورة النور ٢٤: ٣٥.

(٢) في حاشية (ط) في نسخة: «وأَحَدٌ ـ بخطه»، وفي الصحيفة الجامعة،للأبطحي: «وواحد».

(٣) الند: المثل والنظير.

(٤) في نسخة الأبطحي زيادة: «وماجد لا ضد له».

(٥) في نسخة الأبطحي: «بلا ظهير».

(٦) الفاطر: الحق، البارئ.

٢٠ ـ (كذلك الله أبداً) أي أزلياً.

وتتلخص صفات الذات المقدسة بأنّه «الإله الحيّ القيّوم الدائم القديم القادر حكيم» وهذه الصفات في نفسها تستلزم حسن الفعال في المخلوقات عامّة في سماوات والأرض من الجنّة والناس أجمعين، وهي غير خافية على من ينظر إليها مين البصيرة، وأقلّها نعمة الحياة والعقل والإرادة على ان يغيّر حالة ما في نفسه المجتمع من الانحراف؛ فإنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم[١].

٣/٥٦ ـ حالَاتُ الدَّاعِي]:

إلهِي، عُبيدُكَ[٢] بِفَنَائِكَ، سائِلُكَ بفنائِكَ، فَقِيرُكَ بفنائك ـ ثَلاثاً ـ.

إلهِي، لَكَ يَرْهَبُ[٣] المترَهِّبُونَ، وَإِلَيكِ أَخلَصَ الْمُبْتَهِلُونَ[٤] رَهْبَةً كَ وَرَجَاءً لِعَفوِكَ.

يا إلَهَ الْحَقِّ ارْحَمْ دُعَاءَ المستصرِخِينَ، وَأعْفُ عَنْ جَرَائِمِ لْغَافِلِينَ، وَزِدْ فِي إحسانِ الْمُنِيبِيْنَ[٥] يَوْمَ الْوُفُودِ عَلَيكَ، يا كَرِيمُ[٦].

---

١) كما ورد في القرآن الكريم، سورة الرعد ١٣ : ١١.

٢) في نسخة: «عبدك».

٣) يرهب: يخاف.

٤) في نسخة: «المستهلون».

٥) المنيبين: الراجعين عن الذنوب.

٦) ورد هذا الدعاء في الصحيفة السجادية (جمع الأبطحي) ص ٢١، مما روي من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، بالرقم (٢) بعنوان: «دعاؤه عليه السلام في التحميد لله عز وجل»، وفيه زيادة ما يلي: «العليم القاهر، الحليم، المانع لما يشاء، والفعّال لما يـريـد ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء) و﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أمره ماضٍ وحكمه عدلٌ، ووعده حقٌ، وقوله صدقٌ، ولو تجلى لشيءٍ صار دكّاً، فـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمداً عبده ورسوله، ارتضاه برسالته، وائتمنه على وحيه، وانتجبه من خليقته، واصطفاه من بريته، فأوجب الفوز لمن أطاعه وقبل منه، والنار على =

٩ ـ (الدائم بلا فناء) والدوام: الاستمرار، والفناء: الهلاك، فإنّ واجب الوجود دائم الوجود بنفسه، ووجوب الوجود يناقض الهلاك.

١٠ ـ (القائم بلا عناء) والقيام بالشيء: الاهتمام بما يفتقر إليه ذلك الشيء، وهو من واجب الوجود بالإرادة ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

١١ ـ (المؤمّن بلا نهاية) من الأمن، بمعنى السلامة والوثوق والطمأنينة، واذا كان ذلك من الله سبحانه فلا يكون له نهاية؛ لأنّ رحمته تعالى غير محدودة بقيد أو شرط.

١٢ ـ (المبدئ بلا أمد) والأمد هو بمعنى الأجل والغضب، والله سبحانه يخلق ما يخلق بحكمة في الخلق من دون أن يسبقه أجل للابتداء ولا لردّ الفعل بالغضب، بل لما في الخلق من الحكمة العامة.

١٣ ـ (الصانع بلا أحد) يعينه على الصنع، بل الصنع إنّما يكون بإرادته النافذة.

١٤ ـ (الرب بلا شريك) فهو ربّ العالمين، يربّيها على حكمته من دون شريك له في الربوبيّة.

١٥ ـ (الفاطر بلا كلفة) وهي العناء في تحقيق الشيء المطلوب، فإنّ الفطر، أي الخلق يكون بارادته تعالى.

١٦ ـ (الفعّال بلا عجز) فما يصدر من حسن الفعال المتعدّدة والمتكثرة بالقدرة المطلقة الإلهيّة لا عجز فيها.

١٧ ـ (ليس له حدّ في مكان) فإنّ التحديد بالمكان يستلزم الجسمية، تعالى الله عن ذلك.

١٨ ـ (ليس له غاية في زمان) والغاية: النهاية؛ فإنّ الغاية تستلزم الحدوث، والله هو واجب الوجود.

١٩ ـ (لم يزل) في الماضي، (ولا يزول) في الحال، (ولن يزال) في المستقبل؛ لأن الزوال يستلزم الحدوث والامكان، والله سبحانه منزّه عنهما.

---

(١) القرآن الكريم، سورة يس ٣٦: ٨٢.

[الدعاءُ السابع والخمسون]

ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام في التذلّلِ[1]

[٥٧/١ ـ دعاء التذلل]:

مَوْلَايَ مَوْلَايَ، أَنْتَ الْمَوْلى وَأَنَا الْعَبْدُ، وَهَلْ يُرَحِّمُ الْعَبْدَ إلّا لْمَوْلى؟!

مَوْلَايَ مَوْلَايَ، أَنْتَ الْعَزِيزُ وَأَنَا الذَّلِيلُ، وَهَلْ يَرحمُ الذَّلِيلَ إلّا الْعَزِيزُ؟!

مَوْلَايَ مَوْلَايَ، أَنْتَ الْخَالِقُ وَأَنَا الْمَخْلُوقَ، وَهَلْ يَرحمُ الْمَخْلُوقَ إلّا الْخَالِق؟!

مَوْلَايَ مَوْلَايَ، أَنْتَ الْمُعْطِي وَأَنَا السّائِلُ، وَهَلْ يُرَحِّمُ السَّائِلَ إلّا الْمُعْطِي؟!

مَوْلَايَ مَوْلَايَ، أَنْتَ الْمُغِيثُ وَأَنَا الْمُسْتَغِيث، وَهَلْ يَرحمُ الْمُسْتَغِيثَ إلّا الْمُغِيثُ؟!

مَوْلَايَ مَوْلَايَ، أَنْتَ الْباقِي وَأَنَا الْفَانِي، وَهَلْ يَرحمُ الْفَانِيَ إلّا الْباقِي؟!

---

(١) في حاشية (ط) ما نصه: «(في التذلل)، وهذه الكلمة لم تكن بخط الشهيد قدس سره».

وختم الدعاء بذكر حال الداعي المفتقر إلى حسن الفعال من الله سبحانه بالعفو والرحمة.

وسرد من اوصاف حالته، وهي حالة من يلجأ إلى فناء الله تعالى، أي ينزل في ساحته المقدسة للسؤال منه، وهي:

١ ـ (عُبيدك) وهو تصغير العبد، زيادة في هوان حالته، وأنّه في أدنى مراتب العبودية.

٢ ـ (سائلك) واللجوء إلى الله سبحانه للسؤال كما هي حالة المتسوّلين للسؤال.

٣ ـ (فقيرك) فإنّ الفقر هو الذي اوجب عليه اللجوء إلى الله، وهو الفقر إلى الله وحده، دون غيره.

وقد أعاد عليه السلام هذه الفقرات ثلاث مرات؛ تأكيداً على التصديق الكامل بها.

ثم أشار إلى أن هذه الحالة هي حالة المترهّبين الذين يلجئون إلى الله رهبة وخوفاً، وهي حالة المخلصين المستهلّين، والمستهل: الرافع صوته بالدعاء رجاءً للعطف، كما يرفع الطفل صوته بالبكاء رجاءً للعطف.

وهذه الحالات الثلاث تقتضي من الذات المقدسة الفائضة بحسن الفعال أموراً ثلاثة، هي:

١ ـ الرحمة، بقبول دعاء المستصرخين، ومنهم الداعي.

٢ ـ العفو عن جرائم الغافلين، والجريمة هي الذنب، والغفلة: السهو، ومنهم الداعي.

٣ ـ الاحسان للمنيبين، أي المقبلين على الله سبحانه، ومنهم الداعي.

وختم المقطع الاخير بالإشارة إلى أن الداعي هو وافد على الله سبحانه، ولكلّ وافد حق على الموفود عليه بالاحسان، والكرم الإلهي، وهو يقتضي الزيادة؛ لأنهم وفود ومنيبون في نفس الوقت.

= من عصاه وصدف عنه. فصلوات الله عليه وآله الطيبين الأخيار الطاهرين الأبرار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً».

جانب ممكن الوجود من ناحية اخرى، لا تدع مجالا لتصورّ أن الإنسان مستغن عن هذه الرحمة من ناحية، وانّ الرحمة الإلهيّة الواسعة قاصرة عن شمولها ايّاه.

وقد ابتدأ كل صفة مقارنة بتكرار لفظة (مولاي مولاي) تأكيداً على الاقرار بالولاية، وأنّه تعالى هو مالك الأمر والناصر للإنسان الذي لا ناصر له، وقد سرد الصفات مقارنة بأضدادها، كالآتي:

١ ـ المولى والعبد، فالمولى: مالك الأمر قائم بأمر غيره. والعبد: مملوك لا يقدر على ذلك، وفي حالة غير متكافئة كهذه لا يكون التوقّع الّا بأن يرحم المولى عبده، حيث لا قدرة للعبد علي شيء ويفتقر إلى من ينصره بالرحمة، وليس ذلك ممكناً الّا من المولى، فهو المدعوّ لذلك دون غيره.

٢ ـ العزيز والذليل، العزّة: هي الشرف والعظمة، والذلة: الهون والحقارة، وعدم التكافؤ بين الوصفين يقتضي رحمة العزيز للذليل.

٣ ـ الخالق والمخلوق، والخلق: هو الايجاد، والله سبحانه خلق المخلوقات كلّها بأسبابها المنتهية إلى ارادته، فهو مسبّب الأسباب وموجدها، ومنها الإنسان المخلوق، ولا تكافؤ بين الصفتين، فالمتوقع للرحمة من جانبه هو الخالق دون غيره.

٤ ـ المعطي والسائل، وقد اعطى الله سبحانه للإنسان الحياة والإرادة والقدرة والعقل ليستخدمها في تدبير حياته ومعاشه ومعاده. والإنسان من جانبه ليس الّا سائلا فقيراً لما يستغني عنه الله سبحانه، فيقتضي شمول الرحمة ايّاه.

٥ ـ المغيث والمستغيث، والغوث: الاعانة والنصر، والله سبحانه ليس ممكناً، فلا يحتاج، بخلاف الإنسان الذي هو من الممكنات فيفتقر إلى من يوجده، وفي حالة العجز كهذه يكون هو المستغيث للعون والنصر، والله سبحانه هو المغيث والمعين والناصر برحمته الواسعة.

٦ ـ الباقي والفاني، ومن صفات الباري تعالى البقاء لكونه الأزلي الذي لا فناء له، والممكنات مصيرها الفناء، فيفتقر الإنسان الذي هو من الممكنات إلى الرحمة ممّن لا فناء له.

مَوْلَايَ مَوْلَايَ، أَنْتَ الدَّائِمُ وَأَنَا الزَّائِل، وَهَلْ يَرحمُ الزَّائِلَ إلّا الدَّائِم؟!

مَوْلَايَ مَوْلَايَ، أَنْتَ الْحَيُّ وَأَنَا الْمَيت، وَهَلْ يرحمُ الْمَيتَ إلّا الْحَيّ؟!

مَوْلَايَ مَوْلَايَ، أَنْتَ الْقَوِيّ وَأَنَا الضَّعِيف، وَهَلْ يرحمُ الضَّعِيفَ إلّا الْقَوِيّ؟!

مَوْلَايَ مَوْلَايَ، أَنْتَ الْغَنِيّ وَأَنَا الْفَقِير، وَهَلْ يرحمُ الْفَقِيرَ إلّا الْغَنِيّ؟![١]

مَوْلَايَ مَوْلَايَ، أَنْتَ الْكَبِيرُ وَأَنَا الصَّغِير، وَهَلْ يرحمُ الصَّغِيرَ إلّا الْكَبِيرُ؟!

مَوْلَايَ مَوْلَايَ، أَنْتَ الْمَالِكُ وَأَنَا الْمَمْلُوك، وَهَلْ يرحمُ الْمَمْلُوكَ إلّا الْمَالِك؟!

الذلّ ـ في اللّغة ـ: الهوان والحقارة، والتذّلل: الخضوع والتواضع لمن يستحقّها، وفي هذا الدعاء استعراض لصفات الله سبحانه وتعالى واسمائه الحسنى الّتي تستلزم الرحمة المطلقة التي كتبها على نفسه بقوله: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[٢] ومقارنتها بصفات الإنسان، والّتي تقتضي شمول تلك الرحمة المطلقة اياه، فإنّ التقابل بين هذه الصفات من جانب واجب الوجود من ناحية، ومن

(١) هذه الفقرة لم ترد في بعض النسخ.
(٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام ٦: ١٢.

مملوك لا استيلاء له على شيء سوى ما أقدره الله عليه من الإرادة والحرية باختيار الخير أو الشرّ ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(١).

وهذه الصفات الإلهيّة تقتضي شمول الرحمة الإلهيّة الواسعة على من سار على الصراط المستقيم وأناب اليه تعالى بالتوبة لأنه تعالى ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾(٢).

---

(١) القرآن الكريم، سورة الدهر ٧٦: ٣.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام ٦: ١٢.

٧ ـ الدائم والزائل، والدوام: الاستمرار من غير انقطاع، والزوال ضدّه، والزائل يفتقر إلى الدائم في رحمته المستمرة وفي الوجود.

٨ ـ الحي والميت، الحياة والموت ضدّان لا يجتمعان، والإنسان في حالته الماديّة ميّت معنويّاً، لأنه يفتقر إلى واهب الحياة في كلّ لحظة من لحظات حياته، والفقر هذا موت معنويّ ويفتقر إلى رحمته تعالى لاستمرار الحياة.

٩ ـ القويّ والضعيف، والقوة: الطاقة، والضعف عدمها، ومنها ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾[١]. والضعف هو المقتضي لشمول الرحمة ايّاه كي يكون قادراً على أداء دوره المسؤول تجاه نفسه ومجتمعه.

١٠ ـ الكبير والصغير، فالله سبحانه أكبر من ان يوصف بالوصف الحقيقي الذي يدركه العقل البشري، والإنسان لا يدرك المجرّدات إدراكاً واقعياً كما يدرك المحسوسات، فهو صغير معنوياً في ان يدرك حقيقة الألوهية، سوى العلم بالوجود، ومن أجل ذلك تعددت الصفات، بل عجزت الكلمات في الوصف، فالإنسان لصغره المعنوي يفتقر إلى الرحمة.

١١ ـ المالك والمملوك، الملك ـ لغة ـ الاستيلاء، وأيضاً الشيء الذي يملكه الإنسان كالسلعة ومما لا روح له من الجمادات أو لا عقل له كالحيوانات، أو لا إرادة مستقلة له كالعبيد.

وحيث أشار في الفقرة الأولى إلى صفتي (المولى والعبد) المتضادين فلا تختص هذه الفقرة بما لا إرادة مستقلّة له، والإنسان الذي أكرمه الله بالعقل يمتاز عن سائر الحيوانات، فهو خارج عن المراد. فينحصر المراد من الملك: بالاستيلاء بما له من معنى، فإنّ الله سبحانه: ﴿مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[٢] فهو تعالى المالك الحقيقي الذي يكون قادراً على أن ينتزع الحياة؛ فإنّه هو الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٣]، والإنسان

---

(١) القرآن الكريم، سورة النساء ٤ : ٢٨.
(٢) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣ : ٢٦.
(٣) القرآن الكريم، سورة الملك ٦٧ : ٢.

لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[1] واختلف المفسرون في المراد باهل البيت على اقوال:

منها: ان المراد خصوص زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله، لأن سياق الايات في القرآن يقتضي ذلك؛ حيث إن صدر الاية وما بعدها خطاب إلى الازواج خاصة.

ولكن هذا السياق لا يستقيم مع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ﴾، حيث إنه خطاب للذكور خاصة أو للأعمّ من الذكور والإناث على التغليب.

ومنها: ان المراد خصوص اهل الكساء الخمسة النجباء؛ وهم: الرسول الاعظم وبنته فاطمة، وزوجها عليّ، وابناهما الحسن والحسين؛ للاحاديث النبوية الكثيرة في الموضوع، ونكتفي بما رواه مسلم في صحيحه باسناده عن زيد بن أرقم، قال: لمّا نزلت هذه الاية: ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ﴾[2] جمع رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»[3].

حيث حدّد الرسول صلى الله عليه وآله بنفسه المراد بأهل بيته. ثم أُطلق أهل البيت على سائر الائمة عليهم السلام تغليباً.

والتاريخ يشهد بطهارتهم من كلّ رجس وانهم بذلوا ما يملكون من نفس ونفيس في المحافظة على الثوابت الإسلامية والسنة النبوية الطاهرة المطهرة في حياتهم الشخصية والأُسرة والمجتمع الإسلامي، وللتفصيل راجع المادة في «معجم الأحاديث».

وسبب استمرار أهل البيت على خطى جدهم الاعظم: تواجد الجينات الحيّة من جدهم في دمائهم، وهي الّتي جعلتهم يختصون بخصائص تجعلهم قدوة للمجتمع الإسلامي.

وقد سرد هذا الدعاء تلك الخصائص الّتي يجب ان تتواجد في القيادة الإسلامية الرشيدة المتمثلة بهم لوراثتهم تراث جدهم الأطهر، والخصائص هي:

---

(١) القرآن الكريم، سورة الاحزاب ٣٣: ٣٣.

(٢) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ٦١.

(٣) صحيح مسلم ٧: ١٢٠، ط/القاهرة، سنة ١٣٣٤.

[الدعاء الثامن والخمسون]

ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام في ذكر آل مُحَمَّدٍ عليهم السلام[1]

[١/٥٨ ـ دعاء آل مُحَمَّدٍ]:

اَللَّهُمَّ يا مَنْ خَصَّ مُحَمَّداً وَآلَهُ بِالْكَرامَةِ، وَحَباهُمْ بِالرِّسالَةِ، وَخَصَّصهُمْ بِالْوَسِيلَةِ[2]، وَجَعَلَهُمْ وَرَثَةَ الاَنْبِياءِ، وَخَتَمَ بِهِمُ الأوْصِياءَ وَالأئِمَّةَ، وَعَلَّمَهُمْ عِلْمَ ما كانَ وَعِلمَ مَا بَقِيَ، وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ.

فَصَلِّ[3] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرِينَ، وَافْعَلْ بِنا ما أَنْتَ أَهْلُهُ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيا وَالآخِرَةِ، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

الآل ـ في اللّغة ـ: الأهل، وهم ذوو القرابة، ويصغّر على أُهيل، لكونه أصلاً. وقد خصّ الله سبحانه أهل البيت بصفة الطهارة بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ

---

(١) ورد هذا الدعاء في حاشية (ج) بعنوان: «وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في ذكر آل محمد عليهم السلام: اَللّهُمَّ يا مَنْ خَصَّ مُحَمَّداً وَآلَهُ بِالْكَرامَةِ»، إلى قوله: «إنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». وكتب الجباعي بعده ما نصه: «نقلت هذه الزيادة من نسخة من خط الكفعمي، ونقلها هو من خط نسخته من خط الشهيد قدس الله روحه». انتهى.

(٢) في (س): «يقال: توسّل فلان إلى ربّه بوسيلة: إذا تقرّب إليه بعمل. فخصّهم بالوسيلة، أي جعلهم ممّا يتوسّل بهم، ويقال: الوسيلة درجةٌ في الجنة خصّ الله بها محمّداً وأهل بيته (صلّى الله عليه وعليهم)». (حاشية ابن إدريس: ١١٥).

(٣) كذا في حاشية (ج)، وفي (ط) وبعض النسخ: «صل».

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[1] وكذلك سيرة اهل البيت، فقد جعل الله افئدة من الناس تهوي إليهم وتتبع آثارهم وتعتزّ بتراثهم.

وهذه الخصائص توجب الاقتداء بأهل البيت في الحياة والاهتداء بما شاروا اليه من الاعمال الصالحة، ومنها: الدعاء الصالح، وقد ختم بدعاء شامل لحياة كلّها، وهي ما هو اهل له من الرحمة الواسعة في أمور ثلاثة، هي:

١ ـ الدين، بمعرفة الصراط المستقيم والثوابت الإسلامية الأصيلة.

٢ ـ الدنيا، بسلوك الصراط المستقيم في الحياة في النفس والاسرة والمجتمع.

٣ ـ الآخرة، حيث ينقطع دور العمل بالجزاء، بالعفو والغفران عمّا صدر من الإنسان.

---

(١) القرآن الكريم، سورة القصص ٢٨: ٥٦.

١ ـ الكرامة، فقد خُصّ جدهم محمد ﷺ بكرامة النبوة، واهل بيته توارثوا جيناته الحية في دمائهم.

٢ ـ الرسالة، فقد خصّ الله سبحانه محمداً بالرسالة الإلهيّة الخاتمة، وخصّ أهل بيته عليهم السلام بوراثة تراث الرسالة أبا عن جدّ في سلسلة متّصلة.

٣ ـ الوسيلة، وهي الواسطة في الشفاعة بوسيلتهم، لقربهم عند الله سبحانه فيتوسل اليهم، وهم لا يشفعون الّا لمن ارتضى الله تعالى[(١)].

٤ ـ وراثة الأنبياء في العلم والحكم؛ فإنّ النبيّ ﷺ ورث النبوة وختمها، واهل النبوة ورثوا سنّة جدّهم وحافظوا عليها في حياتهم الخاصة والمجتمع الإسلامي.

٥ ـ الوصاية، وحيث إن لكل نبيّ وصيّ يقوم بمهمة المسؤولية الّتي خلّفها، وقد ختمت النبوّة بسيدنا محمد ﷺ، فتكون الوصاية للنبوة ختمت بوصيّ الرسول ﷺ، ثم تعقبها وصاية الإمامة إماماً بعد إمام من أئمة اهل البيت ﷺ.

٦ ـ العلم، فقد خصّ الله سبحانه النبيّ محمد ﷺ بالعلم لما كان في الماضي وما بقي في الحال والمستقبل، كل ذلك بواسطة الوحي الّذي أنزله جبرائيل على قلبه، ولذلك خصّ اهل البيت بتوارث هذا العلم أباً عن جدّ في سلسلة متصلة.

٧ ـ القيادة والإمامة، بتحمّل المسؤولية الإسلامية للهداية والارشاد إلى الثوابت الإسلامية وعرضها على المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان النبيّ ﷺ قائداً في حياته يدعوا إلى الإسلام وخلفه اهل البيت بالدعوة إلى تطبيق الإسلام على خطى جدهم النبيّ ﷺ.

وطبيعيّ أن تكون نتيجة الدعوة في عصر الرسالة نسبية، كما قال سبحانه:

---

(١) كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأنبياء ٢١: ٢٨).

أرضِكَ، كَمَا عَظَّمَ حُرُمَاتَكَ، وَدَلَّنَا عَلَى سَبِيلِ مَرْضَاتِكَ، يا أَرْحَمَ لرّاحِمِينَ.

الآدم ـ في اللّغة ـ: صفة من له لون السمرة، وأصبح الاسم أسماً علماً أبي البشر، كما يطلق على سلالتة من افراد الجنس البشري.

وقد سرد الدعاء خصائص آدم أبي البشر الّتي تجعله قدوة في التوبة والرجوع ى الله سبحانه، فقد اتفقت الكتب السماوية على خلقه لأوّل مرة مكرماً بالعقل ون سائر المخلوقات، وتكريمه بالجنان وامتحانه بوسوسة الشيطان، وعصيانه أوامر الرحمن، ثم تعقّب ذلك بالتوبة عن العصيان. فأهمّ خصائصه المؤثرة في حياة سلالته انه فتح باب التوبة، فهو القدوة في ذلك. ومن الخصائص الّتي امتاز ها آدم عليه السلام، أنه:

١ ـ (بديع الفطرة) والبدعة: الايجاد، والفطر: الشق، والمراد الاختراع خلق جديد، دون سائر المخلوقات، ويمتاز عليها بالعقل، فهو الحيوان الناطق ون غيره من الأنواع، وبالعقل امتاز على سائر الأنواع والاجناس.

٢ ـ (أوّل معترف بالربوبية) من البشر المخلوق من الطين، قال ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا لْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾[١].

٣ ـ (أوّل حجّة على العباد) بخلقه الذي لم يسبق له مثيل، وبنبوّته عن لخالق، والبكر لكل شيء: أوّله، فإنّه لم يسبق آدم بشر مكرّم بالعقل، كما لم سبقه بشيء من قبل، فهو أوّل الحجج وأوّل الأنبياء.

٤ ـ (الدليل على الاستجارة)، وهي طلب الجوار، أي الاستغاثة بعفو الله سبحانه على ما صدر منه من عصيان الأمر بالنسبة إلى الاقتراب من الشجرة الّتي نهاه الله عنها.

٥ ـ (الناهج سبل التوبة) حيث عقب العصيان لأوامر الرحمن بالتوبة، فصار قدوة للتائبين ممن وقع في العصيان عن جهل أو عمد أو نسيان.

---

١) القرآن الكريم، سورة المؤمنون ٢٣: ١٢.

[الدعاء التاسع والخمسون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في الصلاة على آدم عليه السلام[1]

[١/٥٩ ـ الصلاة على آدم عليه السلام]:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آدَمَ[2]، بَدِيعَ[3] فِطْرَتَكَ، وَأَوَّل مُعْتَرِفٍ مِنْ الطِّينِ بِرُبُوبِيَّتِكَ، وَبِكْرَ[4] حُجَّتِكَ عَلَى عِبادِكَ[5]، وَالدَّلِيلِ عَلَى الاستِجارَةِ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَالنَّاهِجِ سُبُلَ تَوْبَتِكَ، وَالْمُتَوَسِّلَ بَيْنَ الْخُلُقِ وَبَيْنَ مُعَرِفَتِكَ، وَالَّذِي لَقَّنتَهُ[6] مَا رَضِيتَ بِهِ عَنْه بِمَنِّكَ عَلَيه وَرَحْمَتِكَ لَهُ، وَالْمُنِيبُ الَّذِي لَمْ يُصِرَّ عَلَى مَعْصِيَتِكَ، وَسَابِقَ الْمُتَذَلِّلِينَ بِحَلْقِ رَأْسِهِ فِي حَرَمِكَ، وَالْمُتَوَسِّلِ بَعْدَ الْمَعْصِيَةِ بِالطَّاعَةِ إِلَى عَفْوِكَ، وَأَبُو الأنبياءِ الَّذِينَ أُوذُوْا فِي جَنْبِكَ، وَأَكْثَرُ سُكَّانَ الأرضِ سَعَياً ونشاطاً فِي طَاعَتِكَ.

فَصَلِّ عَلَيه أَنْتَ يا رَحمنَ، وَمَلَائِكَتُكَ وَسُكَّانُ سَمَاواتِكَ

---

(١) ورد هذا الدعاء في (ش) برقم (٤٤) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام في الصلاة على آدم عليه السلام».

(٢) في (ش) (ط): «اللّهمّ وآدم»، وفي حاشية (ش) كتبت على هذه العبارة: «اللّهمّ وصل على آدم» نسخة، والمثبت في الأصل: «اللّهُمَّ وآدم».

(٣) في نسخة: «بدو».

(٤) البكر: أول كل شيء.

(٥) في (ط) وبعض النسخ زيادة: «وبريّتك».

(٦) كذا في (ك)، وفي غيرها: «لقّيته».

الأوّل: تعظيم الحرمات، الّتي اهمها تحمّل مسؤولية النبوّة.

الثاني: الدلالة على سبيل مرضاة الله تعالى، والتي أهمّها فتح باب التوبة.

وقد جاء تفصيلهما في الخصائص الاثني عشر المتقدمة.

ونتيجة هذه القدوة الحسنة: أنّ آدم يستحق الصلاة من الله تعالى والملائكة وسكّان السماوات والأرض، فإنّه لكل البشر عبرة وقدوة في خلقه وتوبته وطاعته، كما يكشف عن ذلك سيرته في الحياة والتي فصّلتها كتب قصص الأنبياء، وراجع المادة في «معجم الأحاديث».

٦ ـ (المتوسل بين الخلق وبين معرفة الله) حيث أنّه الوسيلة في خلق السلالة بالتناسل، ولولاه لما كان للأفراد البشرية وجود، ولولا وجودهم لما كانت وسيلة لمعرفة تعالى، فكان آدم الوسيلة بين الخلق ـ والمراد به هنا: افراد البشر ـ وبين معرفة الله.

٧ ـ (المرضيّ عنه عند الله سبحانه) حيث ألهمه الله سبحانه وسيلة رضا الله، وهي التوبة، وذلك رحمة منه سبحانه عليه. والتلقين: التفهيم.

٨ ـ (المنيب إلى الله) والإنابة: الرجوع بعد العصيان، أي الامتثال بصدق التوبة، ويظهر الصدق فيها من عدم الاصرار على المعصية، فإنّ ذلك يكشف عن أنّ التوبة كانت توبة نصوح.

٩ ـ (سابق المتذلّلين) والذل: الهوان، ومن مظاهره المحسوسة: حلق الرأس علامة للخضوع لما يؤمر به، وهو من شعائر الحج في الحرم، وقد سبق الآخرين، فكان القدوة في ذلك.

١٠ ـ (المتوسّل بالطاعة) فهو القدوة في سلوك الوسيلة بعد المعصية إلى عفو الله سبحانه بالطاعة، ومنها: التوبة والشفاعة وعمل الخير.

١١ ـ (أبو الأنبياء) فهو أوّل الأنبياء وأبوهم نسباً وعملا، فهم سلالته نسباً والسائرون على خطى نبوّته عملا ممّن تحمّل مسؤولية النبوة، فهم جميعاً تحمّلوا الأذى في سبيل أداء المسؤولية الّتي تحمّلها أبوهم آدم، فهم سائرون في طريقة حيث سار، وان كان اكثرهم اذى خاتمهم حيث قال: «ما أُوذي نبيٌّ مثل ما أُوذيت»[١] فإنّ طريق المسؤولية محفوف بالمكاره والأذى في سبيل الحق.

١٢ ـ (الساعي في الطاعة) فإنّ سعي آدم لم ينحصر بالأرض، بل كان سعيه في الجنّة على كسب رضى الله سبحانه كما كان في الأرض، فهو اكثر سكان الأرض سعياً في سبيل طاعة الله.

وختم الدعاء بما يجعل من آدم قدوة يقتدى به في الحياة، وهو أمران:

---

(١) مناقب آل ابي طالب ٣: ٤٢.

وهي الفرح ببليّة الآخرين، فإنّ هذه الخصلة القبيحة في العدوّ يزيد في الكرب على الإنسان كرباً.

وكذلك في الصديق؛ فإنّه يكره ما يرد على الإنسان من مكروه، ويتفجّع، أي يوجعه روحياً أن يرى صديقه في همّ وغمّ مما لا مخرج له منه، وهذه تزيد الإنسان همّاً على همّ، والحميم: من يدافع عن الإنسان، فهو يشترك في الصداقة مع الصديق، ويزيد عليه المنع بالحماية، فيكون الحميم أخصّ من الصديق.

[٢/٦٠ ـ الْحالَةُ الشَّخْصِيَّة]:

إلهي هَب لِي لَحْظَةً مِنْ لَحْظَاتِكَ، تكَشِفُ بِهَا عَنّي مَا ابتَلَيتَني بِهِ، وَتُعِيدُنِي إِلَى أَحسْنِ عَادَاتِكَ عِنْدِي، وَاِسْتَجِبْ دُعَائِيَ ودعاءَ مَنْ أَخلَصَ لَكَ دُعَاءَهُ، فَقَدْ ضَعُفَتْ قوَّتِي وَقَلَّتْ حِيلَتِي، وَاِشْتَدَّتْ حالِي، وَأَيِستُ مِمَّا عِنْدَ خَلقِكَ، فَلَمْ يَبقَ لِي إلّا رَجَاؤُكَ.

وفي هذا المقطع أشار إلى حالة الداعي الشخصية الّتي يعيشها في جور الكرب، وهي حالة الابتلاء أي الامتحان، وليس كل إنسان يجتاز الامتحان بنجاح، وخاصة من يرى وزناً لما يراه الاخرين في نفسه، وفي حالته الشخصية، وفي حالته الاجتماعية. فانها حالة تكشف عن ضعف الشخصية.

وجبرها يكون بلحظة كريمة من لحظات الله الرحيمة التي تكشف ما ابتلي الإنسان به، لكي يعود إلى حالة عادية، وهي أحسن العادات الّتي تعوّد عليها، وهي الرحمة من الله سبحانه باستجابة الدعاء الخالص.

وقد أشار في هذا المقطع إلى نقاط أربع من حياة الداعي الّتي تكشف عن مدى القلق النفسي الذي يعيشه، وهي:

١ ـ ضعف القوة في مواجهة الكرب النازل به.

٢ ـ قلّة الحيلة ـ أي الوسيلة ـ في حلّ الكرب بالطرق المتيسّرة له.

٣ ـ شدّة الحالة في الصبر على الكرب، فهو اكثر مما يطيق.

[الدعاء المتمّم للستين]

ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام في الكرب والإقالة

[١/٦٠ ـ حالة الداعي الاجتماعية]:

إلهِي لَا تُشمِتْ بِي عَدُوِّي، وَلَا تُفَجِعْ بِي حَمِيمَي وَصِدِيقِي.

الكرب ـ في اللّغة ـ: الهم مما يشقّ على نفس الإنسان من علّة في الجسد كالمرض أو كآبة للنفس كالحزن، فإنّ المرض النفسي لا يقل في التأثير السيّئ عن المرض الجسدي، وهما بالرغم مما لهما من التأثير السلبي على الإنسان، فانهما يوجبان الحمد؛ للتنبيه على نعمة السلامة في غيرهما، فإذا قيس فقدان الشيء من جهة بالنسبة إلى وجدان أشياء أُخرى لو فقدت لاختلت الحياة، فالمرض الخاص أهون من تعدد الأمراض، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم لك الحمد على ما لم أزل أتصرّف فيه من سلامة بدني، ولك الحمد على ما أحدثت لي من علّة في جسدي»[1] حيث أن الإنسان لو كان مجمع الأمراض لكان ميّتاً بين الأحياء، فله الحمد على نعمة السلامة في سائر الاجزاء التي لولا هذا المرض الخاص لما إنتبه الإنسان اليها.

واستفتح الدعاء بحالة الداعي الاجتماعية؛ فإنّ الكرب الذي يرد على الإنسان ـ مهما صغر ـ فإنّ له أثراً في المجتمع الذي يعيش فيه على طائفتين هما:

أولاً: العدوّ؛ فإنّه يفرح بما يرد على الإنسان من الهم ويكون سبباً لشماتته،

---

(١) الدعوات؛ لقطب الدين الراوندي: ١٤٧.

ـنذ الخلق في ظلمات الرحم وعبر الولادة وما واجهه في تخطّي مراحل الرضاعة والطفولة والمراهقة، فالمرتجى في هذه الحالة هو الله سبحانه وحده.

٦٠/٤ ـ أسبابُ الرَّجاءِ]:

وَأَنْتَ إلهِي مَفْزَعِي ومَلجَئِي، وَالْحافِظَ لِي، والذابُّ عَنِّي، لمتَحَنّنُ عَلَيَّ، الرَّحِيمُ بِي، المتكفّلُ بِرِزْقِي، فِي قَضائِكَ كانَ مَا حَلَّ بِي، وَبِعِلْمِكَ مَا صُرْتُ إِلَيه. فَاجْعَلْ يا وَلِيِّي وَسَيِّدَي مِمَّا[1] قدَّرتَ وَقَضَيْتَ عَلَيَّ وَحَتَمْتَ عافِيَتِي، وَ[2]مَا فِيهِ صَلَاحِي وَخَلَاصِي مِمَّا أنَا فِيه، فَإِنِّي لَا أَرْجُو لِدَفع ذَلِكَ غَيْرُكَ، وَلَا أَعْتَمِدُ فِيه إلّا عَلَيكَ، فَكَن يا ذَا الْجَلَالِ والإكرام عِنْدَ أَحسَنَ ظَنِّي بِكَ، وَارْحَمْ ضَعْفِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَاكْشِفْ كُرْبَتِي، وَاسْتَجِبْ دَعوَتِي، وأقِلنِي عثرَتِي، وَامْنُن عَلَيَّ بِذَلِكَ وَعَلَى كُلِّ دَاعٍ لَكَ.

وقد أشار في هذا المقطع إلى الأسباب العامة الموجبة للرجاء من صفاته تعالى؛ لأنّه تعالى، هو:

١ ـ المفزع، وهو موضع الأمن عند الفزع، وهو الخوف والذعر.

٢ ـ الملجأ، الذي يلجأ اليه عند الشدائد.

٣ ـ الحافظ بالوقاية عن السوء.

٤ ـ الذابّ عن الإنسان، وهو المدافع المحامي عند الحاجة.

٥ ـ المتحنّن، والحنان هو الشوق، وحنانه سبحانه: إرادته لانقاذ من يستحق ذلك.

---

(١) في (ط): «فيما».

(٢) لم ترد في (ط): «و».

٤ ـ اليأس من المخلوقين؛ لاستخدامهم حالته الشخصية القلقة من أجل الضغط عليه لمصالحهم.

وفي حالة قلقة كهذه لا يبقى مرجوّا سوى الله سبحانه؛ حيث إن الثقة بالنفس منعدمة من أجل القلق المستولى على الإنسان، والثقة بالناس منعدمة؛ للعلم بأنّهم ينظرون إلى مصالحهم الخاصة، فلا طريق إلّا الرجاء ممّن لا تنعدم منه الثقة، ولا يرى إلّا مصلحة الإنسان، وهو الله سبحانه وتعالى.

[٣/٦٠ ـ كَشْفِ الْكُرَبِ]:

إلهِي إِنّ قُدْرَتِكَ عَلَى كَشْفِ مَا أَنَا فِيهِ، كَقِدْرَتِكَ عَلَى مَا ابتَلَيتَنِي بِهِ، وَإِنَّ ذِكرَ عَوَائِدَكَ[1] يؤنِسُنِي، وَالرَّجَاءُ فِي إنعَامِكَ وَفَضْلَكَ يُقوّيِنِي، لِأَنِي لَمْ أُخلُ مِنْ نِعْمَتِكَ مُنْذُ خَلَقتَنِي.

وذكر في هذا المقطع العلة في أنّ كشف الكرب لا يكون إلّا من الله سبحانه بعد اليأس من الأسباب الماديّة الّتي تحكم الناس اجمعين، وهي أمور:

١ ـ القدرة الإلهيّة؛ فإنّ قدرته تعالى على كشف ما فيه الإنسان هي نفس القدرة التي أبلت الإنسان بالامتحان؛ لأنّها قدرة مطلقة تحكم في كلّ شيء، ومنها كشف الكرب.

٢ ـ الصلة من الله وحده، فإنّ ذكر العائدة من الله موجب لأُنس الإنسان، فكيف بحصولها عند الحاجة الماديّة.

٣ ـ الرجاء بالله وحده، فإنّ الرجاء بتنفيس الكرب قد يحصل ممن يرجى منه ذلك من المخلوقين، فكيف بالرجاء من الله تعالى في انعامه الحياة وتفضّله بالعقل والإرادة؛ فإنّ هذا الرجاء سبب في قوة الإرادة والصبر والحزم والسير في الطرق المعقولة لتحقيق المراد، والتغلّب على الكرب مهما عظم؛ لأنّ الحالة النفسية الّتي يعيش فيها الإنسان المكروب ليس بأعظم من الحالات الصعبة الّتي مرّ بها الإنسان

---

(١) عوائدك: إحسانك وتعطفك.

ه من حالة الكرب إلّا الرجاء من الله تعالى لدفع ذلك والاعتماد عليه دون غيره، وأن صفاته الذاتية من الجلال والعظمة والاكرام بالعطاء تقتضي شمول الرحمة الإلهيّة للداعي في حالته المستعصية.

[٥/٦٠ ـ مِنْ مُقْتَضيَات الرَّجَاء]:

أَمَرتَنِي يا سَيِّدِي بِالدُّعَاءِ وَتَكَفَّلْتَ بالإجابَةِ، وَوَعْدُكَ الْحَقّ الَّذِي لَا خُلْفَ فِيهِ وَلَا تَبْدِيلَ.

فَصَلّ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيّكَ وَعَبْدكَ وَعَلَى الطَّاهِرِيْنَ مِنْ أَهلِ بَيْتِهِ، وأغِثنِي فَإِنَّكَ غِيَاثُ مَنْ لَا غِيَاثَ لَهُ، وَحَرزُ مِنْ لَا حِرزَ لَهُ، وَأَنَا الْمُضْطرّ الَّذِي أَوْجَبتَ إجابَتَهُ، وَكَشْفَ مَا بِهِ مِنَ السُّوءِ، فأَجِبنِي وَاكْشِفْ هَمِّي وَفَرّج غَمّي، وَأَعِد حالي إِلَى أَحسْنِ مَا كَانَتْ عَلَيهِ، وَلَا تُجَازِنِي بالاستِحقَاقِ، وَلَكن بِرَحِمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، يا ذَا الْجَلَالِ والإكرامِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاسْمَعْ وَأَجِب يا عَزِيز.

ومن مقتضيات الرجاء لكشف الكرب: ما أمر به سبحانه من الدعاء بقوله: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١] فإنّ وعده سبحانه بالاجابة وعدٌ حق لا يُتخلَف ولا يتبدل، لأنه وعدٌ من قادر حكيم عليم، فيكون سبباً مباشراً في الرجاء.

وابتدأ الدعاء بالصلاة على محمد وآله الّتي هي من موجبات القبول، كما في المنقول[٢]، ثم أشار إلى سببية سببين من أسباب الرجاء، الّتي يحيط بهما الله تعالى وهما:

١ ـ الاغاثة من الكرب، والحالة النفسية الّتي يعيشها الداعي بعد أن انقطع

---

(١) القرآن الكريم، سورة غافر٤٠: ٦٠.

(٢) الكافي ٢: ٤٩٣، الحديث ١٧.

٦ ـ الرحيم، حيث وسعت رحمته كلّ شيء[1].

٧ ـ المتكفّل بالرزق، حيث قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[2].

وهذه الصفات الإلهيّة تتضمن أسباب الرجاء من الله سبحانه؛ اذ لولاها لكان الإنسان معدوماً في مواجهة مشاكل الحياة المستعصية لولا رحمة الله الفائقة.

وحيث أنّ ما يواجهه الإنسان من الكرب هو الامتحان الذي كان بقضاء الله سبحانه وعلمه وتقديره، فهو وحده المسؤول في القضاء والتقدير بتغيير ذلك إلى العافية من الكرب بما فيه الصلاح والخلاص.

ثم عقّب ذلك بأسباب الرجاء الخاصة بالداعي، وهي ثلاثة:

١ ـ حسن الظن بالله، الذي هو مبعث الرجاء.

٢ ـ الترحّم على الضعيف جسميّاً وروحيّاً.

٣ ـ قلّة الحيلة، وهي الأسباب الماديّة لكشف الكرب.

فلا مخرج من هذه الحالة النفسية إلّا بالله، لتحقق أُمور ثلاثة فيه، وهي:

١ ـ كشف الكرب.

٢ ـ إستجابة الدعاء.

٣ ـ إقالة العثرة.

فإنّ في ذلك منّة إلهيّة على من يقوم بواجبه في مثل هذه الحالة، وهو الدعاء.

ولا يهمل هذا الواجب في مثل هذه الحالة؛ لأنّ الله أبى أن يجري الأمور إلّا بأسباب[3]، ومنها: الدعاء بعد انسداد الطرق المتيسّرة، وقد سبق انه لا مخرج

---

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

(٢) القرآن الكريم، سورة الطلاق ٦٥: ٣.

(٣) راجع: الفصول المهمة في أصول الائمة ١: ٦٤٧.

[الدعاء الحادي والستّون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام مما يخافه ويحذره

١/٦١ ـ الخوف الحقيقيّ]:

إلهِي إِنَّهُ لَيْسَ يَرُدُّ غَضَبَكَ إلّا حِلمُكَ، وَلَا يُنْجِي مِنْ عقابِكَ لّا عَفوُكَ، وَلَا يُخَلِّصُ مِنْكِ إلّا رَحْمَتُكَ والتضرّع إِلَيكِ.

الخوف ـ لغة ـ: الخشية والفزع، وهو حالة يعيشها من يفقد الأمن، وقد ىرّق بين الخوف والخشية بأنّ الخوف أعمّ منها، وأنّ الخشية خوف خاص لمن ىعر بعظمة الله تعالى ويخاف الحجب عنه، وهي أعلى مراتب الخوف.

واستفتح الدعاء ببيان الخوف الذي يجب ان يجتنب منه الإنسان ويحذره، ىيث أنّ الخوف على قسمين: خوف حقيقي وخوف غير حقيقي، أما الخوف غير حقيقي، فهو ما إذا كان من شيء يمكن ازالته بشيء آخر كالخوف من الظالم الذي مكن ازالته بالتظلّم عند آخر أقوى منه، فإنّ هذا النوع من الخوف يمكن ترقّب النجاة نه بالاستعداد له والتظلّم عند الجانب الأقوى، فلا يكون هذا خوفاً حقيقياً.

وأما الخوف الحقيقي فهو ما إذا كان مصدر الخوف ومصدر الرجاء شيئاً احداً؛ فإنّ في هذا النوع لا يكون رجاء له سوى المصدر الوحيد نفسه، فلا رقّب للنجاة من غير مصدر الخوف نفسه، وبما أنّ الخوف من الله سبحانه ليس لا بسبب المعاصي التي يرتكبها الإنسان كلٌّ بحسب خلقه أو تهاونه في المسؤولية تي كان من الواجب ان يؤدّيها، فيكون الخوف حقيقياً؛ لأنّه يستلزم أموراً ثلاثة يمكن التخلّص منها إلّا بالله تعالى، وهي:

١ ـ الضعف أمام حالة الانتقام لمخالفة الأوامر والتهاون بالمسؤولية، وهي غضب الإلهي، وضدّه: الحلم.

رجاءه عن الوسائل الماديّة، وتوجّه إلى الله سبحانه؛ لأنّه غياث من لا غياث له من المخلوقين للعون والنصر.

٢ ـ الحرز، وهو المبالغة في الحفظ؛ فإنّه تعالى حرز من لا حرز له؛ فإنّ حالة الاضطرار التي يعيشها الإنسان لا ترتفع بالأسباب الماديّة، بل تفتقر إلى كشف الضرّ والسوء من الله سبحانه؛ لأنه على كل شيء قدير، وهو سبحانه الذي ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[1].

وختم الدعاء بالكشف والفرج وحسن الحال بالإشارة إلى أنّ شيئاً من ذلك ليس استحقاقاً؛ فإنّ الإنسان مهما قام بالدعاء والطاعات والخيرات فإنّه لا يمكن أن يؤدّي حقّ الله سبحانه في الخلق والرزق ونعمة الصحة والحياة، وليس ما يتفضل به الله تعالى في قبولها من سبب سوى رحمتة الواسعة، وليس بالاستحقاق من العبد؛ فإنّ رحمته الواسعة التي وسعت كلّ شيء من المخلوقات[2] تشمل حالة الداعي المستعصية عليه، كما تقتضيه عظمته وكرمه تعالى، وهو خير السامعين؛ لعزّته، أي عظمته في الرحمة على الخلق أجمعين.

---

(١) القرآن الكريم، سورة النمل ٢٧: ٦٢.

(٢) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

٣/٦١ ـ آثار الْفرج]:

وَارْفَعنِي وَلَا تَضَعنِي، وَانْصُرنِي، وَارْزُقنِي، وَعَافِنِي مِنَ ـلآفاتِ. يا رَبِّ إن تَرفَعُنِي فَمَنْ يَضَعُنِي؟ وَإن تَضَعنِي فَمَنْ ـرفَعُنِي؟ وَقَدْ عَلِمتُ يا إلهِي أَنْ لَيْسَ فِي حُكْمِكَ ظُلمٌ، وَلَا فِي ـنمَتِكَ عَجَلَةٌ، إنَّمَا يَعْجَلُ مَنْ يَخَافُ الفَوتَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى الظُّلمِ ـضَّعِيفُ، وَقَدْ تَعَالَيْتَ عَنْ ذَلِكَ يا سَيِّدِي عُلُوًّا كَبِيراً.

ثم سرد آثار الفرج الّتي يتخلّص الإنسان بها من الخوف، وعدّ منها:

١ ـ الرفعة من مرتبة العصيان إلى مرتبة الغفران؛ فإنّ العاصي في مرتبة ـضيعة.

٢ ـ النصرة بالتغلّب على حالة الخوف.

٣ ـ الرزق بما يكون كفافاً لاستمرار الحياة.

٤ ـ العافية من الآفات بالصحة والسلامة.

وبدون هذه الآثار يعيش الإنسان عالة على المجتمع، والله سبحانه هو القادر ـلى تحقيق هذه الآثار، حيث أنّ مع الرفعة الّتي يهبها الله لا توجد قدرة مضادة ـا، والعكس بالعكس، لأنه تعالى ـ دون سواه ـ على كلّ شيء قدير.

هذا كلّه مع الاقرار بأن الإنسان المقصّر في مسؤولياته يستحق الحكم العادل ـن العقاب، وأن ليس في حكم الله ظلم ولا في نقمته ـ أي المكافاة بالعقوبة ـ ـجلة؛ حيث إنه تعالى فتح باب التوبة للرجوع إلى الصواب، وان كلّا من الظلم العجلة تنشآن من الضعف، فيحتاج اليها الضعيف لجبر ما فيه من النقص، والله ـبحانه مبرّء عن النقص والحاجة والضعف، وهو المتعالي بكماله المطلق.

٤/٦١ ـ إمْتِحَانَ اللهِ]:

رَبِّ، لَا تَجْعَلنِي لِلْبَلاءِ غَرَضَاً، وَلَا لِنَقمَتِكَ نَصَباً، وَمَهِّلنِي

٢ ـ العقاب على المخالفة حسب درجات المخالفة الّتي صدرت منه، وضده: العفو.

٣ ـ الاتهام بالمخالفة في أداء المسؤولية الملقاة على الإنسان، وضده: البراءة والخلاص.

وقد أشار في آخر المقطع إلى أنّ الطريق الوحيد للخلاص هو رحمة الله الواسعة، ولا يمكن نيل هذه الرحمة إلّا بواسطة التضرّع اليه تعالى بالدعاء، للحلم والعفو والخلاص، ويجمعها طلب الفرج من هذا الخوف الحقيقي.

[٢/٦١ ـ فَرَج اللهِ]:

فَهَب لِي يا إلِهي فَرَجًا بِالْقِدْرَةِ الَّتِي بِهَا تُحْيِي مَيْتَ الْبِلادِ، وَبِهَا تَنشُرُ أَرْواحَ الْعِبَادِ، وَلَا تُهْلِكْنِي، وَعَرِّفْنِي الإجَابَةَ، يا رَبِّ.

ولا مخرج من الخوف الحقيقي إلّا بالفرج، ولا يمكن ذلك إلّا بأن يهب الله سبحانه بقدرته العليا ما صدر من التخلّف أو التهاون في اداء المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان في نفسه وأُسرته ومجتمعه، فإنّ حالة التخلف عن المسؤولية تشابه حال الميت؛ فانهما معاً يفقدان القدرة على الحصول لما يرغبان فيه من الحياة الجسمية والروحية. والموت انما هو انفصال الروح عن الجسد، والله هو القادر على بعث الميّت حياً بإعادة الروح اليه بقدرته العليا.

وكذلك حالة العاصي، فإنّه بعصيانه أصبح ميّتاً روحياً، والله سبحانه هو القادر على إعطائه الحياة الروحية وجعله إنساناً صالحاً.

والإنسان بالتخلّف عن مسؤولياته امام حالتين:

الأولى: الهلاك بالعقاب لما يستحقه من أجل تخلّفه عن المسؤولية.

الثانية: الإجابة للدعاء، بالخلاص من الله سبحانه برحمته الواسعة وقدرته الكاملة التي تحيي ميت البلاد المختلفة وتنشر ارواح العباد في يوم القيامة، والعاصي بحكم عصيانه ميّت روحيّ يفتقر إلى إحيائه بتلك القدرة المطلقة والرحمة الواسعة.

يا سَيِّدِي مِمَّا أَخَافُ وَأُحذَرُ. وَأَنْتَ الْعَظِيمُ، أَعظَمُ مِنْ كُلّ عَظِيم، بِكَ بِكَ بِكَ اِسْتَتَرتُ، يا اللهُ، يا اللهُ، يا اللهُ، يا اللهُ، يا اللهُ، يا اللهُ، يا اللهُ، يا اللهُ، يا اللهُ، يا اللهُ[1]، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ[2] الطيّبينَ[3]، وَسَلِّم كَثِيراً.

وختم الدعاء بسرد مقتضيات الخوف والأمل الّتي ينتهي القرار الأخير فيها إلى الله سبحانه، ومنها:

١ ـ الضعف، فالإنسان ضعيف جسمياً وروحياً، وفي ضعفه يفتقر إلى الله سبحانه لجبر ذلك بالقوة العليا وبعث الأمل في نفس الإنسان، وبه سبحانه وحده الأمل.

٢ ـ التضرّع، أي التذلّل إلى الله سبحانه لكشف أسباب الخوف والحذر، وفيه وحده الأمل.

٣ ـ الاستعاذة بالله القادر على العفو عن عقابه العادل، وفيه وحده الأمل.

٤ ـ الاستجارة بالله، فلا ذمام إلّا به، وبه وحده الأمل.

٥ ـ الاستتار من الله بالله، من أجل العيوب والمعاصي فلا ساتر سواه، وبه وحده الأمل.

فالله سبحانه وحده المسؤول في تحقيق الآمال، ويقتضي ذلك الخوف من الله، لأنه الذي يخاف منه الإنسان ويحذر؛ لأنّه العظيم في رحمته، وحيث لا خلاص إلّا بالأمل به تعالى وحده كرّر الإمام عليه السلام النداء باسم الجلالة ثمانية مرات، وهي معدّل التكرار عادة حتى ينقطع النفس، ومن الله القبول.

---

(١) في بعض النسخ زيادة: «يا الله يا الله».
(٢) في (ط) وبعض النسخ: «وآله».
(٣) في حاشية (ط) في نسخة زيادة: «الطاهرين».

وَنَفِّسنِي، وأَقِلني عَثرَتِي، وَلَا تُتبعني بِالْبَلاءِ، فَقَدْ تَرَى ضَعْفِي وَقِلَّة حِيْلَتِي، فَصَبِّرنِي.

وأشار في هذا المقطع إلى الحكمة في حكم الله تعالى، وهي أمران:

الأوّل: الامتحان بأن يصبح الإنسان (للبلاء غرضا) أي هدفاً للبلاء، وهو الامتحان والاختبار على مدى الثبات والالتزام في الميادين المختلفة، فكل إنسانٍ يمرّ بمراحل من الامتحان في حياته، ويختلف الناس في درجة الصبر عليها والاستعداد لها، وبالنتيجة النجاح فيها.

الثاني: العقاب على التخلف في المسؤوليات، بأن يصبح الإنسان (للنقمة نصباً) والنصب هو العلم المنصوب علامة للشيء، والنقمة: المكافئة للعقوبة على المعصية، فتكون المعصية الّتي ارتكبها علامة للمؤاخذة عليها.

وقد أشار إلى ضعف الإنسان في الأمرين وقلّة حيلته أي وسيلته في التغلب عليهما بسبب الضعف الجسمي والروحي لمواجهتهما، بل يفتقر الإنسان بحكم طبيعته الروحية والجسمية إلى ما يجبر الضعف، وقد أشار منها إلى:

١ ـ الإمهال والتأجيل والإنظار؛ للرفق بالإنسان.

٢ ـ التنفيس، بإزالة الكرب والغم.

٣ ـ إقالة العثرة، والقيل: الاستراحة في منتصف النهار، والعثرة: السقوط في الخطأ، واقالتها الصفح عنها.

٤ ـ الصبر، وهو حبس النفس عن الجزع بالالتزام بالاعتدال في الأمور.

فإنّ هذه الأمور تجبر ما في الإنسان من الضعف، وتجعله عضواً صالحاً في المجتمع.

[٥/٦١ ـ الْخَوْف والأمل]:

فَإِنِّي يا رَبِّ ضَعِيفٌ، متضرّعٌ إِلَيكَ يا ربّ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ فأعِذنِي، وَأَسْتَجِيرُ بِكَ مِنْ كُلّ بَلاءٍ فَأَجِرنِي، وَأَسْتَتِرُ بِكَ فَاسْتُرنِي

[الدعاء الثاني والستّون]

دعاء يوم الأحد

٦٢/١ ـ الاستفتاح بالاستغاثة]:

بِسْمِ اللَّهِ[١] الَّذِي لَا أَرْجُو إِلّا فَضْلَهُ، وَلَا أَخْشَى إِلّا عَدْلَهُ، وَلَا عْتَمِدُ إِلّا قولَهُ، وَلَا أُمسِكُ[٢] إِلّا بِحَبْلِهِ.

الاحد ـ لغة ـ: الذي لا مثيل له، ومن أيام الأسبوع: اليوم الأوّل، حيث ؟ مثيل له في الأوّلية من سائر الأيام.

استفتح الدعاء بالبسملة للمأثور في فعلها، وروي في معناها عن امير لمؤمنين عليه السلام: «... فقولوا عند كل أمر صغير وكبير: بسم الله الرحمن الرحيم، ي استعين على هذا الأمر بالله الذي لا يحقّ العبادة لغيره..»[٣] ويراجع المادة ي المعجم.

وقد أشار في هذا المقطع إلى الأسباب الّتي توجب الاستغاثة به دون غيره، ،هي:

١ ـ الفضل، فإنّ ﴿ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾[٤] فلا يرجى الفضل إلّا ىنه تعالى.

---

(١) في (ط): «بسم الله الرحمن الرحيم، بسم لله».
(٢) في بعض النسخ: «أتمسّك».
(٣) وسائل الشيعة ١: ٤٢٦.
(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٥١.

[أدعية الأيام السبعة]

ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام في الأيام السبعة

وتتضمّن أدعية خاصة لكل يوم من أيام الأُسبوع، مبتدءاً بيوم الأحد ومنتهياً بيوم السبت، وتمتاز هذه الادعية بأُمور، هي:

الأوّل: ان كلا من الدعاء الأوّل والأخير يتضمّن البسملة في متن الدعاء، دون غيرهما من الأدعية، وربما يكشف ذلك عن ان الدعاء الأخير كتب وأنشئ في مجلس يختلف عن مجلس انشاء الأدعية الأُخرى.

الثاني: أنّ الأدعية الأُخرى ـ ما عدا الأوّل والأخير ـ تتضمّن الحمد للّه سبحانه في مفتتح الدعاء، ممّا قد يكشف عن أنها أُنشئت في مجلس واحد بعد الدعاء الأوّل.

الثالث: إنّ الادعية الستة من الدعاء الأوّل إلى السادس تتضمن مقطعاً مشيراً إلى اليوم الذي أُنشئ الدعاء لاجله، دون اليوم الأخير، وهو يوم السبت، ممّا قد يكشف عن أنّه دعاء مستقل إنشاءً، وانه أُنشئ في وقت متأخّر عن إنشاء الأدعية الّتي سبقته، والله العالم.

١ ـ الظلم، وهو الانحراف عن الحدّ المشروع في الشيء بالميل عمّا هو شروع إلى غيره.

٢ ـ العدوان، وهو الاعتداء على الآخرين باللسان أو بالاركان.

٣ ـ غِيَرْ الزمان، وهي الأحداث الّتي تتغيّر بسببها حالات الإنسان النفسيّة.

٤ ـ تواتر الأحزان، فإنّ الحزن في نفسه يولد عقدة نفسية، فكيف إذا واترت، أي تتابَعت.

٥ ـ إنقضاء المدّة الّتي حدّدها الله لحياة الإنسان في الدنيا قبل أن يتأهّب لموت بالعُدّة المناسبة من العمل الصالح.

ثانياً: الاسترشاد من الله سبحانه؛ حيث لا مرشد يرشد إلى ما يفتقر إليه الإنسان في الحياة كاملا، وما بعد الممات أيضاً، سواه تعالى، وعدّ منه أمرين:

١ ـ ما فيه الاصلاح لنفس الإنسان من الوعي والثقافة والتهذيب الخلقي والطاعات.

٢ ـ ما فيه الاصلاح للآخرين في ذلك بأداء المسؤوليات الاجتماعية المفروضة على الإنسان المسلم تجاه اسرته ومجتمعه، من مساعدة الفقراء والمحتاجين ونشر الفكر الإسلامي بأمانة وصدق.

وثالثاً: الاستعانة بالله في خصوص أمرين:

١ ـ ما يقترن بالنجاح فيما يأمل الإنسان تحقيقه لنفسه في الحياة من الأهداف الشخصية المشروعة الّتي يعتبرها نجاحاً شخصياً.

٢ ـ ما يقترن بالانجاح للآخرين في تحقيق ما لهم من الاهداف في الحياة؛ فإنّ بنجاحهم يتحقق نجاح المجتمع الإسلامي ككلّ.

ورابعاً: الرغبة إلى الله في أمرين يفتقر إليهما الإنسان في حياته كما يفتقر إلى اللباس الذي يلبسه في كل يوم، وهما:

١ ـ العافية من الأمراض والعاهات؛ فإنّ الحياة بدون الصحة حياة عناء، والصحة بدون التمامية عناء أيضاً.

٢ ـ السلامة من الطوارى الحادثة المعوّقة للاستمرار في العمل؛ فانها ركن

٢ ـ العدل؛ فإنّ ﴿ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[(١)] وعدله في الحكم يستلزم عقاب العاصي، وهذا مما يُخشى منه لولا عفوه.

٣ ـ القول الحق؛ قال الله تعالى: ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[(٢)] فلا اعتماد إلّا بقوله.

٤ ـ ذو الحبل المتين؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[(٣)] فلا نجاة إلّا بالاعتصام به.

وهذه الأسباب مما توجب الاستغاثة به تعالى دون غيره بالنجاة في الحياة بالتزكير على المسؤوليات اليومية الّتي يتحمّلها الإنسان في حياته.

[٢/٦٢ ـ الاستجارة باللّه]:

بِكَ أَستَجِيرُ يا ذَا الْعَفوِ والرّضوانِ مِنَ الظُّلمِ وَالْعُدْوانِ، وَمِنْ غِيَرِ الزَّمانِ، وَتَواتُرِ الأحزانِ [وَطَوارِقِ الحَدَثانِ][(٤)]، وَمِنْ انْقِضاءِ الْمُدَّةِ قبْلَ التأهُّبِ وَالْعُدَّةِ.

وَإِيَّاكَ أَستَرْشِدُ لِمَا فِيهِ الصَّلَاحُ والإصلاحِ، وَبِكَ أَستَعِينُ فِيمَا يَقْتَرِنُ بِهِ النّجَاحُ والإنجاح، وَإِيَّاكَ أَرغبُ فِي لِبَاسِ الْعَافِيَةِ وَتَمامِهَا، وشُمُولِ السَّلَامَةِ وَدَوامِهَا.

وفي هذا المقطع إشارة إلى أُمور خاصّة ذات علاقة بين الإنسان وربّه، يفتقر اليها في حياته اليومية، وهي:

أولاً: الاستجارة بالله مما يكره في حياة الإنسان المسؤول، وعدّ منها ما يلي:

---

(١) القرآن الكريم، سورة النحل ١٦ : ٩٠.
(٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام ٦ : ٧٣.
(٣) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ١٠٣.
(٤) ما بين المعقوفتين من بعض النسخ.

ويتحقّق هذا التحصن بإرادة الله سبحانه بأن يتفضّل على الإنسان بما يأتي:

١ ـ قبول الطاعات من الصلاة والصوم؛ فإنها تهذّب النفس لتسعد بالعمل صالح وممارسة الخير في الحياة.

٢ ـ تفضيل الأوقات، بأن يكون أوقات حياة للإنسان ذات فضيلة عائدة على لنفس والمجتمع، ابتداء من الساعة الّتي يدعوا فيها، ثمّ في اليوم الذي هو فيه، م الغد الذي يأتي في المستقبل، ثم ما بعده من الأيام بأن تترتّب الفضيلة في لدرجات إلى الأعلى.

٣ ـ العزّة بممارسة الأعمال الخيرية في العشيرة والقوم، حيث يكون احترام لإنسان حسب آثاره الخيّرة، والسارق والجاني لا حرمة لهما عند الناس حتى عند لعشيرة والقوم.

٤ ـ الحفظ من الآفات والعاهات، والسلامة من المفاجئات في الحياة في ىلّ حالات الإنسان من اليقظة والنوم، ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1]؛ فإنّ لتحصّن من ذلك كلّه لا يكون إلّا بالله تعالى.

٦٢/٤ ـ التَعَهُّد بِالمَسؤُولِيَّةِ]:

اللَّهُمَّ إنِّي أَبْرَأُ إلَيكَ فِي يَوْمِي هَذَا وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الآحادِ مِنَ لشّركِ والإلحادِ، وَأُخْلِصُ لَكَ دُعَائِي تعَرُّضاً للإجَابَةِ، وَأُقِيمُ عَلَى لماعَتِكَ رَجَاءً للإثَابَةِ، فَصَلّ عَلَى مُحَمَّدٍ[2] خَيرِ خَلقِكَ، الدَّاعِي إلَى حقّكَ، وَأَعِزّنِي بِعِزِّكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَاحْفَظنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، ؛اخْتِمْ بِالْانْقِطَاعِ إلَيكَ أَمرِي، وَبِالْمَغْفِرَةِ عُمرِي، إنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ لرَّحِيمُ.

---

١) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢: ٦٤.

٢) في بعض النسخ زيادة: «وآله».

أساسي للتمكن من العمل، ودوامها موجب للاستمرار بالقيام بالمسؤولية في الحياة.

[٣/٦٢ ـ التحصّن بِاللهِ]:

وَأَعُوذُ بِكَ يا رَبِّ مِنْ هَمْزَاتِ الشَّيَاطِيْنِ، وَأَحْتَرِزُ بِسُلْطَانِكَ مِنْ جَوْرِ السَّلَاطِينِ.

فَتَقَبَّلْ مَا كَانَ مِنْ صِلاتِي[١] وصُومِي، وَاجْعَلْ غَدِي وَمَا بَعْدَهُ أَفْضَلَ مِنْ سَاعَتِي وَيَوْمِي، وَأَعِزَّنِي فِي عَشِيرَتِي وَقَوْمِي، وَاحْفَظْنِي فِي يَقظَتِي وَنَوْمِي، فَأَنْتَ اللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَأَنْتَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ.

وأشار في هذا المقطع إلى أمرين رئيسيين في علاقة الإنسان بالمجتمع الذي يعيش فيه، ويجب عليه التحصّن منهما، ولا يكون التحصّن الحقيقيّ منهما إلّا بالله سبحانه، وهما:

أوّلا: همزات الشياطين، فإنّ المجتمع لا يخلو من شياطين الجنّ والإنس، ولهم همزات أي وساوس يوسوسون بها، منهم: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾[٢] لصدّ الإنسان من القيام بالمسؤولية الملقاة على عاتقة، ولا يتحقّق التحصّن من الشياطين إلّا بالاستعاذة بالله.

ثانياً: جور السلاطين؛ فإنّ من طبيعة السلطة في الحكم ان يمتزج بالجور، سواءً عن عمد أو اللا عمد، وعلى الأغلب يكون الابرار هم الضحايا، والمتلبسين بالجريمة واقعاً هم المبرؤون ظاهراً، لقيامهم بالتلاعب حسبماً يحقق اهدافهم، ومهما كان الإنسان متحرّزاً من جورهم فإنّهم قد يجعلونه ضحية لأغراضهم او مصطلياً بنار الجور، ولا يتحقّق التحصّن منه إلّا بسلطان الله سبحانه الذي هو أعلى من أيّة سلطة.

---

(١) في بعض النسخ: «صلواتي».

(٢) القرآن الكريم، سورة الناس ١١٤: ٥.

٢ ـ الحفظ بعين الله الّتي لا تنام في أداء الدور المطلوب في المسؤولية.

٣ ـ الانقطاع إلى الله في الأُمور؛ بأن يكون خاتمة كل الأمور إرادة ما رضي الله سبحانه فقط.

٤ ـ المغفرة، بأن يكون خاتمة العمر مقرونة بالمغفرة من الله سبحانه عما تلبّس به الإنسان من التهاون في المسؤولية.

وفي هذا المقطع الأخير تعهّد بالمسؤولية من الداعي في هذا اليوم الأحد، أوّل أيام الأسبوع وما بعده من أيام الآحاد، ونقاط العهد، هي:

أولاً: البراءة ـ وهي التخلّص والسلامة مما يناقض المسؤولية ـ وأهم ذلك اثنان:

١ ـ الشرك بأقسامه، ومنه الشرك الخفيّ كالرياء.

٢ ـ الإلحاد، وهو الكفر، ومعناه: الغطاء، فإنّ الكفر يغطّي العقل من رؤية المسؤولية.

ثانياً: الاخلاص في الدعاء لطلب الاجابة والتعرّض للشيء بمعنى طلبه؛ فإنّ الاخلاص روح العمل، وبدونه يكون العمل باطلا كما قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[1].

ثالثاً: الطاعة بالاستقامة عليها، كما قال تعالى: ﴿فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[2] فإنّ العمل بدون الاستقامة لا تثمر الثمرة المطلوبة، وبالاستقامة على الطاعة يكون الرجاء للثواب أي الجزاء.

وحيث ان هذه النقاط الثلاث للتعهد بالمسؤولية مستوحاة من سيرة النبيّ الأعظم ﷺ في حياته الشخصية والاجتماعية قبل الهجرة وبعدها، فهو الذي يستحقّ الصلاة عليه دائما؛ لأنّه خير الخلق الداعي إلى حق الله، وهو المسؤولية الّتي تحمّلها لهداية الخلق بالرغم مما تحمّله من الأذى حتى قال: «ما أُوذي نبيّ مثل ما أُوذيت»[3].

وختم العهد بالدعاء لما يفتقر اليه الإنسان في الحياة اليومية من أمور، ومنها:

١ ـ العزّة بعزّ الله الذي لا يضام، أي لا يُقهر؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٦٤.

(٢) القرآن الكريم، سورة الشورى ٤٢: ١٥.

(٣) مناقب آل ابي طالب ٣: ٤٢.

(٤) القرآن الكريم، سورة المنافقون ٦٣: ٨.

الاثنان ـ لغة ـ: ضعف الواحد، ويوم الاثنين هو اليوم الثاني من أيام الأسبوع؛ لأنه يثنّي اليوم الذي سبقه.

ويتضمن المقطع الأوّل: الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ﷺ.

وقد استفتح الدعاء بالحمد لله من دون ذكر للسبب الموجب للحمد، وربما لوضوحه في وجدان كلّ مؤمن؛ فإنّ الحمد لله وحده، لأنّه الحقيق بالحمد دون ما سواه، وقد عقّب الحمد بجمل موصولة وأخبارية تصف الذات المقدسة وتبيّن الصفات الذاتية وآثارها على الخلق أجمعين، مع بيان أدلّة على ذلك سردها كالآتي:

١ ـ (فطر السماوات والأرض)، حيث خلقهما من العدم.

٢ـ (لم يُشهد أحداً على خلقهما)؛ فكأنّ الاشهاد حاجة، وهي من مختصات الممكنات، والله واجب الوجود.

٣ ـ (لم يتّخذ معيناً حين برأ النسمات)، فإنّ اتخاذ المعين يدل على الحاجة إلى العون، فقد برأ النسمات ـ أي خلق الارواح ـ بقدرته.

٤ ـ (لم يُشارك في الإلهيّة) فإنّ الشرك عجز، وتعالى الله عن ذلك: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1].

٥ ـ (لم يظاهر في الوحدانية)، والمظاهرة: المعاونة.

٦ ـ (كلّت الألسن عن غاية صفته) والكل: التعب، فإنّ وصف ما لا يدرك كنهه كعدّ ما لا يعرف منتهاه، فإنّه لابدّ وأن ينتهي إلى التعب.

٧ ـ (كلّت العقول عن كنه معرفته)، والكنه: الحقيقة؛ لأنّ المجرّدات هي أُمور ممّا وراء الطبيعة المدرَكة.

٨ ـ (تواضعت الجبابرة لهيبته) حيث تعجز قدرتهم أمام قدرة الله تعالى.

٩ ـ (عنت الوجوه لخشيته) أي خضعت لله بمشاهدة آثار القدرة المطلقة.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأنبياء ٢١: ٢٢.

[الدعاء الثالث والستّون]

دعاء يوم الاثنين

[١/٦٣ ـ تحميد الله]:

الْحَمْدُ لِلّهِ[١] الَّذِي لَمْ يُشْهِدْ أَحَداً حِينَ فَطَرَ[٢] السَّمَاوَاتِ والأرضَ، وَلَا اتَّخَذَ مُعِيناً حِينَ بَرَأَ النَّسَمَاتِ[٣]، لَمْ يُشَارَكْ فِي الإلهيّةِ، وَلَمْ يُظَاهَرْ[٤] فِي الْوَحْدَانِيَّةِ، كَلَّتِ الألسُنُ عَنْ غَايَةِ صِفَتِهِ، وَالْعُقُولُ اِنْحَسَرَتْ[٥] عَنْ كُنْهِ[٦] مُعرفَتِهِ، وَتَوَاضَعَتِ الْجَبَابِرَةُ لِهَيبَتِهِ، وَعَنَتِ[٧] الْوُجُوهُ لِخَشْيَتِهِ، وَانْقَادَ كُلّ عَظِيمٍ لِعَظَمَتِهِ، فَلَكَ[٨] الْحَمْد مُتَوَاتِراً متَّسِقاً[٩] وَمُتَوَالِياً مُستَوسِقاً[١٠]، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى رَسُولِهِ أَبَداً، وَسَلَامُهُ دَائِماً سَرْمَداً[١١].

---

(١) في (ط): «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله».

(٢) فطر: أنشأ.

(٣) برأ النسمات: خلق الأنفس.

(٤) يظاهر: يعاون.

(٥) كذا في (ط)، وفي بعض النسخ: «وانحسرت العقول»

(٦) كنه: جوهر وحقيقة.

(٧) عنت: خضعت.

(٨) في بعض النسخ: «فله».

(٩) متسقاً: منتظماً.

(١٠) في (ط): «مستوثقاً ـ كذا بخطه قدس سره»، ومستوسقاً: أي مجتمعاً.

(١١) سرمداً: أبداً.

بالتخطيط الصائب لتحقيق ما يريد تحقيقه في ذلك اليوم من العمل، وبدون ذلك لا يكون أوّل اليوم صلاحاً، ويكون نتائج المراحل التالية معكوسة لاتصاف المبدأ بضد الفلاح، وهو الفساد في التخطيط والمنهج.

المرحلة الثانية: الصلاح، وهو الفوز بما خططه للعمل ضمن منهاج زمني واضح، فإنّ كلّ خطوة في اتباع المنهاج المقرّر يكون تقدماً نحو المطلوب، فيكون فوزاً بالمقدمات التي تحقّق المطلوب خطوة فخطوة، وفي وسط اليوم يكون وسط الفوز، أي الفوز بنسبة خمسين في المائة، ولا يمكن هذا الفوز إلّا بسبب التخطيط له مسبقاً، ولا تعلم هذه النسبة إلّا بمراجعة الانتاج حسب المنهاج.

المرحلة الثالثة: النجاح بالوصول إلى المطلوب وتحقيق المراد الذي من أجله ابتدأ في العمل حسب المنهاج الذي خططه لتحقيق ذلك، ولا يكون النجاح إلّا في آخر مرحلة من مراحل العمل، فإذا وصل الإنسان إلى ما يصبوا إليه كان ناجحاً، فلا يمكن ذلك إلّا في آخر العمل؛ فإنّ الاعمال بنتائجها؛ اذ قد يعوق العمل ما ليس بالحسبان من حوادث الزمان، فلا يكون العمل ناجحاً لأسباب غير اختيارية.

وسعادة اليوم هي في صحة المنهاج الزمني في تحقيق المطلوب، واتباع المنهاج خطوة فخطوة، ونتيجة المنهاج خارجاً.

وبدون هذه الأركان الثلاثة لا تكون السعادة تامة، بل النتائج تكون عكسية من حيث المبدأ والمسير والمصير، فيتصف اليوم بالأضداد، وهي:

١ ـ (أوّله فزع) وهو الخوف؛ لأنّ مبدأ السير ليس على منهاج واضح يحدد المسؤوليات.

٢ ـ (اوسطه جزع) وهو الحزن؛ للعلم بضياع الوقت من دون نتيجة مرحلية.

٣ ـ (آخره وجع) وهو الألم؛ لأنّ النتائج المطلوبة لم تتحقق، بل حصلت نتائج عكسية مما توجب الألم الروحي المؤثّر على حياة الإنسان بالعقد النفسية الطارئة.

١٠ ـ (إنقاد كلّ عظيم في الدنيا لعظمة الله) لمشاهدة آثار العظمة في كل المخلوقات في الكون من الجماد والنبات والحيوان.

وفي كل واحدة من النقاط العشر دليل على أنّه لا يستحق الحمد سوى الله تعالى.

وقد أقحم عليه السلام جملة معترضة بالالتفات من الغيبة إلى الخطاب بقوله: (فلك الحمد) ثم عقّبه بأوصاف أربعة، هي:

١ ـ التواتر، فلا ينحصر في عدد خاص.

٢ ـ الاتّساق، وهو الانتظام بالترتيب.

٣ ـ التوالي بالتتابع متسلسلا.

٤ ـ الاستوثاق بشدّة الحفظ.

وختم المقطع بالصلاة على رسوله أبداً، أي بما لا نهاية له في المستقبل، والسلام الدائم المستمرّ.

والسرمد: وهو ما لا أوّل ولا آخر له؛ وذلك لأنّ الهداية لم تكن تتحقق إلّا بالرسالة، فالحمد والصلاة يتلازمان ما دامت هناك هداية.

[٢/٦٣ ـ سعادة اليوم]:

اللَّهُمَّ اِجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمِي هَذَا صَلاحاً، وَأَوْسَطَهُ فَلَاحَاً، وآخِرَهُ نجاحَاً، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمٍ أَوَّلُهُ فَزَعٌ، وَأَوْسَطُهُ جزَعٌ، وآخره وَجَعٌ.

والسعادة في أيّ يوم من الأيام ـ ومنها يوم الأحد ـ لابدّ وأن تتحقق على ثلاث مراحل، هي:

المرحلة الأولى: الفلاح، وهو حسن الشيء، وضدّه الفساد، ومن صلاح الشيء التخطيط له بما يؤمّن تحّققه على النحو المطلوب، فلابدّ أن يبتدأ اليوم

ـمجتمع، والاهتمام بإصلاح الآخرين من دون الابتداء بالنفس يكون استهزاءً
كرة الاصلاح.

وسرد لموارد الاستغفار أموراً التزم بها بإرادته ولم يف بها، وهي:

١ ـ النذر، وهو ما يوجبه الإنسان على نفسه تبرّعاً.

٢ ـ الوعد، وهو الالتزام القاطع لتحقيق شيء في المستقبل.

٣ ـ العهد، وهو الضمان الوثيق المقارَن بالقسم عادة.

وهذه الالتزامات الشخصية تصدر عادة في مناسبات مختلفة في حياة الإنسان
ي نفسه مع أُسرته وأقربائه وأصدقائه، وقد يهملها الإنسان لمكان القرابة
لصداقة، ولصلاح النفس حقيقة يستلزم الاستغفار على ما لم يف بها من هذه
لالتزامات؛ حيث كان عليه أن يلتزم بها؛ فإنّ الوثوق بالنفس تجعل الإنسان في
ـلّ من أي التزام لا يعلم علماً قاطعاً في تنفيذه، وفي كتب الفقه تفصيل ما يجب
لى الإنسان عند مخالفة العهد واليمين، فليراجع.

٢ ـ مظالم العباد: ثم عقّب ذلك بمظالم العباد الّتي هي مظالم اجتماعية؛
ٔنّ ظلم الآخرين في الحقيقة ظلمان؛ أحدهما: ظلم الآخرين، والثاني: مخالفة
ـقانون الذي قد يتّخذ ذريعة لغيره في ارتكاب المظلمة نفسها، فيكون الظالم
ـريكاً في كل ظلم يستند إلى فعله.

وقد سرد في هذا المقطع من مظالم العباد ما يلي:

١ ـ الظلم في النفس، بالميل عن الحدّ المفروض في التعامل مع
لاشخاص أنفسهم بما يخصّهم بالذات.

٢ ـ الظلم في العرض، وهو ما يصان من حَسَب أو شرف تَمُسّ العائلة.

٣ ـ الظلم في المال، بالتعدّي على ما يملكه الآخرون.

٤ ـ الظلم في الأهل، وهم ذوو القربى بعد أداء حقوقهم.

٥ ـ الظلم في الولد بعدم القيام بواجبات التربية.

[٦٣/٣ ـ المظالم]:

اللَّهُمَّ إنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِكُلِّ نذرٍ نَذْرتُهُ، وَكُلِّ وَعدٍ وَعْدَتُهُ، وَكُلِّ عَهدٍ عَاهَدتُهُ ثُمَّ لَمْ أفِ لَكَ بِهِ، وَأَسْأَلُكَ فِي مَظَالِمِ عِبَادِكَ عِنْدِي، فَأَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عَبيدِكَ، أَوْ أمَةٍ مِنْ إمائِكَ كَانَتْ لَهُ قِبَلِي[1] مَظْلَمَةٌ ظَلَمتُهَا إِيَّاهُ فِي نَفْسِهِ أَوْ فِي عِرْضِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي أَهلِهِ وَوَلدِهِ[2]، أَوْ غِيبَةٍ اِغْتَبْتُهُ بِهَا، أَوْ تَحَامُلٍ عَلَيهِ بِمِيلٍ أو هَوَىً، أَوْ أَنفَةٍ أَوْ حَمِيَّةٍ أَوْ رِياءٍ أَوْ عَصَبِيَّةٍ، غَائِباً كَانَ أَوْ شَاهِداً، وَحَيَّاً كَانَ أَوْ مِيتاً، فَقَصُرَتْ يَدِي، وَضَاقَ وُسْعِي عَنْ رَدِّهَا إِلَيهِ، والتَحَلُّلِ مِنْهُ. فَأَسْأَلُكَ يا مِنْ يَمْلِكُ الْحاجَات، وَهِيَ مُستَجِيبَةٌ لِمَشِيَّتِهِ، وَمُسْرِعَةٌ إِلَى إرادتِهِ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلَى[3] آلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُرْضِيَهُ عَنِّي بِمَا شِئْتَ، وَتَهَبَ لِي مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً؛ إِنَّهُ لَا تَنقُصُكَ الْمَغْفِرَةُ، وَلَا تَضُرُّكَ الْمَوْهِبَةُ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ.

والسعادة للإنسان يستلزم طهارة الضمير، والمادّيات ـ مهما كثرت ـ لا تخلق السعادة، بل تزيد الإنسان حرصاً للمحافظة عليها، ويعيش في القلق بسبب ذلك، ولا تتحق السعادة إلّا بطهارة الضمير.

وفي هذا المقطع إشارة إلى الدور المطلوب تجاه النفس والمجتمع في تحصيل طهارة الضمير المستلزمه للسعادة الروحية وهي:

١ ـ مظالم النفس: وابتدا بما اورده الإنسان من المظالم على نفسه، المستوجبة للاستغفار؛ لأنّ باصلاح النفس يكون إعداد العضو الصالح في

---

(١) قبلي: عندي.
(٢) في (ط): «ووُلده».
(٣) في الأصل كتب على كلمة: «على»: نسخة.

اته، وهو النعمة، وهي رغد العيش بالسعادة النفسية والجسدية، وأشار إلى ين متلازمين في تحصيل ذلك، هما:

١ ـ السعادة بالطاعة في اول اليوم؛ فإنّ المنهاج الصالح في أوّل اليوم تلزم الطاعة، وهي عمل الخير والصلاح الموجب للسعادة في الجسم حيث تخدمه فيما يطيقه ويجنّبه عما لا يطيق، وذلك بأداء الدور المطلوب حسب درة والاستطاعة.

٢ ـ النعمة بالمغفرة في آخر اليوم نتيجة لأداء الدور المطلوب من المسؤولية سب المنهاج السليم في تحقيق الثوابت الإسلامية بالطرق المشروعة؛ فإنّ الغاية تبرّر الواسطة، وهي تلازم الطاعة بأداء المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان اه النفس والمجتمع.

ومن أدّى دوره المطلوب عاش منعّماً، لأنّه يكون قد أدّى دوره حسب نهاج الإسلامي طاهر الضمير.

٦ ـ الظلم بالغيبة بالكلام عن الآخرين بما يكرهونه لو سمعوه.

٧ ـ الظلم بالتحامل عليه، بالهجوم والمؤاخذة من دون سبب ومبرّر مشروع.

وعن أسباب الظلم أشار الى:

١ ـ الميل بالانحراف عن الصراط المستقيم في التعامل مع الناس في الحياة.

٢ ـ الهوى، وهي متابعة هوى النفس الأمّارة بالسوء.

٣ ـ الأنَفَة، وهي عزّة النفس بالتكبر على الاخرين.

٤ ـ الحميّة، وهي الاباء عن الرضوخ للحقّ.

٥ ـ الرئاء، وهو التظاهر بما ليس في الإنسان.

٦ ـ العصبيّة، وهي تفضيل العصبة ـ وهم قرابة الإنسان ـ على الحق، وذلك بالروح القومية والعرقيّة بالانحراف عن الثوابت الإسلامية.

ومهما كانت أسباب الظلم وأنواع المظالم وحالات المظلوم، فإنّ المظالم هي من حقوق العباد الاجتماعية، ولابد من ردّها إلى اصحابها الشرعيين بالتصالح معهم والتحلّل منهم ان تيسّر ذلك لتحصيل رضاهم.

وأما في صورة عدم تيسّر ذلك، سواءً كان المظلوم شاهداً أو غائباً حياً أو ميتاً فيجب ردّ المظلمة عنه بالطرق المشروحة في الفقه، وقد تنحصر بالاستغفار.

[٤/٦٣ ـ نعمة الاثنين]:

اللَّهُمَّ أَولِني فِي كُلِّ يَوْمِ اِثْنِيَنِ نِعْمَتَيْنِ مِنْكِ ثِنتَينِ: سَعَادَةً فِي أَوَّلِهِ بِطَاعَتِكَ، وَنِعْمَةً فِي آخِرِهِ بِمَغْفِرَتِكَ، يا مَنْ هُوَ الإلهُ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ سِواهُ.

وختم الدعاء في هذا المقطع بما هو المطلوب للإنسان في كل يوم من أيام

١ ـ (النفس) حيث ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾(١).

٢ ـ (الشيطان) الذي أخذ على نفسه إغواء الإنسان، وهو دوماً يزيده ذنباً على ذنب باغوائه المستمر طول الحياة.

٣ ـ (كلّ جبّار فاجر) والتجبّر: التكبّر، والفجور: الميل عن الحق، واجتماع الصفتين يستلزم الشر.

٤ ـ (السلطان الجائر) والسلطان: الحجة، سمّي به من بيده القوّة لتمكّنه من إقامة الحجة على غيره بالقوة. والجور: الميل عن الحق بالظلم، ولا ينتج اجتماع وصفي القوة والظلم إلّا محض الشرّ.

٥ ـ (العدّو القاهر) والعداوة: الخصومة، والقهر: الغلبة بالقوة ظلماً، واجتماع صفتي الخصومة والظلم شرّ محض.

ولا يخلو حياة الإنسان من مواجهة أنواع الشرّ من المصادر المذكورة الّتي يجب التحصّن منها بالمقاطعة، والاحتراز عنها بالاجتناب عنها، والاستعاذة بالله تعالى منها.

[٢/٦٤ ـ مَعَ اللهِ]:

اللَّهُمَّ اجْعَلنِي مِنْ جُنْدِكَ؛ فإنَّ جُنْدَكَ هُمُ الْغَالِبُونَ، وَاجْعَلنِي مِنْ حِزْبِكَ؛ فإنّ حِزْبَكَ هُمْ المُفلِحُونَ، وَاجْعَلنِي مِنْ أولِيَائِكَ؛ فإنّ أولِيَائَكَ لَا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

والتحصّن إنما يتحقق بسلوك الصراط المستقيم في الحياة الذي يجعل الإنسان في حالة روحية أقوى من قوى الشرّ، لأنّها تعتمد على المادة والماديات في تحقيق اغراضها، وهي انما تؤثّر في النفوس الضعيفة، فاذا تحصّن الإنسان معنوياً فإنّه سوف لا تؤثر فيه تلك المغريات.

---

(١) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢: ٥٣.

[الدعاء الرابع والستّون]

دُعاء يوم الثلاثاء

[١/٦٤ ـ التحصّن من الشر]:

الْحَمْدُ لِلّهِ[١]، وَالْحَمْدُ حَقَّهُ كَمَا يَسْتَحِقُّهُ حَمداً كَثِيراً، وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ شَرِّ نَفْسِي ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[٢]، وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ الَّذِي يَزِيدُنِي ذَنباً إِلَى ذَنْبِي، وَأَحْتَرِزُ بِهِ مِنْ كُلِّ جَبَّارٍ فَاجِرٍ، وَسُلْطَانٍ جَائِرٍ، وَعَدُوٍّ قَاهِرٍ.

الثلاثاء ـ لغة ـ: العدد المتقوّم من أجزاء ثلاثة متساوية في العددية، والثلاثاء اسم اليوم الثالث من أيام الأسبوع.

استفتح الدعاء بالحمد لله مؤكّداً على حقيقتين:

الأولى: ان الحمد حق لله تعالى على العباد؛ لكثرة الجميل الاختياري الذي تفضّل بها سبحانه عليهم، ومنها: نعمة الحياة والعقل والإرادة، الّتي بدونها لا يتمكن الإنسان من العيش بسلام.

الثانية: إنّ نوع الحمد لا يدخل تحت حصر؛ لكثرة ما يجب عليها الحمد، والنصّ بالقول: (كما يستحقه حمداً كثيراً) معادلا لنعمه الكثيرة الّتي لا تحصى.

ثم أشار إلى ما يفتقر إليه الإنسان في حياته من التحصّن من مصادر انواع الشرّ، وقد عدّ منها:

---

(١) في (ط): «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله».

(٢) اقتباس من القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢ : ٥٣.

وسياسياً، والسير على الثوابت الإسلامية فيها يؤدّي إلى جزاء الخير في الدنيا والآخرة.

٢ ـ الآخرة؛ لأنّها دار القرار، ولابد من الإنسان ان يصير اليها، ويتخلّص بذلك من مجاورة اللئام في الدنيا، واللئيم هو المرتكب للسيئات، والمحسن يفر منهم إلى المأمن الابدي تخلصاً من سيئات اعمالهم، أو ما يترتب عليها من الآثار على النفس والمجتمع.

٣ ـ الحياة وصلاحها لزيادة الخير فيها في النفس الّتي تؤثر في اصلاح فرد من افراد المجتمع كي يصبح عضواً صالحاً يعود بالنفع على المجتمع.

٤ ـ الوفاة، وهي حالة استيفاء أمد الحياة في الدنيا بالموت، فإنّه يكون راحةً من كلّ شرّ دنيوي، ومنها: سكرات الموت، فإنّ الإنسان يفتقر إلى التحصّن بالله تعالى في كلّ الحالات من الولادة إلى الوفاة.

[٤/٦٤ ـ هِبَة الثُّلَاثَاءِ]:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتمِ النَّبِيِّينَ وَتَمامِ عِدَةِ الْمُرْسَلَيْنَ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ وأصحَابِهِ الْمُنتَجَبِينَ، وَهَب لِي فِي الثُّلَاثَاءِ ثَلاثَاً: لَا تَدَع لِي ذَنبَاً إلّا غَفرَتَهُ، وَلَا غَمَّاً إلّا أَذهَبتَهُ، وَلَا عَدَوّاً إلّا دَفْعَتَهُ، بِبِسمِ اللهِ خَيْرِ الأسمَاءِ، بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، أَستَدْفِعُ كُلَّ مَكْرُوهٍ أَوَّلُهُ سَخَطُهُ، وَأَسْتَجْلِبُ كُلَّ مَحْبُوبٍ أَوَّلُهُ رِضَاهُ، فَاخْتِمْ لِي مِنْكَ بِالْغُفْرَانِ، يا وَلِيَّ الإحسَانِ.

وختم الدعاء بطلب الهبة لأُمور ثلاثة يفتقر اليها كل إنسان في نفسه ومجتمعه وآخرته.

وشفع الطلب بالصلوات على النبي محمّد ﷺ الذي امتاز على سائر النبيين بالخاتمية وعلى (تمام عدّة المرسلين) أي جميع عددهم.

وقد سرد في هذا المقطع الطوائف الّتي تمكّنت من التحصّن معنوياً بالسير على إرادة الله تعالى في حياتها الشخصية والاجتماعية، وهي:

١ ـ (جند الله) والجند: الجمع، وسمّي به العسكر لاجتماعهم، وهذا مما يوجب الفلاح، قال تعالى: ﴿إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] لسلوكهم الصراط المستقيم في الحياة بالتزامهم بالثوابت الإسلامية، وغلبتهم سواءً بالنصر أو الشهادة؛ لأداء دورهم الرسالي في الحياة.

٢ ـ (حزب الله) والحزب: الجماعة الّتي تجمعهم كلمة واحدة ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[2] للفوز في السير إلى الله وتطبيق احكامه في الحياة.

٣ ـ (أولياء الله) والولي: القريب الذي يلي الشيء، وسمّي به المحب السائر على النهج الذي رسمه الله لعباده، ولقرب الأولياء الصالحون، فهم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في الدنيا؛ لأنّهم مع الله وبذكره تطمئنّ قلوبهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لعلمهم بأداء مسؤولياتهم في الحياة.

[٣/٦٤ ـ صَلَاح الدُّنْيا والآخرة]:

اللّٰهُمَّ أَصلِح لِي دِينِي؛ فإنّه عِصْمَةُ أَمرِي، وَأَصْلَح لِي آخِرَتِي؛ فَإِنَّهَا دَارُ مَقَرِّي، وَإِلَيهَا مِنْ مُجَاوَرَةِ اللِّئام مَفَرِّي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيادَةً لِي فِي كُلِّ خَيرٍ، وَالْوَفَاةَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

ونتيجة التحصّن بالله تعالى يكون صلاح الدنيا والآخرة في أُمور عدّ منها:

١ ـ الدين؛ فإنّه عصمة الأمر، أي به يكون حفظ شؤون الإنسان وتيسير أموره في الحياة في الدنيا والآخرة، حيث أنّ الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء، والدين يتكفّل شؤون الإنسان في الحياة عبادياً واجتماعياً واقتصادياً وأُسرياً

(١) القرآن الكريم، سورة المجادلة ٥٨: ٢٢.
(٢) القرآن الكريم، سورة المائدة ٥: ٥٦.

[الدعاء الخامس والستّون]

دُعاء يوم الأربعاء

١/٦ ـ تحميد الله]:

الْحَمْدُ لِلّهِ[1] الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ لِبَاساً، وَالنَّوْمَ سُبَاتَاً، وَجَعَلَ النَّهَارَ ورَاً، لَكَ الْحَمْدُ أَنْ بَعَثْتَنِي مِنْ مَرْقَدِي، وَلَوْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ سَرْمَدَاً[2]، مداً دَائِمَاً لَا يَنْقَطِعُ أَبَداً، وَلَا يُحْصِي لَهُ الْخلائقُ عَدَدَاً.

الربعة: البيت المربّع المتساوي الجهات، والاربع هو العدد المكوّن من عة أجزاء متساوية، والاربعاء: اليوم الرابع من أيام الأسبوع.

استفتح الدعاء بالحمد لله، وأشار إلى ثلاث حقائق طبيعية في حياة الإنسان جبة لدوام الحمد، وهي:

١ ـ (جعل الليل لباساً) يستر كلّ شيء على الأرض كاللّباس الساتر لبدن نسان، فيكون مخالطاً له اختلاطاً تاماً لا يستغني عنه.

٢ ـ (جعل النوم سباتاً) والسبت: الاستراحة؛ فإنّ التعب في النهار على أثر مل يفتقر إلى استراحة، ويتحقق بالنوم لكي يستعيد الجسم نشاطه للعمل في وم التالي.

٣ ـ (جعل النهار نشوراً) والنشر: البسط والامتداد، حيث يقوم الإنسان من وم منتشراً للعمل خلال النهار.

) في (ط): «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله».

) سرمداً: مستمراً. دائماً.

(وآله الطاهرين واصحابه المنتجبين)؛ فإنّ الدعاء المشفوع بالصلاة مقبولة كما في الآثار[١].

والهبة هو تمليك الشيء بلا عوض؛ فإنّ الإنسان مهما حاول في اداء مسؤولياته على الوجه المطلوب فإنّه لا يصل إلى الكمال في استيفائها.

وقد سرد الأُمور الثلاثة حسب اهميتها مبتدأً بالأهم، وهي:

١ ـ في الآخرة بالغفران؛ حيث أنها دار الخلود، ويفتقر الإنسان فيها إلى غفران الذنوب.

٢ ـ في النفس، برفع الغم وهو الحزن الذي يغطي نفس الإنسان كالغيوم الّتي تغطي السماء، ويفتقر الإنسان إلى إزالته، فاذا ذهب الغم يصبح في حالة نفسية طبيعية.

٣ ـ في المجتمع، بدفع العدوّ، فإنّ كل إنسان مبتلى بعدوّ من الإنس والجن، وأشدهم عدواة: الشيطان الرجيم الذي يوسوس في صدور الناس، فيفتقر الإنسان إلى الدفاع عن نفسه بالتحصّن منه بالله.

والله سبحانه هو المسؤول في الأُمور كلها.

ويتحقق كل ذلك بالاستعانة باسم الله الحاكم على الأرض والسماء؛ فإنّ ذلك يدفع كل مكروه مهما عظم ابتداءً من سخط الله سبحانه وما دونه من المكروهات، كما أنّ بالاستعانة باسم الله يستجلب كل محبوب مهما عظم، ابتداءً من رضا الله سبحانه وما دون ذلك.

وحيث إن الأمور بخواتيمها، فإنّ أهم ما يفتقر اليه الإنسان هو الغفران، والله المستعان.

---

(١) الكافي ٢: ٤٩٣، الحديث ١٧.

وعدّ من الصفات الإلهيّة:

١ ـ (أن خلقت) الإنسان كما خلقت المخلوقات في الكون.

٢ ـ (فسوّيت) في الخلق في الاعتدال ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾[١].

٣ ـ (وقدرت) حيث جعل للخلق مسيراً مقدّراً ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[٢].

٤ ـ (وقضيت) في مصير الإنسان المقدّر له.

٥ ـ (وأمتّ) فإنّ ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[٣].

٦ ـ (وأحييت) فإنّه ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾[٤] لامتحان الإنسان للعمل الصالح.

٧ ـ (أمرضت) بالتقدير لأسباب المرض وآثاره.

٨ ـ (وشفيت) بالعلاج الشافي لأسباب المرض.

٩ ـ (وعافيت) بتحصين الإنسان ومنحه المناعة جسديا ضد الأمراض، ومعنويا من ان تؤثر فيه الدعايات الفاسدة وتسلبه الاستقرار.

١٠ ـ (وأبليت) والبلاء: الامتحان في الحياة بالمشاكل الّتي تزيده تجربة وتحصّناً.

١١ ـ (وعلى العرش استويت) فإنّ القدرة العليا تعود إلى ارادته النافذة.

١٢ ـ (وعلى الملك احتويت) والاحتواء: القبض، فإنّ الله بيده تعالى ملكوت السماوات والأرض[٥].

ومن حالات الإنسان:

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأعلى ٨٧: ٢.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأعلى ٨٧: ٣.

(٣) القرآن الكريم، سورة القصص ٢٨: ٨٨.

(٤) القرآن الكريم، سورة الملك ٩٧: ٢.

(٥) اقتباس من القرآن الكريم، سورة يس ٣٦: ٨٣.

وهذه سنّة الحياة في سلسلة مستمّرة من السكون والعمل والاستراحة في كلّ يوم من أيام الأسبوع، وحالة النوم تشابه حالة الموت في كثير من الاوصاف، سوى أنّ الموت فراق أبدي لا نشر فيه إلى يوم القيامة، والنوم فراق يومي ينتهي بانتهاء أمده.

وحيث أنّ الموت والحياة بيد الله تعالى بأن يجعل النوم فراقاً أبدياً مستمرّاً وسرمدياً لا نهاية له إلّا في يوم القيامة، فهو حقيق بالحمد على هذا الجميل الاختياري حيث جعله فراقاً يومياً غير سرمدي.

فالله سبحانه حقيق بالحمد الأبدي زماناً بعدد أنفاس الخلائق الّتي لا تحصى عدداً.

[٢/٦٥ ـ الشّفاعَةَ]:

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْ خَلقَتَ فَسوَّيْتَ، وَقَدَّرتَ وَقَضَيْتَ، وَأَمَتَّ وَأَحْيَيتَ، وَأَمْرَضتَ وَشَفَيتَ، وَعَافَيْتَ وَأَبْلَيْتَ، وَعَلَى الْعَرْشِ إِسْتَوَيْتَ، وَعَلَى الْمُلْكِ اِحْتَوَيْتَ.

أَدْعُوكَ دُعَاءَ مَنْ ضَعُفَتْ وَسِيلَتُهُ، وَانْقَطَعَتْ حِيلَتُهُ، وَاِقْتَرَبَ أَجَلُهُ، وَتَدَانَى فِي الدُّنْيا أَمَلُهُ، وَاِشْتَدَّتْ إِلَى رَحِمَتِكَ فَاقَتُهُ، وَعَظُمَتْ لِتَفْرِيطِهِ حَسْرَتُهُ، وَكَثُرَتْ زَلَّتُهُ وَعَثْرَتُهُ، وَخَلَصُتْ لِوَجهِكَ تَوْبَتُهُ. فَصَلّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتمِ النَّبِيِّينَ، وَعَلَى أَهِلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ، وَارْزُقِنِي شفاعَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وآله، وَلَا تُحرِمنِي صُحْبَتَهُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَرحمُ الرّاحِمِينَ.

وفي هذا المقطع تعرّض عليه السلام إلى مقارنة الصفات الإلهيّة والحالات البشرية المتناقضة في حقيقتها، الّتي تستلزم ان تكون متناقضة في آثارها، ولا يمكن الميل عن تلك الآثار إلّا بالشفاعة ممّن له الوجاهة عند الله سبحانه.

وختم الدعاء بما يستوجبه حالات الإنسان من القضاء الإلهي بجبرها، وهي أربعة أُمور:

١ ـ القوّة في الطاعة، وهي أعمال الخير الّتي يعود نفعها على النفس والمجتمع.

٢ ـ النشاط في العبادة، والنشاط: طيب العمل بالوعي؛ لأهميتها في تهذيب النفس.

٣ ـ الرغبة في الثواب، وهو الجزاء من الله على ما يصدر من الإنسان من الطاعات والعبادات.

٤ ـ الزهد فيما يوجب أليم العقاب، بالرغبة عن المنافع الشخصية المادّية الّتي لا تخدم سوى لحظات النشوة الّتي يتعقبّها عادة محاسبة التاريخ الدقيقة، وتخلّف أليم العقاب في الدنيا، والحساب العسير في الآخرة.

١ ـ (ضعف الوسيلة) الشخصية للوصول إلى رضا الله، لقصور الطاعات عن أداء حق الله تعالى.

٢ ـ (انقطاع الحيلة) أي القدرة بالواسطة على تحقيق المراد.

٣ ـ (اقتراب الأجل) الذي هو نهاية العمل في كل يوم يعيشه الإنسان.

٤ ـ (تداني الأمل) في الدنيا، وتداني الأمل: قلّته؛ لقلة العمل الصالح بالنسبة إلى ما يجب القيام به من الوضائف.

٥ ـ (اشتداد الفاقة إلى رحمة الله) للأسباب المتقدمة؛ فإنّ احداها تكفي في تحقق الفاقة، واشتدادها: تشدّدها.

٦ ـ (عِظَم الحسرة) للتفريط، وهو تجاوز الحدّ الذي يعقب الحسرة حيث لا يمكن جبر ما فات.

٧ ـ (كثرة الزلة والعثرة) والزلة: السقطة السريعة في وجودها في مكان يتوقع ذلك، والعثرة: السقطة فيما لا يتوقع. وكثرتها بتكررها.

٨ ـ (خلوص التوبة) وهو وان كان واجباً الا انه لا يوجب حقاً على الله سبحانه بالقبول.

وفي هذه الحالات: من الطبيعيّ ان يكون الإنسان خاسراً لولا الشفاعة الّتي تكون الوسيلة الوحيدة لشمول الرحمة الإلهيّة، وقد ختم المقطع مقروناً بالصلاة على محمد وآله التي وردت الآثار بقبول الدعاء بها[١] بطلب الشفاعة وعدم حرمان صحبة النبي وآله في القيامة، وذلك على الله يسير؛ لأنّه أرحم الراحمين.

[٣/٦٥ ـ قَضَاء الأربعاء]:

اللَّهُمَّ اِقْضِ لِي فِي الأربعاءِ أَرْبَعاً: اِجْعَلْ قوّتِي فِي طَاعَتِكَ، وَنَشَاطِي فِي عِبَادَتِكَ، وَرغبَتِي فِي ثَوابِكَ، وَزُهْدِي فِيمَا يُوجِبُ لِي أليمَ عِقَابِكَ، إنَّكَ لَطِيفَ لِمَا تُشَاءُ[٢].

---

(١) راجع نهج البلاغة، الحكمة: ٣٦١.

(٢) في بعض النسخ: «وكل».

منبعث من الشمس يتكون ما أنعم الله من الرزق من الثروة النباتية والثروة حيوانية الّتي بهما استمرار حياة الإنسان، فكأنّ الضياء كالكساء الذي يخيّم على باة الإنسان ويقيه ما يضرّه ويجلب له ما يوجب الراحة والسكون والاستمرار في حياة.

٣ ـ النعمة، وهي رغد العيش وكون الإنسان متنعما بالصحة موهبة اخرى ب الحمد بسببها، اضافة إلى ما تقدم من التفضّل بإذهاب الليل واحداث النهار شر الضياء.

٦٠/٢ ـ التحصن بِاللهِ]:

اللَّهُمَّ فَكَمَا أبقيتَنِي لَهُ فَأَبْقِنِي لأمثَالِهِ، وَصِلَّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ آلِهِ، وَلَا تُفْجِعنِي فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ مِنْ اللَّيَالِي والأيام بِارْتِكَابِ مَحَارِمِ، وَاكْتِسَابِ المآثمِ، وَارْزُقنِي خَيرَهُ، وَخَيرَ مَا فِيهِ، وَخَيرَ بَعْدَهُ، وَاصْرِفْ عَنِّي شَرَّهُ، وَشَرَّ مَا فِيهِ، وَشَرَّ مَا بَعْدَهُ.

ويفتقر الإنسان في هذا اليوم ـ كسائر الأيام أمثاله ـ إلى التحصّن بالله من مجائع، وقد عدّ منها:

١ ـ ارتكاب المحارم الّتي حرّمها الله سبحانه؛ فإنّ للذنوب آثاراً روحية لى من يرتكبها، كما أنّ لها آثاراً وضعية، فإنّ شارب الخمر كما أنّه يسكر على ر الشرب، فكذلك يفقد التوازن في التفكير، ويحصل له الانحراف في الصحة، غيرها من الآثار الظاهرة على جسمه ونفسه.

٢ ـ اكتساب المآثم، والمأثم هو عمل ما لا يحلّ، والاكتساب: طلب حصوله سواءً بالمباشرة او بالتسبيب، فيعمّ الاكتساب كلّ ما يسجل في التاريخ نقطة سوداء في حياة الإنسان.

٣ ـ الشرّ، وهو الرذيلة الّتي لا خير فيها، مما يعود ضرره على الإنسان نفسه أو على المجتمع الذي يعيش فيه، وحيث أنّ الشرّ لا يولد الا الشرّ كأثر

[الدعاء السادس والستّون]

دُعاء يوم الخميس

[١/٦٦ ـ تحميد الله]:

الْحَمْدُ لِلّهِ[١] الَّذِي أَذْهَبَ اللَّيْلَ مُظْلِماً بِقُدْرَتِهِ، وَجَاءَ بِالنّهارِ مُبْصِراً بِرَحْمَتِهِ، وكساني ضِيَاءَهُ وَأَنَا فِي[٢] نِعْمَتِهِ.

الخميس ـ لغة ـ: تكون الشيء من خمسة أجزاء متساوية، ويطلق على الجيش بهذا الاعتبار. والخميس: اليوم الخامس من أيام الأسبوع.

استفتح الدعاء بالحمد لله؛ لأنه حقيق بالحمد دون سواه.

وأشار إلى الاستدلال على ذلك بأدلة ثلاثة في جمل موصولة هي:

١ ـ القدرة على كل شيء؛ فإنّه تعالى (هو الذي اذهب الليل مظلماً بقدرته) وهذه القدرة الخارقة في الطبيعة تمثّل القدرة العليا في الخلق والايجاد.

٢ ـ الرحمة، الّتي وسعت كل شيء[٣]؛ فإنّه تعالى هو الذي (جاء بالنهار مبصراً) والبصر: الرؤية، فالنهار سبب من أسباب الرؤية، فلو كان الظلام مطبقاً على الكون بفقدان الشمس لكانت الحياة مختلة وغير منتظمة. وبسبب ضياء النهار

---

(١) في (ط): «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله».

(٢) في بعض النسخ: «وآتاني».

(٣) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

٢ ـ حرمة القرآن، الذي هو الدستور العملي للحياة باعتبار أنّه آخر الكتب سماوية ويتضمّن الثوابت الإسلامية الّتي يفتقر اليها في السلوك. فله حرمة خاصة متاز بها عن غيره من الكتب السماوية.

٣ ـ شفاعة محمّد النبيّ الكريم الذي هو خاتم الأنبياء، وقد بلّغ الرسالة املة وطبّق الثوابت في حياته الشخصية وصار أُسوة يقتدى به.

وحيث أنّ الداعي يؤمن بكل هذه النقاط ويحاول السير عليها حسب جهده طاقته، فهو يستحق الشفاعة، و (عرفانّ الذمّة) هو الاعتراف بالعهد الإسلامي بين لإنسان وربّه في السلوك في الحياة على ما تقتضيه ذمّة الإسلام وحرمة القرآن شفاعة محمد ﷺ.

والله هو المرجّو في حالة كهذه في قضاء الحاجة برحمته الواسعة.

٦٦/٤ ـ قَضَاء الْخَمِيسِ]:

اللّهُمَّ اِقْضِ لِي فِي الْخَمِيسِ خَمَسَاً، لَا يَتَّسِعُ لَهَا إلّا كَرَمُكَ، وَلَا يُطِيقُهَا إلّا نِعَمُكَ: سَلَامَةً أَقوى بِهَا عَلَى طَاعَتِكَ، وَعِبَادَةً سْتَحِقُّ بِهَا جَزِيلَ مَثُوبَتِكَ، وَسعَةً فِي الْحَالِ مِن الرِّزْقِ الْحَلَالِ، وَأَنْ تُؤَمِّنَنِي فِي مَوَاقِفِ الْخُوفِ بأمنِكَ، وَتَجْعَلَنِي مِنْ طَوارِقِ لهُمُومِ وَالْغُمُومِ فِي حِصْنِكَ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَاجْعَلْ تَوَسُّلَي هِ شَافِعَاً، يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَافِعَاً، إنَّكَ أَنْتَ أَرحمُ الرّاحِمِينَ.

وختم الدعاء بحاجات خمس يقتضي الكرم الإلهي قضاءها، وهي من تمّمات النعمة على الإنسان، وهي:

١ ـ (السلامة في الجسم) حيث لا يمكن اداء الدور المسؤول مع فقدانها، فإنّ المرض يكون معوّقاً عن ذلك، ولا يقوى الإنسان على الطاعة بعمل الخيرات والعبادة لله عبادة خالصة الّا مع السلامة في الجسم، وبذلك يستحق الثواب.

طبيعيّ له، فلابدّ ان يستتبع الشرّ في هذا اليوم شرّاً آخر فيما بعد اليوم يجب التحصّن منه أيضاً.

وهذه النقاط المحرمة لو تلبّس بها الإنسان لتسببت الفاجعة في النفس، فتكون خسارة لعضو صالح في المجتمع، وهذه الخسارة يعود ضررها على المجتمع ككل، فيكون ذلك فاجعة اخرى في الحياة، والفجيعة: الرزية الّتي توجب الوجع والالم، فإنّ خسارة العضو الصالح من المجتمع يوجب تألّم المجتمع، كما يؤلمه وجود العضو الفاسد؛ لأن العضو المريض في جسم الإنسان أو جسم المجتمع يؤثر على سائر الاعضاء بلا فرق بينهما.

وانما يفتقر الإنسان في يومه وما بعده من الأيام إلى الخير ليسعد بأداء دوره الإنسانيّ المطلوب في الحياة.

[٣/٦٦ ـ قَضَاء الْحاجَاتِ]:

اللَّهُمَّ إِنِّي بِذِمَّةِ الإسلامِ أَتَوَسَّلُ إِلَيكَ، وَبِحُرمَةِ القُرآنِ أَعْتَمِدُ عَلَيكَ، وبمُحَمَّدٍ الْمُصْطَفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وآلِهِ أَستَشفِعُ لَدَيكَ، فَاعْرِفْ اللَّهُمَّ ذِمَّتِيَ الَّتِي رَجَوْتُ بِهَا قَضَاءَ حاجَتِي، يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ.

ولكل إنسان في حياته اليومية حاجات يروم تحقيقها، وما عليه الّا السعى إلى ذلك بالطرق المشروعة الميسّرة لتحصيلها، ولكن ليس تحقيق ذلك كلّه منوطاً بارادته وتخطيطه، لما قد يعترض الطريق من الطواري الّتي ليست بيده، فإنّ العبد يدبّر والله يقدّر، فالله سبحانه هو المسؤول في تحقيق ذلك بتيسير ذلك وتحقيق الأسباب ورفع الموانع.

وقد توسّل إلى الله سبحانه في هذا المقطع بأمور لقضاء الحاجة هي:

١ ـ بذمّة الإسلام، والذمة: العهد والامان، والإسلام باعتباره خاتم الاديان عهد يلتزم به المسلم تجاه ربه في السلوك في الحياة الشخصية والاجتماعية.

إِلَى الْعِبَادِ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ عَزّ وَجَلّ حَقّ الْجِهاد، وَأَنَّه بَشَّرَ بِمَا هُوَ حَقٌّ مِنَ الثَّوابِ، وَأَنْذَرَ بِمَا هُوَ صِدْقٌ مِنَ الْعقَابِ.

واستعرض في هذا المقطع حقيقة الشهادة بالتوحيد والرسالة الّتي هي اساس الاعتقاد في الإسلام، واستشهد على هذه الشهادة بكل المخلوقات؛ لأنّ وجود كلّ منها دليل على التوحيد والرسالة، وأشار من هذه الادلّة الى:

١ ـ وجود الله سبحانه الذي عمّت آثاره الكون ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[1].

٢ ـ الملائكة الّتي بواسطتها تنفذ إرادة الله سبحانه في الكون.

٣ ـ سكّان السماوات من خلق الله ممّا لا يعلمه الّا الله.

٤ ـ حملة العرش، أي القدرة الإلهيّة، والحمل عبارة عن تنفيذ القدرة الإلهيّة.

٥ ـ الأنبياء الذين يوحى اليهم، فينبئون عن الله من دون أمر بالابلاغ.

٦ ـ الرسل وهم الأنبياء الذين أمروا بتبليغ الرسالة في مجتمعاتهم.

٧ ـ الخلق اجمعين، بما فيها من الاجناس والأنواع والاصناف الّتي لا يعلمها الّا الله، فإنّ وجودها يحقّق التعادل في الكون صحّة وفساداً.

فإنّ وجود هذه الطوائف في أنفسها أدلّة على توحيد الذات المقدسة، واستمرار الرسالة الإلهيّة من آدم الاب حتى خاتم الرسل صلى الله عليه وعلى آله وعليهم أجمعين.

ثم ذكر مقومات التوحيد للذات المقدسة بأوصاف الله المختصّه به، وهي:

١ ـ التوحيد (لا إله إلّا انت وحدك).

٢ ـ نفي الشرك (لا شريك لك) بالتعاون؛ فإنّ الشركة احتياج، والله واجب الوجود غنيّ عن العالمين.

٣ ـ نفي العديل، وهو المثيل في جميع الصفات، فإنّ ذلك يستلزم العجز والله على كل شيء قدير.

---

(١) القرآن الكريم، سورة النساء ٤: ٧٩.

٢ ـ أنه سبحانه الآخر بآخريّة خاصة بالذات أيضا، وهي بعد انتهاء كل شيء ماديّ، وهو يمتاز عن الاشياء كلها بصفة آخرية هي فوق الآخرية الماديّة المحدودة لوجود الاشياء.

٣ ـ العليم بكلّ شيء علماً يختص به وحده، حيث أنّ من آثاره عدم النسيان لمن ذكره كما هو الحال في العالم بالأمور من الإنسان المادي.

٤ ـ المعطي على الشكر من فضله من شكره من دون نقيصة، كما قال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1].

٥ ـ يستجيب الدعاء، فلا يرجع من يدعو الله خائباً، والخيبة: عدم الظفر بالمطلوب حيث قال سبحانه: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2] فإنّ إجابة الدعاء مضمونة ولو بتأخير تقتضيه مصلحة الداعي نفسه، في نفسه وظروفه المحيطة به.

٦ ـ يحقق الآمال الّتي يطلبها الإنسان منه في حياته، ولا يقطع الله سبحانه رجاء من رجاه من الناس، بل يحقق آماله بعد اعداده روحياً للتدّرج في مدارج العمل مع الاستعداد المعنوي لتحقيق تلك الامال خطوة فخطوة، حتى تتحقق بعون الله تعالى مهما طال الزمن.

[٢/٦٧ ـ الشّهادتَانِ]:

اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ وَكَفَى بِكَ شَهِيداً، وَأُشْهِدُ جَمِيعَ مَلَائِكَتِكَ[3] وَسُكَّانَ سَمَاوَاتِكَ وَحَمَلَةَ عرشِكَ، وَمَنْ بَعَثْتَ مِنْ أنبيائِكَ وَرُسُلِكَ، وَأَنْشَأْتَ مِنْ أصنَافِ خَلقِكَ، أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ، وَحدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَلَا عَدِيلَ، وَلَا خُلْفَ لِقَوْلِكَ وَلَا تَبْدِيلَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وآله عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَدَّى مَا حَمَّلتَهُ

---

(١) القرآن الكريم، سورة ابراهيم ١٤ : ٧.

(٢) القرآن الكريم، سورة غافر٤٠ : ٦٠.

(٣) في بعض النسخ: «ملائكتك ورسلك».

صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي مِنْ أَتباعِهِ وَشِيعَتِهِ، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَتِهِ، وَوَفِّقْنِي لأَدَاءِ فَرضِ الْجُمُعَاتِ، وَمَا أَوْجَبْتَ عَلَيَّ فِيهَا مِنْ الطَّاعَاتِ، وَقَسَمْتَ لِأَهلِهَا مِنَ الْعَطَاءِ فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم.

وختم الدعاء بما يفتقر اليه الإنسان من التوفيق في يوم الجمعة وكلّ جمعة[1] من الأعمال الصالحة، باعتباره يوم يجمع المسلمين محليّاً لتدارس شؤون حياتهم الأسبوعية وسدّ حاجاتهم الثقافية والماديّة محلياً واقليمياً وعالمياً، وقد أشار من ذلك إلى ما يلي:

١ ـ الثبات على الدين؛ فإنّ الشيطان وأعوانه من أعداء الإسلام، لا يفترون عن حبك الوساوس لزعزعة العقيدة وعدم الاعتماد على النفس حتى يزيغ القلب أي يميل بالانحراف عن الصراط المستقيم في الحياة؛ والامام عليه السلام يطلب من الله الثبات على الدين بالهداية من الله سبحانه الذي وهب القدرة والإرادة، وحيث إن إرادة الإنسان موهبة من الله، فيكون كلّ ما أراده الإنسان مستنداً إلى الله.

٢ ـ الرحمة من الله لاختيار الصراط المستقيم وعدم الاغترار بوعود الشياطين ومواثيقهم الكاذبة، فلو شملت هذه الرحمة للإنسان لتسلّح بالفكر والقناعة ولم ينزلق في مزالق هوى النفس الأمّارة بالسوء، ولا يكون ذلك الا بالهبة من الله سبحانه وهو الوهّاب.

٣ ـ اتّباع النبيّ محمد ﷺ باتّباع سنته المطهرة في الحياة حيث طبّق الشريعة

---

(١) قد يكون المراد بالجمعة هنا: الأسبوع تسمية للكل باسم الجزء، ومنه ما ورد: «إن الله تعالى في كل يوم جمعة ستمائة ألف عتيق يعتقهم من النار كلهم قد استوجبوا النار». وفي فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ للمناوي ـ ج ٢ ـ ص٦١١: قيل أراد بالجمعة الأسبوع عبر عن الشيء بآخره لأنه مما يتم به ويوجد عنده... والظاهر أن المراد بالستمائة ألف التكثير وأنهم فوق ذلك بكثير ورحمته سبقت غضبه، فإن فرض إرادة التحديد فجملة ذلك ثمانية عشر ألف ألف إن كان رمضان كاملاً فإن كان ناقصاً فيكون سبعة عشر ألف ألف وأربعمائة ألف.

٤ ـ لا خلف لقوله، والخلف: مخالفة الوعد، فإنّه تعالى صادق الوعد.

٥ ـ لا تبديل في قوله النافذ؛ لأنّ ارادته تعالى حقّ، فتكون نافذة ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾[١] فلا يتحقق التوحيد من دون اعتقاد جازم بهذه الخصوصيات المقوّمة لحقيقة التوحيد.

ثم ذكر مقوّمات الرسالة بالاوصاف المختصة بالرسول الاعظم محمد ﷺ، وهي:

١ ـ العبودية لله (عبدك).

٢ ـ الرسالة (ورسولك) حيث اختاره الله سبحانه لتحمّل الرسالة الإلهيّة.

٣ ـ الاداء بالقيام بالمسؤولية الرسالية الملقاة على عاتقه خير قيام.

٤ ـ الجهاد (وجاهد) في تطبيق حكم الله في الأرض بالجهاد المطلوب حسب الظروف.

٥ ـ التبشير بالحق وما يترتب على العمل بالحق من الثواب في الدنيا والآخرة.

٦ ـ الانذار بالوعيد الصادق عن العقاب الأبدي في الآخرة نتيجة لعمل الإنسان في الدنيا.

ولا تتحقق الرسالة على حقيقتها الا بهذه المقوّمات الاساسية الّتي جعلت الرسالة المحمدية تبلغ أقصى حدود العالم المتحضّر آنذاك.

والعقيدة الإسلامية الاصيلة تتقوم بالشهادتين، وقد تكفلت كتب العقائد والكلام تفصيل هذه المقوّمات.

[٣/٦٧ ـ تَوْفِيقَ الْجُمْعَاتِ]:

اللَّهُمَّ ثَبِّتِنِّي عَلَى دِينِكَ مَا أحيَيتَنِي، وَلَا تُزِغْ قلبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيتَنِي، وَهَب لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّاب.

---

(١) القرآن الكريم، سورة يونس ١٠: ٦٤.

[الدعاء الثامن والستّون]

دُعاء يوم السبت

(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

/١/٦ ـ فضل البسملة]:

بِسْمِ اللَّهِ كَلِمَةَ الْمُعْتَصِمِينَ، وَمَقَالَةَ المتَحَرِّزِين[١]، وَأَعُوذُ بِاللهِ الَى مِنْ جَوْرِ الْجَائِرِينَ، وَكَيْدِ الْحاسِدِينَ، وَبَغْيِ الظّالِمِينَ[٢]، وَأُحَمَدُهُ قَ حَمْدِ الحَامِدِينَ.

السبت ـ لغة ـ: القطع للاستراحة، وهو اليوم السابع والاخير من أيام أسبوع.

استفتح هذا الدعاء الاخير من الأيام السبعة بالبسملة مما قد يظهر انه أُنشىء شكل منفصل عن الادعية الّتي سبقته، وقد عقّب ذلك بصفتين من اوصاف بسملة، وهما:

أولاً: ان البسملة (كلمة المعتصمين) وسواءً كانت الباء للابتداء أو الاستعانة و غيرهما من المعاني المشروحة في التفاسير، فإنّ البسملة شعار المسلمين، وبها ستفتح كل يوم أيّ عمل يقوم به؛ اذعاناً بالاعتصام بحبل الله سبحانه في سلوك لإنسان.

ثانياً: ان البسملة هي (مقالة المتحرّزين) والحرز: الحفظ؛ فاذا اعتمد

---

١) في بعض النسخ: «المحترّزين». والمتحرّزين: المتحفّظين.

٢) في بعض النسخ: «الطاغين».

كاملة من الولادة إلى الوفاة، وقد جعل الله سبحانه ذلك دستوراً عملياً بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[١].

٤ ـ حبّ النبيّ ﷺ بأن يصبح الإنسان من شيعته، وهي ـ لغة ـ المحبّ، ولا يكون الحبّ صادقاً إلّا باتباع الطريقة الّتي سلكها في الحياة عمليا في نفسه وأُسرته وصحبه ومجتمعه.

٥ ـ الحشر في زمرة النبيّ ﷺ في الآخرة على أثر العمل بالثوابت الإسلامية في الدنيا.

٦ ـ أداء فرض الجمعات، ومنها: فريضة صلاة الجمعة المشروحة في الفقة. راجع المادة في معجم الأحاديث.

٧ ـ الطاعات المفروضة في الجمعات من العبادات وعمل الخير للنفس والاسرة والمجتمع، باعتبارها يوم عيد أُسبوعي.

٨ ـ العطاء يوم الجزاء الذي يترتب على العمل في هذا اليوم.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأحزاب ٣٣: ٢١.

عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَنْ تُوزِعَنِي مِنْ شُكْرِ نَعمَاكَ[١] مَا تَبلغ بِي[٢] غَايَةَ رِضاكَ، وَأَنْ تَعِينَنِي عَلَى طَاعَتِكَ، وَلُزُومِ عِبَادَتِكَ وَاسْتِحْقَاقِ مَثُوبَتِكَ بِلُطْفِ عِنَايَتِكَ، وَتَرْحَمَنِي بِصَدِّي[٣] عَنْ مَعَاصِيكَ مَا أَحيَيْتَنِي، وَتُوَفِّقَنِي لِمَا يَنفَعُنِي مَا أَبقَيتَنِي، وَأَنْ تَشْرَحَ بِكِتَابِكَ صَدْرِي، وَتَحُطَّ بِتِلاوَتِهِ وِزرِي، وَتَمْنَحنِي السَّلَامَةَ فِي دِينِي وَنَفْسِي، وَلَا تُوحِشَ بِي أَهلَ أُنسِيَ، وَتُتِمَّ إحسَانَكَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمرِي كَمَا أَحْسَنتَ فِيمَا مَضَى مِنْهُ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وختم الدعاء بما يحدد مسؤوليات الإنسان في الحال والمستقبل.

ففي الحال: من مسؤولية الإنسان المسلم تصحيح الاعتقاد، وأشار هنا إلى اصول الاعتقاد، وهي:

١ ـ الاعتقاد بالله الواحد بلا شريك.

٢ ـ الملك بلا تمليك.

٣ ـ ذو الحكم النافذ لله تعالى، بلا مضاد.

٤ ـ الملك التام في الحكم بلا منازع.

فإنّ الحكومات الوقتية تتبع مصالحها، وهي تتغير حسب الظروف والأحوال، فيصبح العدّو صديقاً للمصلحة وينقلب الصديق عدواً للمصلحة، وحكم الله ثابت لا يتغيّر، لأن الحق حقّ والنور نور، ولا تبديل لكلمات الله تعالى.

فإذا آمن الإنسان المسلم بالثوابت الإسلامية النابعة عن الاعتقاد الصحيح فلابدّ أن يتبعها بالسلوك الصحيح والعمل الصحيح في الحياة.

وفي المستقبل:

---

(١) في بعض النسخ: «نعمائك».

(٢) في بعض النسخ: «ما تبلغه»، وفي بعض النسخ: «ما يبلغ».

(٣) في بعض النسخ: «وترحمني وتصدّني»، وبصدّي: أي بمنعي.

الإنسان الماديّ في الحفظ على الوسائل الماديّة، فالمسلم يعتمد في قوله على الله سبحانه ويتابع ذلك عملا، ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1].

ثم استعاذ من أُمور ثلاثة لا يخلو منها حياة الإنسان عادة، وهي:

١ ـ (جور الجائرين) والجور: الميل عن الاعتدال، ومن أجل الوساوس الشيطانية يقع الإنسان فريسة للرغبات النفسية والميول الشخصية، فيحيد عن طريق الصواب للمغريات المؤثرة في النفوس الضعيفة، ولا مفر منها سوى الاستعاذة بالله.

٢ ـ (كيد الحاسدين) والحسد هو السعي في ازالة النعمة عن الآخر، والحاسد لضعفه النفسي وقصوره في السعي. للحصول على ما حصل عليه المحسود بالطرق المشروعة بالغبطة المحمودة، فهو يحاول الكيد، وهو المكر والخديعة، بأن يسلب النعمة عن واجدها بالحسد المذموم، ولو أنه بذل نفس النشاط الذي يبذله في المكر، في الحصول على تلك النعمة أو في عمل آخر لكان انفع لنفسه ولمجتمعه؛ فإنّ الحسد يستنفذ قوى الحاسد نفسه فيما لا ينتفع به، فيكون ضرره على نفسه أكثر من ضرره على الآخرين.

٣ ـ (بغي الظالمين) والظلم: تجاوز الحد ويستلزم البغي، وهو التطاول على الحق عالماً عامداً.

وهذه الآثار الاجتماعية تعبّر عن أصالة الاعتقاد في الإنسان الملتزم؛ فإنّ الشيطان لا يستخدم هذه الوسائل النافذة إلّا بقدر قيمة الأصالة في عمل الإنسان، ولا يمكن التغلّب عليها إلّا بالاعتصام بالله والاستعاذة به من شياطين الإنس والجنّ بالاستمرار في أداء الدور المسؤول.

وختم المقطع بالحمد لله فوق حمد الحامدين.

[٢/٦٨ ـ خاتمة الدعاء]:

اللّهُمَّ أَنْتَ الْواحِدُ بِلَا شَرِيكٍ، وَالْمَلِكُ بِلَا تَمليكٍ، لَا تُضَادُّ فِي حُكْمِكَ، وَلَا تُنَازَعُ فِي مُلْكِكَ، أَسَأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ

(١) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢: ٦٤.

هي من الواجبات الإسلامية، وهناك تلازم بين الدين والعلم، فقد ورد في حديث: «ان العلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان»[١].

١٣ ـ الأنس في الحياة بمن يشارك الإنسان في اهدافه وسلوكه.

١٤ ـ الإحسان في الحياة من الله سبحانه بالاستمرار على أداء الدور لمسؤول عنه في كل مرحلة من مراحل العمر. من سنّ التكليف الشرعي وحتى خر لحظة من الحياة، كما يقتضيه خلق الإنسان المكرم بالعقل على سائر لحيوان.

فإنّ هذه النقاط الاربعة عشر تمثّل الثوابت الإسلامية في سلوك الصراط لمستقيم في الحياة، وحسب درجات الالتزام بها تتقوم درجات المجتمع لإسلامي من القاعدة إلى القمّة. قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٢].

قال الجلالي: إلى هنا انتهت النسخة الّتي اعتمد عليها السيد المشكاة في طبعته المؤرخة سنة ١٣٦١، والتي اعتمد فيها على نسخة المولى محمد تقي المجلسي، المؤرخة ١٠٥٨، وقد جاء في آخرها ما نصّه: «قد تمّ استنساخ هذه النسخة الشريفة في طهران، عاصمة إيران، باهتمام العبد محمد بن احمد الآخوندي، وكتابته بيد العبد المحتاج الحاج احمد الزنجاني النجفي، في ضحوة يوم الجمعة، رابع صفر الخير، سنة إحدى وستين وثلاثماءة بعد الألف من الهجرة النبويّة».

---

(١) كنز الفوائد؛ للكراجكي: ٢٣٩.

(٢) القرآن الكريم، سورة المجادلة ٥٨: ١١.

تتحدّد مسؤولية المسلم بالعمل بالثوابت الإسلامية لسلوك الصراط المستقيم في الحياة، وقد أشار إلى الثوابت الإسلامية التي يجب أن يتعاهدها المسلم في حياته، وهي:

١ ـ الصلاة على النبيّ محمد ﷺ المنفّذ لحكم الله على الأرض بالعبادة والرسالة، وهو اسوة للمسلمين عامة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

٢ ـ الشكر لله بما يرضي الله، على النعماء الّتي أقلّها نعمة الحياة، وهو يوجب الزيادة فإنّ الله تعالى قال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2].

٣ ـ الطاعة لله باعمال الخير الّتي يعود نفعها على المجتمع الإسلامي ككل.

٤ ـ العبادة لله وحده الّتي يعود نفعها على الإنسان أوّلاً، ثم على المجتمع باعداد العضو الصالح فيه.

٥ ـ الثواب، وهو الجزاء على العمل الصالح وذلك بلطفه تعالى وعنايته.

٦ ـ الرحمة، فمن لا يرحم الناس لا يرحمه الله برحمته الواسعة.

٧ ـ الصدّ عن المعصية، والاجتناب عنها لا يكون الّا بالقدرة على ذلك بإرادة الله.

٨ ـ التوفيق في الحياة، وهو النجاح في اداء الدور المسؤول بما فيه النفع على النفس وبالنتيجة على المجتمع.

٩ ـ الاهتداء بالقرآن الكريم كمصدر فكريّ للسلوك، وبذلك يكون انشراح الصدر كناية عن الراحة النفسية.

١٠ ـ تلاوة القرآن؛ فإنّ التلاوة تذكير بالتاريخ واعتبار بالاحداث وآثارها في الحياة.

١١ ـ السلامة في الدين لمعرفة الحقائق من منابعها الإسلامية الأصيلة.

١٢ ـ السلامة في النفس بما تتطلّبه الصحة العامة، بالوقاية عن العاهات

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأحزاب ٣٣: ٢١.

(٢) القرآن الكريم، سورة إبراهيم ١٤: ٧.

لمضطرين، ويا من يرى من وقف بين يديه ويقبل التوبة ممّن أناب اليه، أحمدك على تتابع نعمائك، وتواتر الآئك، واسألك أن تصلّي على سيد المرسلين خير خلقك محمّد وآله أجمعين[١].

وبعد، فلما كان الله سبحانه قريباً من عباده الذين تخشع له قلوبهم عند توجههم إليه، ودانياً من محبيه الذين يخضع له أبدانهم حين وقفوا بين يديه، وحاضراً عند مخلصيه الذين عمشت أعينهم من البكاء لديه، حيث روي عن المفضّل بن عمر، قال: سمعت مولاي الصادق (عليه الصلاة والسلام) يقول: فيما ناجى عزّوجل به موسى بن عمران عليه السلام، قال له: يا بن عمران، كذب من زعم أنّه يحبّني، فإذا جنّه الليل نام عنّي، أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه؟ ها أنا ذا ـ يا بن عمران ـ مطّلع على أحبّائي، إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم إليّ من قلوبهم، ومثّلت عقوبتي بين أعينهم، يخاطبونني عن المشاهدة، ويكلمونني عن الحضور.

يا بن عمران، هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينيك الدموع في ظلم الليل، فإنك تجدني قريباً»[٢].

وكانت الأدعية الّتي نقلت عن سيد العابدين زين الموحّدين أبي الائمة الطاهرين عليّ بن الحسين عليه وعلى آبائه صلوات الله ربّ العالمين ممّا يجعل ذريعة لحصول الصفات المذكورة في الحديث، المطلوبة للحبيب، ناسب للراجين المناجين ربهم، المحبين المريدين خلوة حبيبهم، أن يدعوا الله سبحانه بها، ويداوموا على ذلك بكلّ واحدة منها، وهو وليّ التوفيق وبيده أزمّة التحقيق، وهي خمس عشرة مناجاة.

---

(١) في بعض النسخ: «الطاهرين».

(٢) في أمالي الشيخ الصدوق: ٤٣٨، الحديث ٥٧٧، مثله، وفي آخره ما نصه: يا بن عمران، كذب من زعم أنه يحبني فإذا جنه الليل نام عني، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه، ها أنا ذا ـ يا بن عمران ـ مطلع على أحبائي، إذا جنهم الليل حولت أبصارهم من قلوبهم، ومثلت عقوبتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة، ويكلموني عن الحضور. يا بن عمران، هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينيك الدموع في ظلم الليل، وادعني فإنك تجدني قريباً مجيباً.

المناجيات الخمسة عشر

النجوى ـ لغة ـ السرّ، والمناجاة: المسارة بما في قلب الإنسان حيث لا يكون إلّا لمن يوثق به وثوقاً كاملاً، والنجوى ـ كما تقتضيه العناوين ـ يستلزم ان تتلى هذه المناجاة الخمسة عشر سراً؛ لكي تكون مسارّة بين الإنسان وربّه.

وأنّ هذه المناجاة الخمسة عشر لم ترد في المعتمدة المطبوعة عام ١٣٦١هـ، والتي طبعها السيد المشكاة إعتماداً على نسخة العلامة محمد تقي المجلسي المؤرخة ١٠٥٨هـ.

ولكن هذه المناجاة الخمسة عشر بأكملها وردت في نسخة أُخرى في مكتبة السيد المشكاة بخط غلام علي الشهير بـ «محمد أمين» بتاريخ ١٠٧٩، كما هي أيضاً مذكورة في بعض الطبعات.

وقد أوردتها بالتسلسل اعتماداً على نسخة محمد أمين المؤرخة ١٠٧٩، والتي وصفتها بتفصيل في «الدراسة المنيفة»، فليراجع[١].

ولا يخفى ان عناوين المناجاة الخمسة عشر جاءت في النسخة المعتمدة مع حرف الجر، فعنوان المناجاة الأولى هو: المناجاة الأولى للتائبين، وهكذا إلى آخر المناجاة الخامسة عشر للزاهدين، وليست على سبيل الاضافة؛ وذلك يكشف عن أنّها كتبت لكل طائفة من التائبين والزاهدين بالخصوص، باعتبارها دروساً عملية للسير على خطى التائبين، ومن أراد ان يتوب فعليه ان يقرأ هذا الدعاء ويتّخذه درساً عمليا للتوبة، ومن يروم الزهد كذلك يقرأ المناجاة الخاصة التي أُعدّت للزاهدين.

هذا، وقد جاء في مقدمة المناجاة (الورقة ١٤١/ الف)، ما نصّه: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم يا من يسمع أصوات الدّاعين، ومجيب دعوات

---

(١) راجع: دراسة حول الصحيفة السجادية: ص ٤٥، ط/قم، ١٤٢٢هـ.

والعمل، فإنّ العلم بقبح الذنب يستلزم حالة الندم على ما صدر منه من الذنوب، وهذه الحالة تستلزم العمل على تركها والتخلّص من آثارها، الّتي أوّلها: الندم على ما مضى، وتدارك ما قصّر في خصوص حقّ الله وحقوق الناس، وبدون ذلك لا يكون تائباً حقيقة.

واستفتح الدعاء باستعراض حالات التائب الّتي يعيشها حين التوبة، ثم سرد صفات الله سبحانه الّتي تقتضي قبول التوبة، وختمه بطلب القبول لما تقتضيه المقارنة بين حالة الداعي التائب والصفات الإلهيّة.

واستعرض في المقطع الأوّل من حالات التائب ما يلي:

١ ـ ان ثوب المذلّة، وهي الهوان، قد شمل الإنسان التائب بسبب الخطايا الّتي ارتكبها، وأن أثر ذلك ملتصق بالإنسان لا يفارقه كالثوب.

٢ ـ إنّ لباس المسكنة، وهي الفقر المقرون بالذلّ قد جلّل التائب، أي غطّاه تماماً، فهو ذليل للذنوب وفقير إلى ما يمحيها، وقد أبعده الغطاء بالذنوب عن القرب إلى الله.

٣ ـ ان الجناية بارتكاب الذنوب قد أماتت قلب التائب؛ فإنّ القلوب تعمر بالعمل الصالح وتموت بالذنوب، فلا مخرج لها سوى إحيائها بالتوبة ممن بيده الأمر بالإحياء، لقدرته على ذلك، وهو المسؤول في ذلك دون سواه، والمُنْية منه هو تحقيق ما يتمنّاه التائب.

٤ ـ انه لا غافر سوى الله لتغيير حالة التائب، فإنّ العاصي قد تعدّى على حقوق الله، وليس لأحد سوى صاحب الحق ان يتجاوز عن حقوقه.

٥ ـ انه لا جابر لانكسار شخصية الإنسان المعنوية بعد المعصية سوى الله سبحانه، حيث أنّ قبول التوبة بيده دون غيره، فلا مغيّر لحالته سواه تعالى.

٦ ـ قد خضع التائب بالإنابة، أي الرجوع إلى الله باتباع حكمه سبحانه دون سواه.

٧ ـ التعفير بالاستكانة إلى الله، وهو التمريغ بالتراب بالسجود لله وحده.

[الدعاء التاسع والستّون]

المناجاة الأولى للتائبين

(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

[١/٦٩ ـ حالة التائب]:

إلهِي، أَلْبَسَتْنِي الْخَطايا ثَوْبَ مَذَلَّتي، وَجَلَّلَنِي التَّباعُدُ مِنْكَ لِباسَ مَسْكَنَتي، وَأَماتَ قَلْبي عَظيمُ جِنايَتي، فَأَحْيِهِ بِتَوْبَةٍ مِنْكَ يا أَمَلي وَيا بُغْيَتي[١] وَيا سُؤْلي وَمُنْيَتي، فَوَعِزَّتِكَ ما أَجِدُ لِذُنُوبي سِواكَ غافِراً، وَلا أَرى لِكَسْري غَيْرَكَ جابِراً، وَقَدْ خَضَعْتُ بِالإِنابَةِ إِلَيْكَ وَعَنَوْتُ[٢] بِالِاسْتِكانَةِ[٣] لَدَيْكَ، فَإِنْ طَرَدْتَني مِنْ بابِكَ فَبِمَنْ أَلُوذُ؟!، وَإِنْ رَدَدْتَني عَنْ جَنابِكَ[٤] فَبِمَنْ أَعُوذُ، فَوا أَسَفاهُ مِنْ خَجْلَتي وَافْتِضاحي، وَوالَهْفاهُ مِنْ سُوءِ عَمَلي وَاجْتِراحي![٥].

التوبة ـ لغة ـ الرجوع، واصطلاحاً: الرجوع عن المعصية بالندم على الذنب.

والتائب لا يكون تائباً إلّا بعد حصول حالات ثلاث له، هي: العلم والحال

---

(١) بغيتي: رغبتي.

(٢) كذا في (ط): «وعفّرت»، وفي هامش (ط) في نسخة: «وعنوت».

(٣) عنوت بالاستكانة: تذللت بالخضوع.

(٤) جنابك: فنائك.

(٥) اجتراحي: اكتسابي.

٣ ـ طلب الهبة، وهي العطاء بدون مقابل، فالله سبحانه هو ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾[١]، وله سبحانه أن يهب التائب موبقات الجرائر، وهي الذنوب المهلكة.

٤ ـ طلب الستر، أي التغطية على الذنوب الّتي يسرّها الإنسان، والتي لا يعلمها إلّا الله، فإنّه تعالى ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾[٢]؛ وإنّ كشفها يوجب الفضيحة.

٥ ـ طلب العفو، فإنّه تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

٦ ـ طلب المغفرة، فـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[٣].

٧ ـ الصفح، وقد قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[٤].

٨ ـ الستر على العيوب الخافية في المجتمع؛ فإنّ كشفها يوجب انعدام الثقة في المجتمع، ويكون حال الإنسان حال الاموات.

وهذه الصفات الإلهيّة تستوجب ان تشمل حال التائب المفتقر اليها في تغيير حالته التي يعيش فيها، وقد أقدم على تغييرها بالرجوع إلى الله.

[٣/٦٩ ـ مقتضيات القبول]:

وفي المقاطع السبعة المتتالية أشار عليه السلام إلى مقتضيات القبول للتوبة، وهي:

[٣/٦٩ ـ أولاً: رحمة الله]:

إلهي، ظَلِّلْ على[٥] ذُنُوبي غَمائمَ رَحْمَتِكَ، وَأَرْسِلْ عَلى عُيُوبي سَحائِبَ رَأْفَتِكَ.

فإنّ رحمة الله الواسعة لكل شيء تقتضي أن تسع حالة التائب حتى تكون

---

(١) القرآن الكريم، سورة ص ٣٨: ٩.
(٢) القرآن الكريم، سورة طه ٢٠: ٧.
(٣) القرآن الكريم، سورة الزمر ٣٩: ٥٣.
(٤) القرآن الكريم، سورة النور ٢٤: ٢٢.
(٥) كذا في حاشية (ط)، ولم ترد في (ط): «على».

٨ ـ لا ملاذ سوى الله، واللواذ: الالتجاء لرفع المشكلة الّتي يعيشها التائب؛ فإنّ ردّ التوبة منه سبحانه يجعل التائب بلا ملجأ يلتجئ إليه.

٩ ـ لا معاذ سوى الله، والاستعاذة: الاعتصام، فإنّ ردّ الله التائب وطرده من بابه يوجب سقوطه، فإنّه لا يكون له من يعتصم به للخروج من حالته غير الله.

١٠ ـ الاعتراف بالأسف على الذنب والخجل من ارتكابه، والافتضاح والفضيحة: كشف المساوئ، واللهف، وهو التحسّر على سوء العمل والسيئة التي ارتكبها.

وهذه حالات تفتقر إلى العطف والرحمة، وليس لها إلّا الله سبحانه ورحمته الواسعة لقبول التوبة.

[٢/٦٩ ـ صفات الله]:

أَسْأَلُكَ يا غافِرَ الذَّنْبِ الْكَبيرِ، وَيا جابِرَ الْعَظْمِ الْكَسيرِ، أَنْ تَهَبَ لي مُوبِقاتِ الْجَرآئِرِ[(١)]، وَتَسْتُرَ عَلَيَّ عظيمات[(٢)] السَّرآئِرِ، وَلا تحرمني[(٣)] في مَشْهَدِ الْقِيامَةِ مِنْ بَرْدِ عَفْوِكَ[(٤)]، وَلا تُعْرِني[(٥)] مِنْ جَميلِ صَفْحِكَ وَسِتْرِكَ.

وخصّ في هذا المقطع صفات الله تعالى الّتي تستوجب قبول التوبة، ومنها:

١ ـ (غافر الذنب الكبير) حيث قال تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[(٦)].

٢ ـ (جابر العظم الكسير) بالذنوب، وجبره بقبول التوبة.

---

(١) موبقات الجرائر: مهلكات الذنوب.

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «فاضحات».

(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «ولا تخليني».

(٤) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «غفرك».

(٥) تعرني: تجردني.

(٦) القرآن الكريم، سورة الزمر ٣٩: ٥٣.

الندم والاستغفار، ولا يزال يستمر في هذا السبيل حين لا يتيسّر له سبيل آخر سوى العتبى، وهي الاسترضاء.

[٦/٦٩ ـ رابعاً: عظمة الله]:

إلهي، بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ تُبْ عَليَّ، وَبِحِلْمِكَ عَنّيِ أعْفُ عَنّي، وَبِعِلْمِكَ بي إرْفَقْ بي.

فإنّ عظمة تعالى تقتضي قبول التوبة، وقد تجلّت عظمته تعالى في الخلق على أنواع، منها:

١ ـ القدرة، فهي المقتضية لقبول التوبة من العاصي، فـ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

٢ ـ العلم، المقتضي للعفو عن التائب، فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٢].

٣ ـ العلم بضعف حال التائب، يتأمّل الرفق به، فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

[٧/٦٩ ـ خامساً: فتح باب التوبة]:

إلهي، أَنْتَ الَّذي فَتَحْتَ لِعِبادِكَ باباً إِلَى عَفْوِكَ سَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ، فَقُلْتَ: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[٤]، فَما عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ الْبابِ بَعْدَ فَتْحِهِ[٥]؟!.

وقد فتحه الله سبحانه في وجه عباده الخاطئين، ومنه التائب، وليس هناك عذر لمن اغفل عن دخول باب التوبة بعد فتحه، والتائب بتوجّهه إلى هذا الباب المنفتح للخلق اجمعين يأمل شمول الوعد له بقبول توبته.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الطلاق ٦٥: ١٢.

(٢) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ١٥٥.

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنفال ٨: ١٧.

(٤) القرآن الكريم، سورة التحريم ٦٦: ٨.

(٥) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «فتحها».

غمائم الرحمة الإلهيّة أظلّة على ذنوب التائب لكي يعيش التائب في ظلّ رحمة الله الواسعة، وسحائب رأفته تعالى هي شدة الرحمة الشاملة لحالة التائب المحتاج إلى ماء المزن الطاهر من ينبوع الرحمة الواسعة لتطهيره من آثار الذنوب.

[٦٩/٤ ـ ثانياً: ولاية الله]:

إِلهي، هَلْ يَرْجِعُ الْعَبْدُ الآبِقُ[١] إِلّا[٢] إِلَى مَوْلاهُ؟! أَمْ هَلْ يُجيرُهُ مِنْ سَخَطِهِ أَحَدٌ سِواهُ؟!.

فالله سبحانه هو المالك للعباد الذين خلقهم بقدرته، وقدّرهم على العمل ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٣] والعبد في الحياة الدنيا لو أبق وفرّ من مولاه لا يكون له مرجع يرجع اليه إلّا بالرجوع إلى مولاه، والتائب في حالته كالعبد الآبق لا مرجع له سوى الله، حيث لا مجير له من سخط الله سبحانه أحد سوى الله تعالى.

[٦٩/٥ ـ ثالثاً: رضى الله]:

إِلهي، إِنْ كانَ النَّدَمُ من الذَّنْبِ تَوْبَةً[٤]، فَإِنّي وَعِزَّتِكَ مِنَ النّادِمينَ، وَإِنْ كانَ الإِسْتِغْفارُ مِنَ الْخَطيئَةِ حِطَّةً، فَإِنّي لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرينَ، لَكَ الْعُتْبى[٥] حَتّى تَرْضى.

وحيث لا يمكن للتائب المخرج عن حالته سوى رضى الله تعالى، فهو يسلك السبيل المتيسّر له للوصول إلى رضى الله، وهو الندم من الذنب المعتمّد والاستغفار من الخطيئة غير المتعمّدة، لكي تنحط الذنوب، أي تنزل بسبب كلّ من

---

(١) الآبق: الهارب من سيده.
(٢) لم ترد في بعض النسخ: «إلّا».
(٣) القرآن الكريم، سورة الإنسان ٧٦: ٣.
(٤) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة زيادة: «علي».
(٥) العتبى: المؤاخذة.

فَاسْتَجِبْ دُعآئي، وَلا تُخَيِّبْ فيكَ رَجآئي، وَتَقَبَّلْ تَوْبَتي، وَكَفِّرْ[١] خَطيئَتي يا ربّ العالمين[٢]، بِمَنِّكَ وَرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ[٣].

وختم الدعاء بهذا المقطع الأخير بالتوبة، وقد قدّمها بثلاث أمور تشير إلى ما تقدم في المقاطع السابقة من حالات الرأفة الإلهيّة والصفات الإلهيّة الاخرى ومقتضيات القبول، وهي:

١ ـ (يا مجيب المضطرّ) فإنّ التائب في حالة الاضطرار.

٢ ـ (يا كاشف الضرّ) فلا كاشف للضرّ سوى الله، ومنه ضرّ التائب.

٣ ـ (يا عظيم البرّ) الذي عمّ المخلوقين، ومنها التائب.

٤ ـ (يا عليماً بما في السرّ) ومنه النية الصادقة في التوبة من التائب.

٥ ـ (يا جميل الستر) على العيوب والذنوب، ومنها: ذنوب التائب.

واستفتح في قبول التوبة بما يقتضي ذلك، وعدّد منها:

١ ـ جود الله.

٢ ـ كرم الله.

٣ ـ الوسيلة إلى الله بالله تعالى.

٤ ـ رحمة الله الواسعة على كلّ شيء.

فإنّ هذه مقتضيات لاستجابة الدعاء وقبول التوبة الصادقة، والتكفير عن الخطايا برحمته ومغفرته، إنّه هو التوّاب الرحيم.

---

(١) كفّر: امح.

(٢) في بعض النسخ، كتب فوق عبارة: «يا رب العالمين»: نسخة.

(٣) كذا في حاشية (ط)، وكتب على عبارة: «بِمَنِّكَ وَرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ» نسخة.

[٨/٦٩ ـ سادساً: عفو الله]:

إِلهي، إِنْ كانَ قَبُحَ الذَّنْبُ مِنْ عَبْدِكَ[١] فَلْيَحْسُنِ الْعَفْوُ مِنْ عِنْدِكَ.

فإنّ الذنب قبيح في نفسه، ويقبح من العبد الذي ارتكبه لنقص في ذاته، والله سبحانه عفوٌّ. والعفوّ صفة الذات المقدسة، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[٢] ويقتضي حسن العفو من عند الله تعالى أن يحب التائب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾[٣].

[٩/٦٩ ـ سابعاً: جود الله]:

إِلهي، ما أَنَا بِأَوَّلِ مَنْ عَصاكَ فَتُبْتَ عَلَيْهِ، وَتَعَرَّضَ لِمَعْرُوفِكَ فَجُدْتَ عَلَيْهِ.

ومن مظاهر جوده تعالى وكرمه أن يقبل التوبة ممّن سبق هذا المذنب من العصاة ابتداء من آدم أبو البشر إلى من تاب بعده ممّن تأخرّ عنه، فقد شملهم جميعاً جوده تعالى، فالتائب في حالته الّتي فيها ليس وحيداً، وهذا أمر يقتضي قبول توبته أيضاً.

[١٠/٦٩ ـ ختم دعاء التوبة]:

يا مُجيبَ الْمُضْطَرِّ، يا كاشِفَ الضُّرِّ، يا عَظيمَ الْبِرِّ، يا عَليماً بِما فِي السِّرِّ، يا جَميلَ السِّتْرِ، اِسْتَشْفَعْتُ إِلَيْكَ[٤] بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ[٥]، وَتَوَسَّلْتُ إليك[٦] بِجنابِكَ[٧] وَرحمتِكَ[٨] لَدَيْكَ[٩].

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «عندي».
(٢) القرآن الكريم، سورة المجادلة ٥٨ : ٢.
(٣) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢ : ٢٢٢.
(٤) لم ترد في بعض النسخ: «إليك».
(٥) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة زيادة: «إليك».
(٦) كتب في (ط) على كلمة: «إليك» نسخة.
(٧) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «بِجَنانِكَ».
(٨) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «وَتَرَحُّمِكَ».
(٩) لم ترد في بعض النسخ: «لديك».

فإنّ الشكوى إلى المخلوقين شرك خفيّ، والصبر من دون شكوى كبتٌ نفس، وقد أمر سبحانه بالدعاء حتى ينفّس المشتكي عن نفسه من دون كبت، شار الإمام عليه السلام في الصحيفة السجادية إلى الأمرين بقوله: «اللهم لا اشكو إلى حد سواك، ولا أستعين بحاكم غيرك، حاشاك»[١] حيث تخلّص من الأمرين معاً: ن الشرك الخفيّ والكبت.

ويشمل الدعاء الشكوى من النفس والشيطان في القلب، ثم الاعتصام بالله لدعاء بالفرج.

واستفتح الدعاء بالشكوى من النفس الإنسانية؛ فانها بطبعها مائلة إلى هوى، ومعرضة عن العقل؛ لأنّ العقل عقال لها، ومتابعة الهوى اطلاق سراحها، وقد أكّد القرآن الكريم على التلازم بين الخوف من الله ونهي النفس عن هوى في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[٢]. وروي بالاسناد عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام: «إياك أن تتبع النفس راها؛ فإنّ في هواها رداها، وترك هواها دواؤها»[٣].

وسرد في المقطع الأوّل صفات النفس الموجبة للشكوى، وهي:

١ ـ الأمر بالسوء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾[٤].

٢ ـ المبادرة إلى الخطيئة، وهي تجاوز الصواب عن غير عمد.

٣ ـ الولع بالمعصية، وهي الخروج عن الطاعة عن علم وعمد.

التعرّض لسخط الله، والسخط: الكراهة، والتعرّض له: ارتكاب ما يوجبه.

٥ ـ السلوك في مسالك المهالك، والسلوك: الدخول، والهلاك: الموت.

---

(١) راجع الجزء الأول، ص٢٨١، من هذا الكتاب، الدعاء: ١٤، المقطع ٧.
(٢) القرآن الكريم، سورة النازعات ٧٩: ٤٠.
(٣) مشكاة الأنوار، للطبرسي: ص٤٣٠، ح١٤٢٩.
(٤) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢: ٥٣.

[الدعاء المتمّم للسّبعين]

المناجاة الثانية للشاكين

(بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

[١/٧٠ ـ مناجاة الشاكين]:

إِلهي، أَشْكُو إِلَيْكَ[١] نَفْساً بِالسُّوءِ أَمّارَةً[٢]، وللهوى مطيعة، وَإِلَى الْخَطيئَةِ مُبادِرَةً، وَبِمَعاصيكَ مُولَعَةً، وَلِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تَسْلُكُ بي مَسالِكَ الْمَهالِكِ، وَتَجْعَلُني عِنْدَكَ أَهْوَنَ هالِك، كَثيرَةَ الْعِلَلِ[٣]، طَويلَةَ الْأمَلِ، إِنْ مَسَّهَا الشَّرُّ تَجْزَعُ، وَإِنْ مَسَّها الْخَيْرُ تَمْنَعُ، مَيّالَةً إِلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، مَمْلُوَّةً بِالْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، تُسْرِعُ بي إِلَى الْحَوْبَةِ[٤]، وَتُسَوِّفُني[٥] بِالتَّوْبَةِ.

الشكوى ـ لغة ـ: التوجّع بالاخبار عمّا يصيب من المكروه، وشكوى الداعي إلى الله وحده بالصبر على المكروه حتى يجعل سبحانه لذلك مخرجاً، كما قال يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٦].

---

(١) لم ترد في بعض النسخ: «إليك». وفي بعض النسخ: «إليك أشكو».

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة زيادة: «وللهوى مطيعة».

(٣) العلل: الحجج والأعذار.

(٤) الحوبة: الخطيئة.

(٥) تسوّفني: تماطلني.

(٦) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢: ٨٦.

[٢/٧٠ ـ الشكوى من الشيطان]:

إِلهي، أَشْكُو إِلَيْكَ[١] عَدُوّاً يُضِلُّني، وَشَيْطاناً يُغْويني، قَدْ مَلأَ بِالْوَسْواسِ صَدْري، وَاَحاطَتْ هَواجِسُهُ[٢] بِقَلْبي، يُعاضِدُ لِيَ[٣] الْهَوى، وَيُزَيِّنُ لي حُبَّ الدُّنْيا، وَيَحُولُ بَيْني وَبَيْنَ الطّاعَةِ وَالزُّلْفى.

وهذا المقطع يتضمّن الشكوى من الشيطان الذي لا خلاص من حبائله إلّا بالاخلاص في العبادة لله تعالى، وقد سرد من أوصافه:

١ ـ العداوة، وهي الخصومة[٤]، فإنّ الحقّ والباطل لا يتصالحان.

٢ ـ الإضلال، أي الإهلاك الذي هو نتيجة اتّباع الباطل عاجلاً أم آجلاً[٥].

٣ ـ الشيطنة، وهي المخالفة والتمرّد، وسمّي بذلك الشيطان لتمرّده على أوامر الرحمان.

٤ ـ الإغواء، وهو الإضلال والفساد[٦].

---

(١) في بعض النسخ: «أشكو إليك».

(٢) الهواجس: ما يخطر بالقلب.

(٣) كذا في (ط)، وكتب فوق كلمة «لي»: نسخة.

(٤) وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تحذّر من عداوة الشيطان، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة ٢: ١٦٨). وقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يوسف ١٢: ٥). وقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ (يس ٣٦: ٦٠ ـ ٦٢). وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الأنعام ٦: ١٤٢).

(٥) كما ورد في القرآن الكريم، سورة النساء ٤: ١١٨ ـ ١٢٠، من قوله: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

(٦) وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تحذّر من اغواء الشيطان، منها قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة ص ٣٨: ٨٢). وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة الحجر ١٥: ٣٩).

٦ ـ تسبب ان يصير الإنسان اهون هالك، والهوان: الذلّ؛ فإنّ فقدان الشخصية الإنسانية إنّما هي بسبب هوى النفس.

٧ ـ كثرة العلّة وهي المرض النفسي الذي يتسبب منه المرض الجسمي.

٨ ـ طول الأمل في الحياة، غير المضمونة لأحد.

٩ ـ الجزع للشرّ؛ لفقدان المناعة بالصبر على ما لا علاج له.

١٠ ـ المنع من الخير؛ لاهتمامها بالمصلحة الوقتية الزائلة، من دون نظر إلى العواقب.

١١ ـ الميل إلى اللعب، وهو فعل ما لا يجدي، وضدّه: الجدّ.

١٢ ـ واللهو، ما يلتذ الإنسان به ويشغله عن الجدّ والعمل.

١٣ ـ الامتلاء بالغفلة، وهي الإهمال عن عمد؛ للجهل بالحكم.

١٤ ـ الامتلاء بالسهو، وهو الاهمال بسبب نسيان الحكم.

١٥ ـ الاسراع إلى الحوبة، وهي الاثم والحزن الناتج عنه.

١٦ ـ التسويف بالتوبة، والتسويف كلمة مأخوذة من كثرة قول: «سوف اعمل»، وتعني المماطلة في التوبة.

وهذه الاوصاف الستة عشر لو اجتمعت تجعل الإنسان مطلق العنان في الحياة، بحيث لا يتحكّم فيه عقل ولا قانون، ويعيش عيشة الحيوانات وتحكمه شريعة الغاب، حيث يأكل فيه القويّ الضعيف، ويتهالك كل واحد على منافعه الشخصية من دون أي اعتبار لقانون العدالة في المجتمع أو اهتمام بالمستقبل في الحياة.

ومن هنا تكرّرت ادوات التأكيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[1] ولم يستثنِ منها إلّا شمول الرحمة الإلهيّة، وتواترت روايات اهل البيت على ذلك، منها: ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتّباع الهوى وطول الأمل»[2].

---

(١) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢: ٥٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٨. والمراد: هوى النفس.

فيما هو الصالح ليتخذ منهجاً في الحياة، وحيث إن الفكر الإنساني بحكم كونه مخلوقاً مادّياً يتأثر بالأسباب الماديّة، خصّ هذا المقطع بالشكوى منه، وسرد له من الاوصاف الموجبة للشكوى، ما يلي:

١ ـ القسوة، وهي الغلظة والصلابة في الشيء، وقسوة القلب: عدم التأثر بالارشاد الصائب.

٢ ـ الانقلاب: عدم الثبات على الثوابت بسبب الوساوس الشيطانية. والتقلّب: التحوّل من حال إلى حال.

٣ ـ الرين، وهو الغلبة بما لا طاقة للخروج منه، والتلبّس: الاختلاط حيث يصبح القلب مقروناً بغلبة الوسواس.

٤ ـ الطبيعة، وهي السجيّة الّتي جبل عليها الإنسان، فإنّ القلب محاط بما لا طاقة له على الخروج منها.

٥ ـ عدم الخوف من العاقبة، ويكشف عن ذلك آثاره، واهمها جمود العين من البكاء.

٦ ـ الطموح إلى السرور في الحال فقط، من دون التفكّر في العواقب والمآل؛ لما يقوم به من الاعمال والطموح بعد الطلب.

فإنّ هذه الآثار تعتري الفكر الإنساني؛ لأن الإنسان مخلوق مادّي ويترتب عليه الآثار الماديّة في الحياة الّتي تنظر إلى المصلحة الوقتية من دون تفكر فيما يترتب على ذلك من الآثار البعيدة في نفس الإنسان ومجتمعه، ولا عاصم من ذلك سوى الله سبحانه.

[٤/٧٠ ـ عصمة الله]:

إلهي، لا حَوْلَ لي وَلا قُوَّةَ اِلّا بِقُدْرَتِكَ، وَلا نَجاةَ لي مِنْ مَكارِهِ الدُّنْيا اِلّا بِعِصْمَتِكَ.

وحيث لا عاصم مما يشكوا منه الداعي من النفس الإنسانية والشيطان والفكر المادّي توجّه الداعي إلى القوّة الوحيدة الّتي بيدها العصمة من كلّ ما

٥ ـ الوسوسة، وهي الكلام الخفيّ الذي لا خير فيه، ممّا يؤثر على الإنسان في اتخاذ القرار الصائب.

٦ ـ الهجس، والهجز، وهما لغتان بمعنى: الهجوم المباغت في غاية السريّة، والاحاطة: إستيلاء الهجمات على الإنسان.

٧ ـ الهوى، أي الميل إلى ما يستلذّ في الحياة من دون نظر إلى العواقب.

٨ ـ حبّ الدنيا، والحب: الرغبة في الشيء، وحبّ الدنيا بمعنى تفضيلها على الآخرة.

٩ ـ المنع من عمل الخير، بالحيلولة، أي الحجز بين الإنسان وبين الطاعة لقانون الله تعالى، الموجب للزلفى، أي القرب منه تعالى.

وهذه النقاط من أوصاف العدوّ اللدود، وهو الشيطان الرجيم الذي يمثّل الباطل، وهي على النقيض من الصفات الّتي يدعوا اليها الحق تعالى؛ لأنّ الحق والباطل خطّان متوازيان لا يلتقيان في أيّ قطر ومكان، وأيّ عصر وزمان، والله المستعان.

[٣/٧٠ ـ الشكوى من القلب]:

إِلهي، إِلَيْكَ أَشْكُو قَلْباً قاسِياً، مَعَ الْوَساوِسِ[١] مُتقَلِّباً[٢]، وَبِالرَّيْنِ وَالطَّبْعِ مُتَلَبِّساً، وَعَيْناً من[٣] الْبُكاءِ مِنْ خَوْفِكَ جامِدَةً، وإِلَى ما تَسُرُّها طامِحَةً[٤].

إنّ مغريات النفس والشيطان انما يمكن تأثيرها في الإنسان حينما تضعف الثقافة الإسلامية، والمراد من القلب: الفكر الإنساني المفتقر إلى التعقّل والتفكّر

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «الوسواس».
(٢) كذا في حاشية (ط) في نسخة، وفي (ط): «منقلباً».
(٣) في بعض النسخ: «عن».
(٤) في بعض النسخ: «وإلى ما يسوؤها طامحة». وطامحة، أي متطلّعة.

والفرج من الله تعالى يتحقّق بواسطة الأمرين. وتظهر آثار الفرج في الحياة بأمور، منها:

١ ـ الجود من الله وحده، بحيث لا يفتقر الإنسان إلى التعرّض إلى جود غيره.

٢ ـ الصيانة من الله، بأن لا يصبح الإنسان غرضاً وهدفاً للبلاء، أي الامتحان.

٣ ـ النصر من الله على الأعداء من الجن والإنس وأعوان الشيطان.

٤ ـ الستر من الله على الأعمال الّتي توجب الخزي، وهو الهوان، والستر على العيوب، وهي النقائص في سلوك الإنسان.

٥ ـ الوقاية من البلاء.

٦ ـ العصمة من الذنوب.

يشتكي منه الإنسان، وهي عصمة الله سبحانه؛ فإنّ الله سبحانه بقدرته النافذة يعصم الإنسان الذي لا حول له في تغيير حالته، ولا قوة له أي لا طاقة له في التغيير إلى ما هو الأفضل من حالة الضعف أمام القوى الماديّة.

ولا نجاة للإنسان مما يكره في الدنيا من مغريات المادة إلّا بعصمة الله تعالى ومنعه سبحانه من الوقوع فيها. فإنّه لا حول ولا قوّة الّا بالله العليّ العظيم.

[٥/٧٠ ـ الدعاء بالفرج]:

فَأَسْأَلُكَ بِبَلاغَةِ حِكْمَتِكَ، وَنَفاذِ مَشِيَّتِكَ اَنْ لا تَجْعَلَني لِغَيْرِ جُوْدِكَ مُتَعَرِّضاً، وَلا تُصَيِّرَني لِلبلايا[١] غَرَضاً[٢]، وَكُنْ لي عَلَى الاَعْداءِ ناصِراً، وَعَلَى الْمَخازي وَالْعُيُوبِ ساتِراً، وَمِنَ الْبَلايا واقِياً[٣]، وَعَنِ الْمَعاصي عاصِماً، بِرَأفَتِكَ وَرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ.

وقد ختم هذا المقطع بالدعاء بالفرج مما يشكوا منه الإنسان إلى الله سبحانه الذي على كلّ شيء قدير، فهو قادر على تغيير حالة الإنسان بواسطة أمرين هما:

الأوّل: بلاغة الحكمة، والبلاغة: ما يبلغ، أي يدرك حكمة الله في الحياة؛ فإنّ ذلك غير متيسّر للآخرين إلّا بعد توفّر أسباب النضج والبلوغ لمن يدركها، وعند توفّر النصاب تكون الحكمة بالغة ومعبّرة عن حقيقة الحكمة ومفصحة عن واقعها.

الثاني: نفاذ المشيئة؛ فإنّ مشيئة الله تعالى: ارادته، وهي سابقة على التنفيذ اعتباراً ومتزامنة معه وجوداً، فلا تتخلف إرادة الله عن شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٤].

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «للفتن»، وفي بعض النسخ: «للبلاء».
(٢) غرضاً: هدفاً.
(٣) كذا في حاشية (ط): في نسخة، وفي (ط): «البلاء واقياً».
(٤) القرآن الكريم، سورة يس ٣٦: ٨٢.

حالة الخوف:

الخوف ـ لغة ـ: الخشية، وفي اصطلاح العرفاء هو تألّم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيّات أو التقصير في الطاعات، وله مراتب متفاوتة يشترك في أدناها عامة الخلق، وأنّ المرتبة العليا نادرة، والفرق بينه وبين الخشية: أنّ الخشية خوف خاصّ، فانها حالة الشعور بعظمة الله سبحانه وخوف الحجب عنه، ولا تحصل هذه الحالة إلّا لمن اطلع على جلال عظمة الله سبحانه كما قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(١).

استفتح الإمام عليه السلام المقطع الأوّل من الدعاء بحالة الخوف الّتي يعيشها الخائف بسبب موجبات ذلك، وهي:

١ ـ العذاب المتوعّد به للعصاة في التقصير في أداء دور المسؤولية المطلوب منهم في الحياة مع العلم والإيمان بالله في الدنيا، فإنّ الإيمان يستدعي الأمان، والعصيان يستدعي العقاب، فالخوف وارد بالرغم من الاعتقاد الصحيح.

٢ ـ البعد عن الله سبحانه بسبب المعصية والقصور في اداء المسؤولية بالرغم من الحبّ الذي يكمن في قلب الإنسان.

٣ ـ التسليم للقضاء العادل على الاعمال الّتي صدرت من الإنسان في الدنيا بالرغم من الاستجارة، أي اللجأ إلى عفو الله تعالى.

٤ ـ الحرمان من رحمة الله الواسعة وصفحه العميم بالرغم من رجاء ذلك.

٥ ـ الخيبة في رجاء الرحمة والصفح، وحاشا ذلك للذات المقدسة الموصوفة بالكرم الذاتي أن تخيّب أحداً.

٦ ـ الشقاء، وهو العسر والشدة في الحياة بسبب الخوف، وحيث إن القصور في اداء المسؤولية أمر طبيعيّ للإنسان فكأنّه مولود لذلك، فيتمنّى الخائف انه لم يولد.

---

(١) القرآن الكريم، سورة فاطر ٣٥: ٢٨.

[الدعاء الحادي والسّبعون]

المناجاة الثالثة للخائفين

(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

[١/٧١ ـ مناجاة الخائفين]:

إلهي، أَتراكَ بَعْدَ الْايمانِ بِكَ تُعَذِّبُني؟! اَمْ بَعْدَ حُبّي اِيّاكَ تُبَعِّدُني[١]؟! اَمْ مَعَ[٢] رَجآئي رَحْمَتِكَ[٣] وَصَفْحِكَ تحرِمُني؟!، اَمْ مَعَ اسْتِجارَتي بِعَفْوِكَ تُسْلِمُني؟!

حاشا لِوَجْهِكَ الْكَريمِ اَنْ تُخَيِّبَني! لَيْتَ شِعْري[٤] أَلِلشَّقآءِ وَلَدَتْني أُمّي؟! اَمْ لِلْعَنآءِ[٥] رَبَّتْني؟! فَلَيْتَها لَمْ تَلِدْني وَلَمْ تُرَبِّني.

وَلَيْتَني عَلِمْتُ أَمِنْ اَهْلِ السَّعادَةِ جَعَلْتَني، وَبِقُرْبِ جِوارِكَ[٦] خَصَصْتَني فَتَقِرَّ بِذلِكَ عَيْني وَتَطْمَئِنَّ به[٧] نَفْسي.

---

(١) في بعض النسخ زيادة: «أم مع رجائي لرحمتك وصفحك تحرمني؟!».
(٢) لم يرد في بعض النسخ: «أم مع».
(٣) في بعض النسخ: «لرحمتك».
(٤) ليت شعري: ليتني أعلم.
(٥) العناء: التعب.
(٦) كذا في (ط)، وفي بعض النسخ: «وبقربك وجوارك»، وفي بعضها: «وبقرب جوارك».
(٧) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «له».

وفي هذا المقطع أشار عليه السلام إلى ما يزيل الخوف من أسباب، وهي:

١ ـ السجود لعظمة الله، وهو وضع الجبين على الأرض بالهويّ اليها خاضعاً. والخرور: السقوط من علوّ فجاءةً، والسجود من ذلك، والوجوه الساجدة لعظمة الله لا تسوّد؛ لأنّها تؤدّي واجبها، بل هي مضيئة، كناية عن ابتهاجها بأداء مسؤولياتها.

٢ ـ الثناء باللسان والدعاء على المجد وهو العزة. والجلال وهو العظمة؛ فإنّ النطق بحمده تعالى وجلاله يستمر من دون انقطاع ولا تخرس بالصمت؛ لأنها تقوم بواجبها المفروض عليها.

٣ ـ المحبة التي انطوت عليها القلوب العامرة بالإيمان بالله لا يمكن أن تطبع عليها، أي تختم عليها بحيث لا تعي شيئاً؛ اذعاناً بختام دورها؛ لأن الإيمان أمر فطري مستمّر في الوجدان.

٤ ـ ذكر الله تعالى الذي تسمعه الاذُنُ الصاغية، وتتلذذّ بسماع نغمات الحق التي انعم الله بها على الذاكرين بأمره وإرادته تعالى، وهي لا تصم؛ لأداء الواجب الطبيعيّ لها في الحياة.

٥ ـ رفد الله، أي عطاؤه بأنواع النعم في الحياة، وقد رفع الإنسان الخائف كفّه إلى الله تعالى رجاء الرفد والرأفة، وهي شدّة الرحمة، ومقتضى رحمة الله أنّ هذه الأكفّ لا تغلّ بسبب العصيان، بل تملأ بالعطف والحنان.

٦ ـ الطاعة؛ بعمل الخيرات الّتي تقرّب الإنسان الخائف إلى الله، وذلك بالمجاهدة في سبيل الله بما يظهر آثاره على الجسم، ومنها: النحول، وهو الهزال على أثر التعب؛ فإنّ الأبدان التي تطيع الله سبحانه لا تستحق العقاب من جهة الطاعة.

٧ ـ العبادة؛ فإنّ من يسعى برجله إلى عبادة الله الّتي أمر بها لا يستوجب العذاب من جهة العبادة، وهي التذلّل لله تعالى وحده.

فإنّ هذه الأسباب مما تزيل خوف الإنسان بالرغم ممّا صدر منه من العصيان؛ لعلمه بسعة رحمة الله تعالى.

٧ ـ العناء، وهو الذلّ بسبب ارتكاب المعاصي، وحيث إن المعاصي تصدر عن إرادة وقدرة عليها، وهي انما حصلت بسبب التربية الجسمية بالتغذية الصحيحة برعاية الأُمّ، فكانت التربية سبباً غير مباشر لها، ويتمنى الخائف أنّها لم تربّه، لكي لا يحصل له العناء.

٨ ـ جهالة المصير، والخوف من المستقبل، فهو بين أمرين: مستقبل مظلم نتيجة للقضاء العادل الموجب للعقاب، وبالنتيجة الشقاء، هذا من ناحية.

ومن ناحية اخرى: نتيجة الرحمة الإلهيّة الواسعة الموجبة للعفو، وبالنتيجة السعادة بالتقرب من الله سبحانه، والكون في جوار رحمته وشمول فضله على الخائف خاصة؛ فانها تستلزم قرّة العين، أي بردها الكاشف عن بهجتها واطمينان النفس بالسكون والأمان.

[٢/٧١ ـ ما يرفع الخوف]:

إِلهي، هَلْ تُسَوِّدُ وُجُوهاً خَرَّتْ ساجِدةً لِعَظَمَتِكَ؟!،

اَوْ تُخْرِسُ اَلْسِنَةً نَطَقَتْ بِالثَّناَءِ عَلى مَجْدِكَ وَجَلالِكَ[(١)]؟!

أَوْ تَطْبَعُ عَلى قُلُوب انْطَوَتْ عَلى مَحَبَّتِكَ؟!

أَوْ تُصِمُّ اَسْماعاً تَلَذَّذَتْ بِسَماعِ ذِكْرِكَ في اِرادَتِكَ؟!

أَوْ تَغُلُّ[(٢)] اَكُفّا رَفَعَتْها الْامالُ اِلَيْكَ رَجاَءَ رفدك[(٣)]؟!

أَوْ تُعاقِبُ أَبْداناً عَمِلَتْ بِطاعَتِكَ حَتّى نَحِلَتْ في مُجاهَدَتِكَ؟!

أَوْ تُعَذِّبُ أَرْجُلا سَعَتْ في عِبادَتِكَ؟!.

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «وجلالتك».

(٢) تغل: تقيد.

(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «رَأفَتِكَ».

المسؤوليات من ناحية، ورجاء العفو من ناحية أُخرى. ولا يمكن تفضيل إحدى الجهتين على الأُخرى إلّا بارادته تعالى.

[٤/٧١ ـ التخلّص من الخوف]:

إِلهي، أَجِرْني مِنْ اَليمِ غَضَبِكَ وَعَظيمِ سَخَطِكَ، يا حَنّانُ، يا مَنّانُ(١)، يا رَحيمُ، يا رَحْمنُ، يا جَبّارُ، يا قَهّارُ، يا سَتّارُ، يا غَفّارُ(٢)، نَجِّني بِرَحْمَتِكَ مَنْ عَذابِ النّارِ، وَفَضيحَةِ الْعارِ، اِذَا امْتازَ(٣) الْاخْيارُ مِنَ الْاشْرارِ، وَحالَتِ(٤) الْاحْوالُ، وَهالَتِ الْاهْوالُ(٥)، وَقَرُبَ الْمُحْسِنُونَ، وَبَعُدَ الْمُسيئُونَ ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٦).

وختم الإمام الدعاء بما يوجب التخلّص من الخوف، وهو الطلب ممن بيده القرار الأخير في اختيار العقاب أو العفو، وهو الله سبحانه وحده، وهو الاستجارة بالله من أليم غضبه بالصفات الإلهيّة الّتي تلازم القدرة التامّة، وقد سردها بالنداء بها، وهي:

١ ـ (يا حنّان)؛ بكثرة عطفه ورحمته على الخلق أجمعين، وأقلّها رحمة الحياة.

٢ ـ (يا منّان)؛ بكثرة احسانه.

٣ ـ (يا رحيم)؛ بكثرة الرحمة في الذات المقدّسة.

٤ ـ (يا رحمان)؛ بكثرة الرحمة المترشحة على الخلق.

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة زيادة: «برحمتك».
(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «يا غفّار يا ستّار».
(٣) امتاز: انفصل وانعزل.
(٤) حالت: تغيرت.
(٥) هالت: انصبت.
(٦) اقتباس من القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ٢٥.

[٣/٧١ ـ نتيجة الخوف]:

ونتيجة المقارنة بين موجبات الخوف والأسباب الّتي ترفعه أُمور، بعضها تعمّ الخلق أجمعين، وبعضها تخصّ الموحّدين:

أمّا ما يعمّ الخلق اجمعين بما فيهم الكفار والعصاة، فهو أمران، أشار اليهما بقوله:

إِلهي، لا تُغْلِقْ عَلى مُوَحِّديكَ اَبْوابَ رَحْمَتِكَ، وَلا تَحْجُبْ مُشْتاقيكَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى جَميلِ رُؤْيَتِكَ.

الأوّل: فتح أبواب رحمة الله للخلق اجمعين من جهة، وعدم غلقها في وجوه الموحدين لله، ومنهم الداعي الخائف.

الثاني: النظر إلى جميل آثار الله، الّتي منها العفو لجميع الخلق، وعدم حجب المشتاقين عن ذلك، ومنهم الداعي الخائف.

وأمّا ما يخصّ نفس الإنسان، فهو أمران أشار اليهما بقوله:

إِلهي، نَفْسٌ اَعْزَزْتَها بِتَوْحيدِكَ، كَيْفَ تُذِلُّها بِمَهانَةِ هِجْرانِكَ!!، وَضَميرٌ انْعَقَدَ عَلى حبكَ[١] كَيْفَ تُحْرِقُهُ بِحَرارَةِ نيرانِكَ؟!.

الأوّل: عزّة نفس الإنسان الخائف بالتوحيد من جهة، وذلّها بمهانة هجران الرحمة من جهة أُخرى.

الثاني: حبّ الله سبحانه الذي انعقد عليه ضمير الإنسان الخائف من جهة، وحرقها بحرارة النيران من جهة أُخرى.

ونتيجة هذه المقارنة: استحقاق العقاب بارتكاب المعاصي واهمال

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «مَوَدَّتِك»، وفي بعض النسخ: «محبّتك».

[الدعاء الثاني والسّبعون]

المناجاة الرابعة للرّاجين

(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

١/٧٢ ـ حالة الراجين]:

يا مَنْ إذا سَأَلَهُ عَبْدهُ[١] أَعْطاهُ، وَإِذا أَمَّلَ ما عِنْدَهُ بَلَّغَهُ مُناهُ[٢]، إِذا أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَرَّبَهُ وَأَدْناهُ، وَإِذا جاهَرَهُ بِالْعِصْيانِ سَتَرَ عَلى ذَنْبِهِ وَغَطّاهُ، إِذا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَبَهُ[٣] وَكَفاهُ.

الرجاء ـ لغة ـ: الأمل بما يظنّ حصول المسرّة منه. والرجاء على أقسام حسب ما يتعلق به من رجاء التفضيل، ورجاء قبول الطاعات، ورجاء قبول التوبة ـن السيئات، والرجاء للمغفرة من دون أي قيد أو شرط، وهذا الأخير وان كان بدوا اغتراراً، ولكن مغفرته تعالى لا تتقيّد بقيد، حيث قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ ـُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[٤] فإنّ الرجاء صفة المؤمنين ما لم يصل إلى حد ـغرور، وهو الركون إلى الباطل، وطبيعة الرجاء هذه ملازمة للخوف ما لم يصل ـى القنوط وهو حدّ اليأس من رحمة الله، بل تكون حالة الإنسان المؤمن بين ـحالتين من الخوف والرجاء، المستلزم لاستمرار الرجاء حتى حصول المرجوّ.

واستفتح الدعاء بحالة الرّاجين من عباد الله الصالحين، وسرد منها:

---

١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «عبدٌ».

٢) مناه: بغيته.

٣) أحسبه: أطعمه وأعطاه.

٤) القرآن الكريم، سورة الرعد ١٣: ٦.

٥ ـ (يا جبار)؛ بكثرة جبره للكسر بإصلاحه وإعادة طاقته وقوته.

٦ ـ (يا قهار)؛ بكثرة غلبته على المعتدين.

٧ ـ (يا ستّار)؛ بكثرة ستره على عيوب العاصي.

٨ ـ (يا غفّار)؛ بكثرة عفوه عن المذنبين التائبين.

وهذه الصفات تلازم القدرة التامّة في تخليص الداعي الخائف بالنجاة مما يخاف منه، وقد خصّ منها أمرين، هما:

الأوّل: عذاب النار؛ فإنّه عذاب جسديّ.

الثاني: فضيحة النار؛ فإنّه عذاب روحيّ.

كلّ ذلك في يوم القيامة، حيث تظهر النتائج النهائية للحساب لما قدّمه الإنسان في الحياة الدنيا من الأعمال.

وسرد من خصائص هذا اليوم الفصل، ما يلي:

١ ـ امتياز الأخيار بأعمالهم الصالحة عن الأشرار بأعمالهم القبيحة.

٢ ـ تحوّل الأحوال من النشور بعد الموت ومن العمل إلى الحساب.

٣ ـ تهوّل الأهوال، والهول: الفزع بسبب الخوف من النتائج للأعمال القبيحة.

٤ ـ قُرب المحسنين إلى الله سبحانه؛ بسبب اعمالهم الصالحة.

٥ ـ بُعد المسيئين عن الله سبحانه، بسبب أعمالهم السيئة.

٦ ـ الوفاء بالوعد على الأعمال الصالحة، والوعيد على الموبقات، لكلّ نفس بما كسبت من الأعمال الصالحة أو القبيحة، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لعدالة الحكم لكلٍّ بما يستحقّه.

أناخَ بِبابِكَ مُرْتَجِياً نَداكَ[١] فَما اَوْلَيْتَهُ؟!

أَيَحْسُنُ اَنْ اَرْجِعَ عَنْ بابِكَ بِالْخَيْبَةِ مَصْرُوفاً، وَلَسْتُ اَعْرِفُ سِواكَ مَوْلىً بِالْإِحْسانِ مَوْصُوفاً؟ !

كَيْفَ اَرْجُو غَيْرَكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ؟ !

وَكَيْفَ أُؤَمِّلُ سِواكَ وَالْخَلْقُ وَالْامْرُ لَكَ؟!

أَأَقْطَعُ رَجآئي مِنْكَ وَقَدْ اَوْلَيْتَني ما لَمْ اَسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِكَ ؟! أَمْ تُفْقِرُني إِلَى مِثْلي وَاَنَا اَعْتَصِمُ[٢] بِحَبْلِكَ؟ !

يا مَنْ سَعَدَ بِرَحْمَتِهِ الْقاصِدُونَ، وَلَمْ يَشْقَ بِنَقْمَتِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ، كَيْفَ أَنْساكَ وَلَمْ تَزَلْ ذاكِري؟ ! وَكَيْفَ أَلْهُو عَنْكَ وَاَنْتَ مُراقِبي؟!.

وفي هذا المقطع سرد لمقتضيات الرجاء الّتي تستوجب عادةً إجابة الرجاء، وعدّ منها:

١ ـ الزيارة لقضاء الحاجة بالتماس القري، وهو الضيافة؛ فإنّ لكل زيارة مهما كانت أسبابها مستلزمات من الإكرام للزائر حسب مكانته بما تقتضيه أُصول الضيافة ببذل ما يتمكّن منه المزور، وكمال الجود بذل الموجود، والله سبحانه على كل شيء قدير، ومن كرمه أنه لا يرد دعاء الداعين مهما طال الزمن، بل يقرّبهم اليه بالاجابة في الوقت المناسب لذلك.

٢ ـ الاقامة بالإناخة، وهي حطّ الرحل مرتجيا بباب المرجوّ منه؛ فإنّ الرجاء يستلزم الاستمرار في الرجاء مهما تأخّرت الاستجابة؛ فإنّ طلب الحاجة فوراً من دون استقامة في الرجاء بمرور الزمن ليس رجاءً، بل أمراً كالاستجابة

---

(١) الندى: الفضل، نداك: جودك وفضلك.

(٢) أعتصم: أمتنع وأتمسك.

١ ـ السؤال؛ فإنّ العبد الراجي لا ينقطع عن السؤال مهما حاول المولى الإعراض عن السؤال والإهمال للجواب، لعلم العبد أنّ السبب في الإعراض ليس البخل من المسؤول منه، بل تأديبٌ وتنبيه للسائل على قبح عمله، وبالنتيجة سيحصل السائل على ما يطلب وسوف يعطيه المولى ما يريد بعد تهذيب نفسه.

٢ ـ الأمل؛ فإنّ العبد لعلمه بالأسباب والمسببات لا يفقد الأمل؛ لعلمه ببلوغ مناه في المستقبل عند تحقق الأسباب.

٣ ـ الاقبال؛ فإنّ الراجي لا يترك واجب التوجّه إلى من يرجوا منه في مختلف الحالات والمناسبات المتاحة لإظهار استعداده لأداء الواجبات المفروضة عليه حتى يقرّبه المرجوّ منه إلى نفسه ويدنيه منه.

٤ ـ اعلان التوبة بعد العصيان؛ فإنّ الراجي لا يحاول التنصّل من قبيح افعاله، بل يعترف بها، لكي يقبل توبته، كالمريض الذي يكشف للطبيب ما يشكوا منه من المرض والعاهة حتى يظفر بما يصف له من العلاج؛ فإنّ اعلان التوبة عما جاهر به من العصيان يستتبع الستر من الله سبحانه للذنوب والغفران من الله تعالى باسدال الغطاء عليها.

٥ ـ التوكّل؛ فإنّ الراجي بعد أداء ما يجب عليه من واجبات يقتضيها الرجاء؛ من أداء حقوق الناس في المجتمع وحقوق الله من العبادات والطاعات، يتوكل على الله في انتظار الغفران.

فإنّ هذه الحالات الخمس تلازم الرجاء، ولا يكون الإنسان راجياً حقيقة بدونها.

[٢/٧٢ ـ موجبات الرجاء]:

إِلهي، مَنِ الَّذي زارك[١] مُلْتَمِساً قِراكَ[٢] فَما قَرَيْتَهُ؟! وَمَنِ الَّذي

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «نزل بك».

(٢) القَرْي: حسن الضيافة، قراك: ضيافتك.

٢ ـ إنّ الراجي لا يفتقر إلى أحد سوى الله تعالى؛ وبسبب معرفته اعتصم حبل الله تعالى وحده، فكيف يمكن أن يفقره الله ويحوجه إلى المخلوقين من مثاله؟

٣ ـ إنّ رحمة الله قد أسعدت من قصده تعالى، وأنّ نقمته، أي عقابه لم شق من استغفره من الذنوب، وذلك لأن القاصدين والمستغفرين ذكروا الله سبحانه، فذكرهم الله بالرحمة والغفران، فكيف ينسى الراجي عن الله سبحانه بعد ن عرفه وذكره؟

٤ ـ إنّ نتيجة المعرفة هو العلم بأنّ الله على كلّ شيء رقيب؛ لعلمه المحيط بكل شيء، فكيف يمكن ان يلهو الراجي عن الله؟ واللهو: الاشتغال بما يفوّت على الإنسان الواجب المطلوب منه في الحياة.

[٣/٧٢ ـ الرجاء]:

وختم الدعاء بمواد الرجاء الّتي يفتقر اليها الراجي في حياته، وهي تتكوّن من خمسة مواد، اثنان منها أصيلة ويتفرّع عليهما ثلاث مواد فرعية.

فالمادتان الاصيلتان وردتا في قوله عليه السلام:

إِلهي، بِذَيْلِ كَرَمِكَ أَعْلَقْتُ يَدي، وَلِنَيْلِ عَطاياكَ بَسَطْتُ أَمَلي[1]، فَأَخْلِصْني بِخالِصَةِ تَوْحيدِكَ، وَاجْعَلْني مِنْ صَفْوَةِ عَبيدِكَ.

وابتدأ أوّلا بالإشارة إلى مادتين اصليتين في تحقيق الرجاء، وهما:

«يا مَنْ أَرْجُوهُ لِكُلِّ خَيْرٍ وَآمَنُ سَخَطَهُ عِنْدَ كُلِّ شَرٍّ، يا مَنْ يُعْطِي الكَثيرَ بِالقَليلِ، يا مَنْ يُعْطِي مَنْ سَأَلَهُ، يا مَنْ يُعْطِي مَنْ لَمْ يَسأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّنا مِنْهُ وَرَحْمَةً؛ أَعْطِني بِمَسأَلَتِي إِيّاكَ جَميعَ خَيْرِ الدُّنْيا وَجَميعَ خَيْرِ الآخرةِ، واصْرِفْ عَنِّي بِمَسْأَلَتي إِيّاكَ جَميعَ شَرِّ الدُّنْيا وَشَرِّ الآخرةِ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَنْقُوصٍ ما أَعْطَيْتَ وَزِدْني مِنْ فَضْلِكَ يا كَريمُ». قال الراوي: ثم مدّ (عليه السلام) يده اليسرى فقبض على لحيته ودعا بهذا الدعاء وهو يلوذ بسبابته اليمنى. ثم قال بعد ذلك: «يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرامِ يا ذَا النَّعْماءِ وَالجُودِ يا ذَا المَنِّ وَالطَّوْلِ حَرِّمْ شَيْبَتِي عَلى النّارِ».

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «ولنيل عطائك بسطت أملي».

الفورية على سبيل الاستعلاء، بخلاف الراجي؛ فإنّه يقيم باستمرار على الباب الذي أمر الله تعالى بالتوجّه إليه حتى يتحقق رجاؤه من الندى ـ أي الكرم ـ من الله سبحانه بتحقق الرجاء؛ فإنّ الله وليّ بصنع ما يترجّاه الراجي الذي يبدي رجاءً حقيقياً بالاستمرار، بالتوجّه إلى الأبواب الّتي أُمر بالتوجّه إليها.

٣ ـ المعرفة بأنّ الرجاء الحقيقيّ لا يتحقق إلّا بإرادة الله سبحانه؛ لأنّه الموصوف بالإحسان على المسيئ دون غيره، فإنّ البشر بحكم الطبيعة البشرية لا يصدر منه الإحسان حقيقة؛ فإنّ كلّ ما يبذله فهو في الحقيقة مقايضة لشيء في المقابل، والجزاء في الدنيا أو في الآخرة بجزيل الثواب، والله سبحانه إحسانه هبة غير معّوضة، فهو لا يخيب من رجاه.

وقد أشار الراجي إلى مدى المعرفة الّتي يستمتع بها بدليلين، على سبيل الاستفهام الانكاري، هما:

أولاً: ان الخير كلّه بيد الله سبحانه، فكيف يمكن أن يرجوا الإنسان العارف بهذه الحقيقة غير الله تعالى؟

ثانياً: ان الخلق من الجنّ والإنس والأمر في حياتهم كله لله وحده؛ اذ له سبحانه القدرة على استمرار حياتهم، كما أنه قادر على سلب القدرة عنهم في الحياة، فكيف يأمل الراجي سوى الله ممّن ليس بيده الأمر في الحياة والقدرة؟

ثم ختم المقطع بالإشارة إلى آثار هذه المعرفة، إلى أمرين على سبيل الاستفهام الانكاري أيضاً، وهما:

١ ـ إنّ الراجى لا يقطع رجاءه من الله مهما طال الأمد؛ لمعرفته بأنّ الله ذو فضل على العالمين، وقد أولاه الله، أي صنع المعروف اليه فيما لم يسأله كنعمة الحياة، فكيف يمكن ان يقطع الرجاء منه فيما يسأله منه؟[1]

---

(١) روى السيد ابن طاوس عن محمد بن ذكوان المعروف بالسجّاد ـ لأنه كان يكثر من السجود والبكاء فيه حتى ذهب بصره ـ قال: قلت للصادق (عليه السلام): جعلت فداك هذا رجب علّمني فيه دعاءً ينفعني الله به، قال (عليه السلام): اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم قل في كل يوم من رجب صباحاً ومساءً وفي أعقاب صلواتك في يومك وليلتك: =

٤ ـ لا يردّ السائل؛ فإنّ الله سبحانه لا يردّ من سأله من المخلوقين مهما كثرت ذنوبه.

٥ ـ لا يخيّب أحداً؛ فإنّ الله سبحانه لا يخيّب نائله، والنيل: العطاء المعروف.

٦ ـ فتح باب الدعاء للداعين مهما عظمت ذنوبهم.

٧ ـ رفع الحجاب بينه وبين من رجاه من العباد.

وبعد ان عدّد هذه النداآت المقتضية لقبول الرجاء، أشار إلى موادّ الرجاء المشتركة بينه وبين سائر العباد.

[٥/٧٢ ـ مواد الرجاء التابعة]:

أَسْأَلُكَ بِكَرَمِكَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ مِنْ عَطآئِكَ بِما تَقِرُّ بِهِ عَيْني، وَمِنْ رَجآئِكَ بِما تَطْمَئِنُّ بِهِ نَفْسي، وَمِنَ الْيَقينِ بِما تُهَوِّنُ[١] عَلَيَّ[٢] مُصيباتِ الدُّنْيا، وَتَجْلُو بِهِ عَنْ بَصيرَتي غَشَواتِ الْعَمى، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ.

وختم الدعاء بمواد الرجاء الّتي تترتب على المادتين الاصليتين، وهما الخلوص والعبادة، وهي ثلاث موادّ كالآتي:

الأوّل: العطاء بكرمه تعالى، بما تقر العين، أي تُسرّ بها، بالبرودة والاستقرار، كناية عن السرور.

الثاني: الاطمئنان بما يرجى من الله سبحانه.

الثالث: اليقين الموجب لأن تهون به مصيبات الدنيا وترفع الغشوات الّتي تطرأ على القلب وتسبّب عمى البصيرة.

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة زيادة: «به». وتهوّن: تسهّل وتخفّف.

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة زيادة: «به».

الخلاص والعبادة، حيث أنّ الراجي يجب أن يعلق أي يتمسّك بما يوصله إلى مقصده من الرجاء، وهو كرمه سبحانه وتعالى، دون غيره من المخلوقين، وينحصر أمله في الحصول على عطائه دون سواه.

الأوّل: الإخلاص بسبب الإيمان الذي هو خلوص التوحيد لله، وهو عدم الشرك الخفيّ بالرجاء من المخلوقين.

الثاني: العبادة المقبولة، بأن يصبح الراجي من صفوة عباد الله الذين اصطفاهم بسبب قبوله أعمالهم وطاعاتهم.

[٤/٧٢ ـ نداءات]:

يا مَنْ كُلُّ هارِب اِلَيْهِ يَلْتَجِئُ، وَكُلُّ طالِب اِيّاهُ يَرْتَجي، يا خَيْرَ مَرْجُوّ، وَيا أفضل[١] مَدْعُوّ، وَيا مَنْ لا يَرُدُّ سآئِلَهُ، وَلا يُخَيِّبُ نائِلَهُ[٢]، يا مَنْ بابُهُ مَفْتُوحٌ لِداعيهِ، وَحِجابُهُ مَرْفُوعٌ لِراجيهِ.

وقبل ان يشير إلى مواد الرجاء المترتبة على المادتين الاصليّتين: الخلوص والعبادة، ذكر سلسلة من النداءآت الّتي تقتضي تحقيق الرجاء، فانها تعبّر عن صفات الله سبحانه المستوجبة لتحقيق رجاء كلّ راج؛ فإنّه سبحانه وتعالى هو:

١ ـ الملجأ الذي يتحصّن به الهاربون مما يخافون منه، وخير ملجأ للهاربين هو الله، فاليه كل هارب يلتجئ، ومنهم الراجي.

٢ ـ المرتجى، فإنّ كل طالب حاجة يرتجي الله سبحانه؛ لأنّه خير مرجوّ، ومنهم الراجي.

٣ ـ افضل مدعوّ؛ فإنّ كلّ داع يتوجّه في دعائه إلى من له الفضل، والله سبحانه أفضل مدعّو.

---

(١) كذا في (ط)، وفي هامش (ط): في نسخة: «ويا أكرم».
(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «آمله».

[الدعاء الثالث والسّبعون]

المناجاة الخامسة للراغبين

(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

[١/٧٣ ـ صفات الراغبين]:

إلهي، اِنْ كانَ قد[١] قَلَّ زادي فِي الْمَسيرِ اِلَيْكَ فَلَقَدْ حَسُنَ ظَنّي بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، وَاِنْ كانَ جُرْمي قَدْ اَخافَني مِنْ عُقُوبَتِكَ فَإنَّ رَجآئي قَدْ اَشْعَرَني[٢] بِالْاَمْنِ مِنْ نِقْمَتِكَ، وَاِنْ كانَ ذَنْبي[٣] قَدْ عَرَّضَني لِعِقابِكَ فَقَدْ آذَنَني[٤] حُسْنُ ثِقَتي[٥] بِثَوابِكَ، وَاِنْ أَنامَتْنِي الْغَفْلَةُ عَنِ الْاسْتِعْدادِ لِلِقائِكَ فَقَدْ نَبَّهَتْنِي الْمَعْرِفَةُ بِكَرَمِكَ وَآلائِكَ، وَاِنْ اَوْحَشَ ما بَيْني وَبَيْنَكَ فَرْطُ[٦] الْعِصْيانِ وَالطُّغْيانِ فَقَدْ آنَسَتْني[٧] بُشْرَى الْغُفْرانِ وَالرِّضْوانِ.

الرغبة ـ لغة ـ: الحبّ للشيء والميل اليه، والرغبة إلى الله سبحانه: الابتهال والتضرّع اليه بالاجتهاد بالدعاء والسؤال منه دون سواه، قال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ

---

(١) لم ترد: «قد» في بعض النسخ.

(٢) أشعرني: أخبرني.

(٣) كذا في (ط)، وفي بعض النسخ زيادة: «قد».

(٤) آذنني: أعلمني.

(٥) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «يقيني».

(٦) فرط: تجاوز الحد.

(٧) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «آنسني».

فإنّ هذه المواد، من الاصلية وما يترتب عليها، هي مواد الرجاء التي بها النجاة في الدنيا والآخرة.

وقد ختم الطلب بطلب اليقين؛ لأنه آخر مرحلة من مراحل العبادة الروحية، كما قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[1].

---

(١) القرآن الكريم، سورة الحجر ١٥: ٩٩.

بِعَواطِفِ رَحْمَتِكَ[١] وَلَطآئِفِ رأفتك[٢]، أن[٣] تُحقّقَ ظَنّي فِيما[٤] أُؤَمِّلُهُ مِنْ جَزيلِ إِكْرامِكَ وَجَميلِ إِنْعامِكَ فِي الْقُرْبى مِنْكَ وَالزُّلْفى لَدَيْكَ وَالتَّمَتُّعِ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ.

وبتغيّر حالة السائل من القطيعة إلى القرب سرد في هذا المقطع التوسّل لتحصيل ما يرغب فيه، وهي أوصاف ذاته المقدسة الّتي تستلزم الاجابة؛ اذ لا وسيلة أعظم منها، وهي:

١ ـ (بسبحات وجهك) والسُّبحة ـ بالضم ـ: ما يسبّح به الله تعالى على ما يبدو من آثار عظمته تعالى، والتسبيح: التنزيه من السوء، والوجه: كناية عن الوجود المفيض أنواره على الخلق أجمعين؛ فإنّه نور السماوات والأرض. وبالجملة: سبحات وجهه هي آثار عظمته في الكون.

٢ ـ (أنوار قدسك) والقدس: الطهارة والبركة، وأنوارها: وجود الموجودات التي تستمد من ارادته ما يعم الكون من النظام في الجماد والنبات والحيوان مما يشعر به كل إنسان في الحياة.

٣ ـ (عواطف رحمتك) والعطف: الميل بالتكرار حيث تستمر الرحمة الإلهيّة على الخلق بالتكرار من دون انقطاع. والابتهال: الدعاء بوسيلة الرحمة الّتي وسعت كلّ شيء في الحياة[٥].

٤ ـ (لطائف رافتك) والرأفة: شدّة الرحمة، واللطيف: الدقيق من اللطف الذي لا يُحَس عادة؛ فإنّ نعمة المجردات كالعقل والإدراك غير محسوسة للطفها،

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «رأفتك ورحمتك».

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «برّك».

(٣) كذا في حاشية (ط): في نسخة: «أن» بدون واو، وفي (ط): «وأن».

(٤) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «بما».

(٥) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

فَٱرْغَب﴾[١] برفع الحوائج اليه سبحانه، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾[٢]، وهو الميل إلى الخير من الله في العفو والرحمة.

أشار في المقطع الأوّل إلى الصفات البارزة للراغبين بالرغم مما يحيط بهم من المثبّطات الّتي تكون عادة معوّقات للرغبة.

ومن الصفات الموجبة للرغبة:

١ ـ حسن الظن بالله تعالى، وذلك بالتوكّل عليه بالرغم من قلّة الزاد من عمل الخير في السير إلى الله.

٢ ـ الثّقة بالله والأمن من النقمة بالرغم من خوف العقوبة على الجرم بارتكاب الذنوب؛ لرجاء العفو منه تعالى.

٣ ـ كرم الله والإنابة بسبب المعرفة الّتي وهبها الله تعالى للإنسان بالرغم من وجود الغفلة عن الاستعداد الذي يؤثر عن الانتباه للعمل الصالح للقاء الله تعالى في الآخرة.

٤ ـ بشرى الغفران والرضوان من الله على من يُنيب إلى الله بالتوبة الصادقة، بالرغم من فرط العصيان والطغيان الصادر من الإنسان والموجب للوحشة بينه وبين الله، والوحشة: الانقطاع عن الله بسبب الانقطاع عن عمل الخيرات والطاعات.

فإنّ هذه موجبات الرغبة إلى الله سبحانه بالرغم من اتصاف الإنسان بما يضادّها من الحالات.

[٢/٧٣ ـ التوسّل بالله]:

أَسْأَلُكَ بِسُبُحاتِ وَجْهِكَ[٣]، وَبِأَنْوارِ قُدْسِكَ وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ

---

(١) القرآن الكريم، سورة الانشراح ٩٤ : ٨.

(٢) القرآن الكريم، سورة القلم ٦٨ : ٣٢.

(٣) سبحات وجهك: أنوار وجلال ذاتك.

معصية قبل التوجّه إلى الله سبحانه، وهو في حال الرغبة يفرّ منها بالتوبة لكي كسب مرضاة الله سبحانه.

٤ ـ (هارب منك إليك) فإنّ الهرب من المعصية خوفاً من عقابه العادل، ولا مكن التخلّص منه إلّا بالتفضّل بقبول التوبة، ولا يكون ذلك إلّا بالهرب إليه من قابه.

٥ ـ (راج أحسن ما لديك) وهو رجاء العفو والصفح عن المعصية بقبول توبة.

٦ ـ (معوّل على مواهبك) بالاعتماد على عطايا الله هبة غير معوّضة بالعفو المغفرة.

٧ ـ (مفتقر إلى رعايتك) وكل ذلك لا يكون إلّا برعايته تعالى وعنايته.

وهذه الحالات هي الحالات الحقيقية للراغبين في التقرب إلى الله سبحانه لاستعداد التامّ للقيام بالواجبات والآداب.

٧٣/٤ ـ تمام الفضل]:

إِلهي ما بَدَأتَ بِي[١] مِنْ فَضْلِكَ فَتَمِّمْهُ، وَما وَهَبْتَ لي مِنْ كَرَمِكَ لا تَسْلُبْهُ، وَما سَتَرْتَهُ عَلَيَّ بِحِلْمِكَ فَلا تَهْتِكْهُ[٢]، وَما عَلِمْتَهُ مِنْ قَبيحِ فْلي فَاغْفِرْهُ.

وفضل الله سبحانه لا ينقطع عن الإنسان في حال من الاحوال، وهو مستمر نذ الولادة في الظلمات الثلاث، حيث عمّ فضل الله الإنسان بهبة العقل والصحة السلامة في كلّ مرحلة من مراحل الحياة طفلا وصبياً ويافعاً وشابّاً وكهلا شيخاً. وإنّما يرغب الراغبون في تمام الفضل، وعقّب ذلك بالإشارة إلى أُمور لاثة هي من أهمّ ما يرغب فيه الراغب تماماً للفضل، وهي:

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «به».
(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «ولا تهتكه».

وهي في نفس الوقت تنتج من شدة الرحمة؛ حيث أنّ فواتها يجعل الإنسان في مستوى الحيوانات، بل اضل سبيلا.

وهذه الصفات الخاصة بالذات المقدسة تستلزم جزيل الكرم وجميل الإنعام على الراغب والمتقرب إلى الله سبحانه بالتوبة والعمل الصالح، لكي يفوز بالزلفى لدى الله تعالى، أي المنزلة المرغوب فيها لدى الله سبحانه، وهي التمتّع بالنظر إلى آثار رحمته تعالى، فإنّ النظر إليها نظر إلى واهبها تعالى.

[٣/٧٣ ـ حالة الراغب]:

وَها اَنَا مُتَعَرِّضٌ لِنَفَحاتِ رَوْحِكَ[١] وَعَطْفِكَ، وَمُنْتَجِعٌ غَيْثَ جُودِكَ وَلُطْفِكَ، فَآرٌّ مِنْ سَخَطِكَ إِلَى رِضاكَ، وهارِبٌ[٢] مِنْكَ اِلَيْكَ، راجٍ اَحْسَنَ ما لَدَيْكَ، مُعَوِّلٌ[٣] عَلى مَواهِبِكَ، مُفْتَقِرٌ إِلَى رِعايَتِكَ.

وفي هذا المقطع أشار إلى حالة الراغب المقتضية للقرب إلى الله والزلفى لديه، وهي:

١ ـ (التعرّض لنفحات روحك) الروح ـ بالفتح ـ: الرحمة، والنفحة: العطاء والعطف والحنان، والتعرّض: الاستعداد التام لتلقّي ذلك بما يستلزم من أداء الواجبات والاداب.

٢ ـ (منتجع غيث جودك) والمنتجع: المصدر للشيء، والجود: البذل عن طيب الرضا، والراغب يستعد في حالة الرغبة إلى تلقي الجود الإلهي ان ينهمر عليه كالغيث؛ لأنّ مصدره لا يكون إلّا طيب الرضا من الله تعالى، وهذا هو ما يرغب فيه الراغبون؛ فإنّ بلطفه وجوده يكون لهم حياة جديدة.

٣ ـ (فار من سخطك إلى رضاك) فإنّ السخط على ما ارتكبه الإنسان من

---

(١) روحك: رحمتك.

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «هارب» بدون واو.

(٣) معول: معتمد.

١ ـ الشفاعة، وحيث إن الغرض من الشفاعة التقرّب إلى الله تعالى، فتكون لشفاعة إلى الله تعالى بأقرب وسيلة، وليس إلّا به تعالى؛ لأنه العالم بحالة لراغب.

٢ ـ الجوار بالله؛ فإنّ الاستجارة من عذاب الله سبحانه من العقاب العادل، لا يتحقق الاستجارة إلّا به تعالى بسبب سعة عفوه ومعونته.

٣ ـ الاحسان؛ وحيث أنّ الله يأمر بالعدل والإحسان فيحق للإنسان ان كون طامعاً في احسانه تعالى.

٤ ـ المنّة من الله، وهي النعمة من الله تعالى بما هو أهله.

٥ ـ الطَّوْل، وهي العطاء، بأن يستمرّ كسقي الوابل، وهو المطر الشديد.

٦ ـ الفضل، وهو الزيادة في الإنعام من منابعه الطبيعيّة كالمطر من الغمام.

٧ ـ مرضاة الله تعالى، الّتي هي مطلوب كلّ راغب في كل الحالات.

٨ ـ إرادة وجه الله في الأعمال الصالحة بالاتقان فيها امتثالاً لأوامره.

٩ ـ الدعاء من حيث أمر الله ؛ بأن يطرق الإنسان الباب الذي أمر به سبحانه الدعاء والسلوك[1].

١٠ ـ الخلوص في القصد، بالحضور في الطريق الذي رسمه الله للناس في لحياة.

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة المائدة ٥: ٣٥).

١ ـ الكرم، بأن لا يسلب ما وهبه للإنسان بسبب العصيان، وإن كان يستحق أن يُسلب منه، فإنّ استمرار الكرم اتمام للفضل.

٢ ـ الحلم؛ بالستر على الأعمال المشينة للسمعة في المجتمع؛ فانها لو هتكت انتقت الثقة عن الإنسان، وصار معرّضا للهوان، وسترها اتمام للفضل.

٣ ـ الغفران لما صدر من الإنسان من قبيح الاعمال المحرّمة، بالعصيان؛ فإنّ الغفران إتمام لما اسبغ الله على الإنسان من انواع الفضل، وبسببه يصبح الإنسان في حالة جديدة يمكن فيها ان يكون عضواً صالحاً في المجتمع بالتزامه بالمسؤوليات الّتي تخدم الأُمّة.

[٥/٧٣ ـ موادّ الرغبة]:

إلهي اِسْتَشْفَعْتُ بِكَ اِلَيْكَ، وَاسْتَجَرْتُ بِكَ مِنْكَ، اَتَيْتُكَ طامِعاً في اِحْسانِكَ راغِباً فِي امْتِنانِكَ مُسْتَسْقِياً وابِلَ[١] طَوْلِكَ، مُسْتَمْطِراً غَمامَ فَضْلِكَ طالِباً مَرْضاتَكَ[٢]، قاصِداً جَنابَكَ وارِداً شَريعَةَ رِفْدِكَ[٣]، مُلْتَمِساً سَنِيَّ[٤] الْخَيْراتِ مِنْ عِنْدِكَ، وافِداً إِلَى حَضْرَةِ جَمالِكَ[٥]، مُريداً وَجْهَكَ، طارِقاً بابَكَ، مُسْتَكيناً لِعَظَمَتِكَ وَجَلالِكَ، فَافْعَلْ بي ما اَنْتَ اَهْلُهُ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَلا تَفْعَلْ بي ما اَنَا اَهْلُهُ مِنَ الْعَذابِ وَالنِّقْمَةِ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ.

وختم الدعاء بهذا المقطع الأخير وسرد فيه مواد الرغبة الّتي يرغب فيها الراغبون، وهي:

---

(١) الوابل: مطر الشديد، المتتابع.

(٢) في بعض النسخ زيادة: «مريداً وجهك، طارقاً بابك» هنا.

(٣) رفدك: معونتك وعطائك.

(٤) السنيّ: الرفيع.

(٥) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): لم ترد في بعض النسخ: «مريداً وجهك، طارقاً بابك» هنا.

الثاني: الشكر بالأركان، بعمل الطاعات الشخصية.

الثالث: الشكر بالجنان، وهو الاعتقاد بلزوم أداء فريضة الشكر.

ويحصل من ذلك كلّه حالة الخضوع في الطاعة والسرور في القلب وظهور ار نعمة الله على الإنسان، واستفتح الدعاء بقصور الشكر بالوجوه الثلاثة لكثرة ،جباتها؛ فإنّ كثرتها يعوّق الإنسان عن اداء واجب الشكر.

وقد أشار إلى المعوّقات التالية:

١ ـ الذهول، وهو غياب الرشد عن إقامة واجب الشكر بسبب تتابع طَوْلِ له سبحانه أي فضله الوارف.

٢ ـ العجز عن إحصاء الثناء على فضل الله تعالى، الفائض بما يخرج عن دّ الإحصاء.

٣ ـ الاشتغال عن واجب الذكر لمحامده تعالى، بسبب عوائده أي معروفه، مترادفة أي المتعاقبة.

٤ ـ العيّ، وهو القصور، لعدم التمكن من نشر العارفة وهي الخير الذي هبه الله للإنسان بأداء حقّ السائل والمحروم، وذلك بسبب توالي أيادي الله لاحسان، فإنّ توالي الإحسان من الله قد يسلب من الإنسان الوقت الكافي للشكر نشر ذلك بين الآخرين.

٢/٧٤ ـ حال الشاكر]:

وَهذا مَقامُ مَنِ اعْتَرَفَ بِسُبُوغِ النَّعْماءِ وَقابَلَها بِالتَّقْصيرِ، وَشَهِدَ لى نَفْسِهِ بِالإِهْمالِ وَالتَّضْييعِ[1]، وَأَنْتَ الرَّؤُوفُ الرَّحيمُ، الْبَرُّ كَريمُ، الَّذي لا يُخَيِّبُ قاصِديهِ، وَلا يَطْرُدُ عَنْ فِنائِهِ آمِليهِ.

بِساحَتِكَ تَحُطُّ رِحالُ الرّاجينَ، وَبِعَرْصَتِكَ تَقِفُ آمالُ

---

١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «وشهد على نفسه بالتضييع».

[الدعاء الرابع والسّبعون]

المناجاة السادسة للشاكرين

(بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

[١/٧٤ ـ حقيقة الشكر]:

إِلهي، أَذْهَلَني عَنْ إِقامَةِ شُكْرِكَ تَتابُعُ طَوْلِكَ، وَأَعْجَزَني عَنْ إِحْصاءِ ثَنائِكَ فَيْضُ فَضْلِكَ، وَشَغَلَني عَنْ ذِكْرِ مَحامِدِكَ تَرادُفُ عَوائِدِكَ[١]، وَأَعْياني عَنْ نَشْرِ عَوارِفِكَ[٢] تَوالي أَياديكَ[٣].

الشكر ـ لغة ـ: الثناء على المنعم اعترافاً باحسانه، قال عليه السلام: (واجعل شكرى لك على ما زويت عنّي أوفر من شكري إيّاك على ما خوّلتني)[٤] فإنّ الاحسان كما يكون بالتخويل أي الاعطاء؛ فإنّه كذلك يكون بالزوي أي قبض الشيء عن الإنسان؛ لعدم استعداده للانتفاع بما يعطى في ظرفه الخاص، فإعطاؤه حينئذ يكون من باب وضع الشيء في غير موضعه، فالله سبحانه حقيق بالشكر في الحالتين.

والشكر يتحقق بوجوه:

الأوّل: الشكر باللسان بالثناء على المنعم بالجميل الاختياري.

---

(١) عوائدك: معروفك وصلتك.

(٢) عوارفك: إحسانك.

(٣) أياديك: نعمك.

(٤) راجع الجزء الثاني؛ ص١٤٠ من هذا الكتاب، الدعاء: ٣٥، المقطع الثالث.

٦ ـ عدم القنوط، امتثالا لأمر الله في قوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[١] والابلاس: الحيرة، الموجب للحزن، والسربال: القميص الذي يُلبس؛ فيشمل الجسم كله.

فإنّ صفات الذات المقدسة تقتضي العفو والرحمة لمن عجز عن أداء واجب الشكر.

[٣/٧٤ ـ موجبات الشكر]:

إِلهي، تَصاغَرَ عِنْدَ تَعاظُمِ الآئِكَ شُكْري، وَتَضاءَلَ[٢] في جَنْبِ إِكْرامِكَ إِيّايَ ثَنائي وَنَشْري، جَلَّلَتْني نِعَمُكَ مِنْ أَنْوارِ الْايمانِ حُلَلاً[٣] وَضَرَبَتْ عَلَيَّ لَطائِفُ بِرِّكَ مِنَ الْعِزِّ كِلَلاً[٤]، وَقَلَّدَتْني مِنَنُكَ قَلائِدَ لا تُحَلُّ، وَطَوَّقَتْني أَطْواقاً لا تُفَلُّ، فَآلاؤُكَ جَمَّةٌ[٥] ضَعُفَ لِساني عَنْ إِحْصائِها، وَنَعْماؤُكَ كَثيرَةٌ قَصُرَ فَهْمي عَنْ إِدْراكِها، فَضْلاً عَنِ اسْتِقْصائِها، فَكَيْفَ لي بِتَحْصيلِ الشُّكْرِ؟ وَشُكْري إِيّاكَ يَفْتَقِرُ إِلَى شُكْر. فَكُلَّما قُلْتُ: لَكَ الْحَمْدُ. وَجَبَ عَلَيَّ لِذلِكَ أَنْ أَقُولَ: لَكَ الْحَمْدُ.

يتضمّن هذا المقطع الإشارة إلى كثرة موجبات الشكر وعظمها بحيث لا يفي الشكر بها مهما حاول الإنسان ذلك؛ فإنّ النسبة غير متعادلة لعظمة الآلآء أي النعماء من جانب، وصغر الشكر بالنسبة اليها من جانب آخر. وكثرة الكرم من

---

(١) القرآن الكريم، سورة الزمر ٣٩: ٥٣.

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «وتضاءل». وتضاءل: تصاغر.

(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «حللاً».

(٤) كللا: أستاراً.

(٥) جمة: كثيرة.

الْمُسْتَرْفِدينَ[(١)]، فَلا تُقابِلْ[(٢)] آمالَنا بِالتَّخْييبِ وَالإِياسِ، وَلا تُلْبِسْنا سِرْبالَ الْقُنُوطِ وَالإِبْلاسِ[(٣)].

والشاكر المغمور بموجبات الشكر يجد نفسه عاجزا عن أداء واجب الشكر، ويكشف عن حاله: الموقف الذي يقفه في المقامات التالية:

١ ـ مقام الاعتراف بسبوغ النعماء، أي استمرارها مع التقصير بواجب الشكر.

٢ ـ مقام الشهادة على النفس بالإهمال للمسؤولية الملقاة على عاتقه.

٣ ـ مقام الشهادة بالتضييع لحقوق النفس، المؤثر في تضييع الحقوق الاجتماعية.

والمقامات الثلاث تقتضي المؤاخذة على التقصير بالواجب والاهمال للمسؤولية والتضييع للحقوق، ولا مخرج من هذه المؤاخذات إلّا بالصفات الإلهيّة للعفو، وسرد منها: الرأفة والرحمة والبرّ والكرم، وتستلزم هذه الصفات:

١ ـ عدم الخيبة مما يفقده المعترف من العفو.

٢ ـ تحقيق الأمل، بأن لا يطرد المعترف من فناء الله سبحانه حتى تشمله الرحمة.

٣ ـ تحقيق الرجاء، فإنّ كل راج ينتهي في رحلة الرجاء من الله بالفوز بما رجاه من الله تعالى.

٤ ـ الرفد، أي العطاء؛ فإنّ العطاء بلا عوض لا يكون إلّا من الله سبحانه الذي تنتهي الآمال اليه تعالى.

٥ ـ عدم الخيبة واليأس، فإنّ العفو من صفات الذات المقدسة، والله لا يخيب من رجاه، وقد قال تعالى: ﴿لَا يَاْيْئَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[(٤)].

---

(١) المسترفدين: طالبي العطاء.

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «فلا تقابل».

(٣) الإبلاس: الحيرة.

(٤) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢ : ٨٧.

باللسان على الجميل الاختياري، وانما يتمكّن الإنسان من الحمد بسبب القدرة التي منحها الله تعالى، والقدرة على الحمد جميل إختياري آخر يوجب حمداً آخر، وهكذا يتسلسل إلى مالا نهاية له.

وهكذا تخرج موجبات الشكر عن امكان تحصيل الشكر والحمد، لخروجها عن قدرة المكلف وزيادتها باستمرار وتواترها دون توقف.

[٤/٧٤ ـ تمام النعم]:

إِلهي، فَكَما غَذَّيْتَنا بِلُطْفِكَ وَرَبَّيْتَنا بِصُنْعِكَ فَتَمِّمْ عَلَيْنا سَوابِغَ النِّعَمِ وَادْفَعْ عَنّا مَكارِهَ النِّقَمِ، وَآتِنا مِنْ حُظُوظِ الدّارَيْنِ[١] أَرْفَعَها وَأَجَلَّها عاجِلاً وَآجِلاً.

وَلَكَ الْحَمْدُ عَلى حُسْنِ بَلائِكَ[٢] وَسُبُوغِ نَعْمآئِكَ، حَمْداً يُوافِقُ رِضاكَ، وَيَمْتَرِي الْعَظِيمَ مِنْ بِرِّكَ وَنَداكَ، يا عَظِيمُ، يا كَرِيمُ[٣]، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ.

وختم الدعاء بطلب تمام النعمة ولوازمه الموجبة للشكر؛ فإنّ موجبات الشكر تبدأ بالخلق في أحسن تقويم، ثم التغذية في الصغر سواءً جسمياً بأنواع الرزق، أو روحياً بالعقل والسلامة والتربية بما صنعه سبحانه أي أحكم عمله فيما خلقه في العالم من النظام المؤثّر في حياة الإنسان، وتشريع الأحكام الّتي ينتظم بها سلوك الإنسان في النفس وفي الاسرة والمجتمع.

وحيث إن موجبات الشكر في الحياة لا تنتهي لمن تدبّر فيها، ختم الدعاء بثلاثة أمور متلازمة، هي:

---

(١) الدارين: دار الدنيا ودار الآخرة.

(٢) بلائك: إحسانك وإنعامك.

(٣) لم ترد في بعض النسخ: «يا عظيم يا كريم».

جانب الله وضآلة الثناء باللسان والعمل بالأركان بنشر عوارف الله وعطاياه في المجتمع من جانب الإنسان.

وقد وصف هذه النسبة غير المتعادلة في الجمل التالية:

١ ـ تجلّل النعم من انوار الإيمان على الإنسان، كالغطاء الذي يشتمل على الجسم كلّه وذلك في الحياة مع وضوح الرؤية.

٢ ـ الضرب على الإنسان بلطائف البر والعز كالكلّة، والمراد: الستر الرقيق، من العقل والإرادة.

٣ ـ قلّدت المنن الإنسان قلائد في عنقه لا تحل؛ لأنها ملازمة للإنسان في جميع أحوله، ولولاها لما أمكن للإنسان الحياة.

٤ ـ طوّقت المنن الإنسان طوقاً، والطوق: القيد المستدير الذي يحيط بالرقبة ولا يمكن الانفلات منه.

٥ ـ يضعف اللسان عن إحصاء الآلآء؛ لأنها جمّة، أي كثيرة.

٦ ـ ويقصر الفهم عن إدراك النعماء لكثرتها، فإنّ الإدراك لحقيقة الشيء يفتقر إلى التركيز عليه بدراسة ما يتعلق به من آثار وخواص، وذلك يستلزم وقتا كثيرا ولا يسع الا البعض دون الكل.

فلا يمكن إدراك النعماء بسبب كثرتها، كما لا يمكن استقصائها أيضاً لنفس السبب، فإنّ ذلك انما يمكن في الشيء المحدود وكثرتها يخرجها عن حدود القدرة على إدراك حقيقتها؛ كما يخرجها عن إمكان إستقصاء عددها.

ونتيجة هذه النسبة غير المتعادلة بين موجبات الشكر وقدرة الإنسان على الشكر يظهر عجز الإنسان عن أداء واجب الشكر، فلا يمكن تحصيل الشكر على حقيقته، لأن الشكر باللسان ـ مثلاً ـ انما هو بسبب القدرة على الشكر، وهذه القدرة على الشكر تفتقر إلى شكر آخر، والشكر على هذه القدرة نعمة اخرى تفتقر إلى شكر ثالث.. وهكذا يستمرّ إلى مالا نهاية له بالتسلسل.

وهكذا الحال في الحمد، فكلما يقول الإنسان: (الحمد لله) فهو ثناء

[الدعاء الخامس والسّبعون]

المناجاة السابعة للمطيعين

(بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

[١/٧٥ ـ حقيقة الطاعة]:

اَللّٰهُمَّ أَلْهِمْنا طاعَتَكَ، وَجَنِّبْنا مَعْصِيَتَكَ، وَيَسِّرْ لَنا بُلُوغَ ما نَتَمَنّى مِنْ إِبْتِغاءِ رِضْوانِكَ، وَاَحْلِلْنا بُحْبُوحَةَ جِنانِكَ، وَأَقْشَعْ عَنْ بَصآئِرِنا سَحابَ الإِرْتِيابِ، وَأَكْشِفْ عَنْ قُلُوبِنا أَغْشِيَةَ الْمِرْيَةِ وَالْحِجابِ، وَاَزْهِقِ الْباطِلَ عَنْ ضَمآئِرِنا، وَأَثْبِتِ الْحَقَّ في سَرآئِرِنا، فَإِنَّ الشُّكُوكَ وَالظُّنُونَ لَواقِحُ[١] الْفِتَنِ، وَمُكَدِّرَةٌ لِصَفْوِ[٢] الْمَنائِحِ[٣] وَالْمِنَنِ.

الاطاعة ـ لغة ـ: الانقياد، واصطلاحاً: أداء الواجبات وترك المحرّمات، وغلّب في مصطلح العصر على الطاعة في عمل الخير في المستحبّات؛ لاستلزام ذلك ما تقدم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[٤]. ولا تكون الاطاعة إلّا بالانقياد بأوامرهم والانتهاء عمّا نهوا عنه، وذلك يستلزم أداء الواجبات وترك المحرمات المشروحة في كتب الفقه والحديث والاخلاق.

---

(١) لواقح: مسببات ومولدات.

(٢) كذا في حاشية (ط): في نسخة، وفي (ط): «لصفح».

(٣) في (ط): «المنايح»، والمنائح: العطايا.

(٤) القرآن الكريم، سورة النساء ٤: ٥٩.

١ ـ تمام النعم السابغة، أي الواسعة، وتمامها: استمرارها، وهذا أوجب للشكر.

٢ ـ دفع المكروه من النقم، والنقمة: هي المكافئة بالعقوبة، وهو أوجب للشكر من رفعها.

٣ ـ التكرّم بالحظّ، وهو النصيب من الخير والسعادة في الحياة؛ فإنّ رفعة الحظوظ وجلالها أي كثرتها اتمام لها، سواءً في الدنيا عاجلا أو في الآخرة آجلاً، ولا شيء يعادل هذه النعم الموجبة للشكر سوى الحمد لله على حسن البلاء، أي الامتحان، وسبوغ النعماء المتكثرة أي شموليتها وكثرتها وطول أمدها بالاستمرار، بالحمد حمداً يوافق رضا الله سبحانه، حيث لا يمكن التعادل مع رضاه شيء، ويظهر موافقة رضا الله سبحانه باستمراء برّه، أي استمراره بالكثرة. والندى: هو السخاء بالفضل، فإنّ الاستمرار والكثرة في السخاء في النعم السابغة الواسعة إتمام لها، وهي توجب الشكر.

واما التأثير على المجتمع، فإنّه انما يقوم على الثقة والقانون الطبيعي في حياة بأنّ كل إنسان بريئٌ حتى تثبت إدانته، والشكوك والظنون إدانة قبل الاثبات، لا يمكن الإدانة ظنا، بل لابدّ وأن يكون يقينياً ومستنداً إلى الدليل.

وطبيعة هذه الحالة أنها تؤدي إلى الفتنة، فالشكوك والظنون لواقح لها؛ اذ تحقق بسببها الكثير من الفتن إذا كانت قبل الإثبات.

وأمّا الشكوك والظنون بعد الاثبات فتكون مستندة الى الدليل، ويكون علماً، لا شكاً وظنّاً.

واما التأثير على الإنسان نفسه، فإنّ الشكوك والظنون تسبب له القلق والكدر التفكير فيها والتخطيط لمقاومتها، في حين أنّ الله أنعم على الإنسان بتطهير باطنه، أي اعطاه فكراً صافياً عطيّة، وأنعم عليه بالمنّة أي الاحسان، وأنعم عليه الصفح، أي التجنّب عن موارد الشك والشبهة والظن والاحتمال بسلوك طريق الاحتياط الذي فيه النجاة في الحياة وبعد الممات.

٢/٧٥ ـ آثار الطاعة]:

اَللّٰهُمَّ احْمِلْنا في سُفُنِ نَجاتِكَ، وَمَتِّعْنا بِلَذيذِ مُناجاتِكَ، وَأَوْرِدْنا حِياضَ حُبِّكَ، وَأَذِقْنا حَلاوَةَ وُدِّكَ وَقُرْبِكَ، وَاجْعَلْ جِهادَنا[1] فيكَ وَهَمَّنا في طاعَتِكَ، وَأَخْلِصْ نِيّاتِنا في مُعامَلَتِكَ، فَإِنّا بِكَ وَلَكَ، وَلا وَسيلَةَ لَنا إِلَيْكَ إِلّا أَنْتَ.

والله سبحانه هو المسؤول ان ينعم على الإنسان بترتّب الآثار على الطاعة، وقد سرد منها:

١ ـ النجاة بالتمكّن من التوصّل إلى الوسائل الّتي تنجي الإنسان في مزالق الحياة، كما ينجو الإنسان من الغرق في البحر بوسيلة سفينة النجاة.

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «شغلنا».

واستفتح الدعاء بطلب الالهام للطاعة، والالهام: هو التلقين للشيء الذي لم يجرّب الإنسان حقيقته وعدم معرفته إلى ما فيه صلاحه، بحيث لو علم أن صلاحه فيه لجرّبه مرة واحدة للخلاص ممّا هو فيه.

وعقّب هذا الطلب بطلب التجنيب عن المعصية الّتي هي عصيان لما فيه الخلاص للإنسان ثقافيا وروحياً وجسمياً من آثارها السيئة.

ويتضمن المقطع الأوّل آثار الطاعة الّتي تعبّر عن حقيقتها، وهي:

١ ـ مرضاة الله؛ فانها غاية ما يتمناه الإنسان المؤمن المعتقد بحكمة الله المطلقة في الخلق والأمر والنهي والطاعة بتيسير ذلك.

٢ ـ الجنة، فبها الجزاء المترتب على الطاعة بالحلول، أي النزول في بحبوحتها، أي الخلود في وسطها، والتمتع بالنعيم الأبدي فيها.

٣ ـ البصيرة؛ فإنّ الطاعة الحقيقية تنوّر فكر الإنسان لرؤية واضحة للأُمور الّتي تحيط به، وتزيل الريب المتراكم على الباصرة كتراكم السحاب في السماء الّتي تمنع من النظر إلى النجوم.

٤ ـ وعي القلب بالكشف عن الحقائق بسبب كشفه سبحانه للحجب المانعة عن وصولها إلى القلب بأنواع الغشاء الموجبة للمسؤولية، من الشك والشبهة.

٥ ـ طهارة الضمير، وهو ما في باطن الإنسان مما يخفى عن الآخرين؛ فإنّ الطاعة الحقيقية هي ما يتوافق فيه باطن الإنسان وظاهره بازهاق الباطل، أي قلبه واهلاكه، والباطل: كل أمر يضادّ الحق.

٦ ـ ثبوت الحق، وهو الجدير باثباته، لأصالته في آثاره الخيّرة في النفس والمجتمع؛ فإنّ الطاعة تستتبع السلامة في الفكر، وتظهر آثارها على نفس الإنسان، ومن ثم على المجتمع الذي يتعامل فيه كعضو من اعضائه.

والصفات المضادّة للطاعة تستتبع النقيض، من الشكوك، وهي الريب وعدم الاعتقاد بأنواعه. والظنون، وهي الاعتقاد بشيء من دون الاستناد على ما يوجبه من دليل، فإنّ الشكوك والظنون تؤثّر تأثيراً عكسياً على الإنسان والمجتمع.

ى كُل شَّيءٍ قَديرٌ، وَبِالْاجابَةِ جَديرٌ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ.

وختم الدعاء بذكر أصناف المطيعين الذي استوجبت طاعتهم الفوز بالمنازل خاصة بهم، وهم:

١ ـ المصطفون الذين اصطفاهم الله من سائر الخلق لطاعاتهم الموجبة لك.

٢ ـ الأخيار في أنفسهم، فإنّ الخير الذي في أنفسهم يترشّح إلى الآخرين ، المجتمع.

٣ ـ الصالحون، فإنّ الصلاح يكون بذرة للإصلاح، فمن صلح في نفسه كنه أن يصلح المجتمع.

٤ ـ الأبرار؛ فإنّ البرّ الذي ميزهم عن غيرهم ينبع من صلاح النفس، وله ثير مباشر على الآخرين.

٥ ـ السابقون إلى المكرمات، وهي الأعمال الشرعية النابعة من الكرم، الموجبة للكرامة.

٦ ـ المسارعون إلى الخيرات، وهي ما يعود منه النفع على المجتمع ستمرار.

٧ ـ العاملون للباقيات الصالحات من الأعمال الفكرية والثقافية الّتي لها آثار ملية في التاريخ.

٨ ـ الساعون إلى رفع الدرجات في الإيمان والعلم الّتي رفع الله قدرها قوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1]، فإنّ السعي لرفع لدرجات دفع للأمة إلى الإمام خطوة فخطوة.

فإنّ هذه الطوائف من المطيعين بما لهم من آثار في التاريخ، هم القدوة لحيّة لمن أراد الاهتداء بالطاعة لله دون المادة والماديات، وكفى بالتاريخ شاهداً.

---

١) القرآن الكريم، سورة المجادلة ٥٨: ١١.

٢ ـ لذّة المناجاة؛ فإنّ للدعاء والمناجاة مع الله تعالى لذّة روحيّة لا يشعر بها من لا تجربة له بها، والناس أعداء ماجهلوا.

٣ ـ الحُبّ، وهو الودّ النابع من رحمة القلب، وله حدود يشعر بقيمتها من يعيش في حياضها، أي مجتمعها الخاص بها.

٤ ـ القرب من الله سبحانه، فإنّ له حلاوة يذوقها الإنسان المطيع فقط، وخاصّة بعد ان يتبيّن لديه فراغ وفساد العناوين الخيالية والمغريات الماديّة الّتي تزول بانتهاء أمدها وفاعليتها في الحياة.

٥ ـ الجهاد في الله سبحانه ببذل الوسع والطاقة في سبيل الطاعة وعمل الخير.

٦ ـ الهمّة في الطاعة بتفضيلها على الراحة والكسل في الحياة الشخصية والاجتماعية في الحياة على وفق ما أمر الله سبحانه به.

فإنّ هذه الآثار تضمن للإنسان طمأنينة النفس وتوفقه في خدمة المجتمع بأداء الدور المسؤول في الحياة.

[٣/٧٥ ـ مع المطيعين]:

إِلهي، إِجْعَلْنا[١] مِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ، وَأَلْحِقْنا[٢] بِالصّالِحينَ الْأَبْرارِ السّابِقينَ إِلَى الْمَكْرُماتِ[٣]، الْمُسارِعينَ إِلَى الْخَيْراتِ، الْعامِلينَ[٤] لِلْباقِياتِ الصّالِحاتِ، السّاعينَ إِلَى رَفْعِ[٥] الدَّرَجاتِ إِنَّكَ

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «اجعلني».

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «وألحقني».

(٣) المكرمات: فعل الكرم. وفي مجمع البحرين (٦: ١٥٣): والمكرمة بضم الراء: واحدة المكارم اسم من الكرم، ومنه: الوليمة يوماً ويومين مكرمة، وفعل الخير: مكرمة أي سبب للكرم والتكريم. قال الجوهري: ولم يجيء مفعل للمذكر إلّا حرفان نادران لا يقاس عليهما: مكرم، ومعون.

(٤) كذا في حاشية (ط): في نسخة: «العاملين»، وفي (ط): «المعاملين».

(٥) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «رفيع».

ومن لم يكن له دليل وأراد أن يعيش عيشة البهائم من دون ان يتقيد بما يمليه عليه الفكر الحرّ، يكون الطريق له ضيّقاً غير واضح، وبالنتيجة لا يهتدي إلى الصراط المستقيم في الحياة ولا يصل إلى ما يريده؛ لعدم اعتماده على الفكر الحرّ.

وقد تضمّن هذا الدعاء الأُسس والثوابت في طريق التكامل الروحي من مبدأ المسيرة وطرقها ونتائجها حتى الوصول إلى المراد.

[٢/٧٦ ـ سبل الوصول]:

إِلهي، فَاسْلُكْ بِنا سُبُلَ الْوُصُولِ إِلَيْكَ، وَصَيِّرْنا[١] بِأَقْرَبِ[٢] الطُّرُقِ لِلْوُفُودِ عَلَيْكَ.

قَرِّبْ عَلَيْنَا الْبَعِيدَ، وَسَهِّلْ لَدَيْنَا[٣] الْعَسيرَ الشَّديدَ.

وحيث أنّ المسيرة إلى تحصيل المراد تتوقّف على سلوك الطرق المؤدّية إلى ذلك، فقد أشار في هذا المقطع إلى أهمّ سبل الوصول إلى المراد، وهي:

١ ـ الارشاد؛ فإنّ الطريق وحده لا يوصل إلى المطلوب إلّا بإرشاد مسبق يحدّد النهاية والمقصد من الطريق، والله سبحانه هو المرشد الذي يسلك بالإنسان بهدايته سبيل الهداية إلى المراد.

٢ ـ قرب الطريق؛ فإنّ المقصد يطلب بأقرب الطرق دون الأطول إلّا لسبب عارض، وحيث أن المراد هو الوفود إلى الله سبحانه فهو أعلم بأقرب الطرق إلى ذلك.

٣ ـ التقريب، برفع العوائق الماديّة والروحية الّتي تكون في الطرق اليه حتى يصبح الطريق قريباً.

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «وسيّرنا».
(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «في أقرب».
(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «علينا».

[الدعاء السادس والسّبعون]

المناجاة الثامنة للمريدين

(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

[١/٧٦ ـ طريق المراد]:

سُبْحانَكَ!! ما أَضْيَقَ الطُّرُقَ[١] عَلى مَنْ لَمْ تَكُنْ دَليلَهُ؟، وَما أَوْضَحَ الْحَقَّ عِنْدَ مَنْ هَدَيْتَهُ سَبيلَهُ؟.

الرّوْد والرياد ـ لغة ـ: التقييد لما يصلح طلبه، والإرادة للشيء: الحبّ له والرغبة فيه، واستفتح الإمام عليه السلام هذا الدعاء بالإشارة إلى طبيعة المنافاة في طبيعة طريق المراد، وهو الحق سبحانه وتعالى؛ فإنّ طرق الحق واضحة وظاهرة اذا اتّسعت، فتتجلى الطرق لمن أراد السلوك فيها، وعلى العكس تكون خافية غير واضحة إذا ضاقت، ولا يتمكن الطارق من تتبع آثار المارّة فيها.

والطرق إلى الله سبحانه بعدد أنفاس الخلائق وبعدد وجود الموجودات الّتي لا تدخل تحت حصر وضبط، فهي واضحة لمن استخدم عقله وفكره في مباديها وغاياتها، وفي نفس الوقت خافية على من غطّى عقله بالكفر ولم يتدبّر فيها، وليس الوضوح والخفاء للطرق أنفسها، وإنما فيها باعتبار حالات الطارق، فمن كان الله سبحانه دليله بأن استخدم الفكر الحرّ الذي وهبه الله سبحانه، كانت طرق الحياة له واضحة؛ فإنّه بسبب ذلك سوف يصل إلى السبيل القويم ويهتدي إلى الصراط المستقيم حتى يصل إلى مراده.

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «الطريق».

٥ ـ الشفقة؛ وهي الخوف من الله سبحانه؛ للخوف من القصور والتقصير في أداء الدور المطلوب في حركة التكامل الروحي.

والتاريخ يحتفظ بأمثلة رائعة من مواقف الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين يقتدى بهم في هذه النقاط كلّها.

[٧٦/ ٤ ـ نتيجة الوصول]:

الَّذينَ صَفَّيْتَ لَهُمُ الْمَشارِبَ، وَبَلَّغْتَهُمُ الرَّغائِبَ، وَأَنْجَحْتَ لَهُمُ الْمَطالِبَ، وَقَضَيْتَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِكَ الْمَآرِبَ، وَمَلأْتَ لَهُمْ ضَمائِرَهُمْ مِنْ حُبِّكَ، وَرَوَّيْتَهُمْ مِنْ صافي شِرْبِكَ[١].

فَبِكَ إِلَى لَذيذِ مُناجاتِكَ وَصَلُوا، وَمِنْكَ إِلَى[٢] أَقْصى مَقاصِدِهِمْ حَصَلُوا.

ونتيجة الوصول إلى المراد ـ وهو التكامل الروحي بالقرب المعنوي من الله سبحانه أُمور:

١ ـ صفو المشرب، حيث يصلون إلى زلال منبع الحقيقة.

٢ ـ بلغة الرغائب، وهو البلوغ إلى ما رغبوا فيه.

٣ ـ نجاح المطلب، أي تيسير المطلوب لهم.

٤ ـ قضاء الحاجات، والمآرب: جمع المأرب، وهو الحاجة بقضاء الله سبحانه له.

٥ ـ حبّ الله بالسير على هدايته، حيث بحركتهم على هذا الحب المالي لضمائرهم نحو الكمال يتحقق لهم الوصول في اسرع وقت ممكن.

٦ ـ الريّ، وهو الإرتواء بصفو الفكر الإسلامي، الذي هو كالماء الصافي المهيأ لشرب العطاشى.

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «شرابك».

(٢) لم ترد: «إلى» في بعض النسخ.

٤ ـ السهولة، فإنّ لكل طريق محاسنه ومساويه، وهي تختلف في درجات الشدة واللين، والله وحده هو القادر على تسهيل ما هو عسير شديد على الإنسان في مسيرته إلى الحق.

[٣/٧٦ ـ قدوة الطريق إلى الله]:

وَاَلْحِقْنا بِعِبادِكَ الَّذينَ هُمْ بِالْبِدارِ[١] إِلَيْكَ يُسارِعُونَ، وَبابَكَ عَلَى الدَّوامِ يَطْرُقُونَ، وَإِيّاكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهارِ يَعْبُدُونَ وَهُمْ مِنْ هَيْبَتِكَ مُشْفِقُونَ[٢].

وأشار في هذا المقطع إلى القدوة الصالحة للذين يريدون السلوك، وهم الصلحاء الذين سلكوا طرق التكامل الروحي وصاروا بذلك أمثلة يقتدى بهم، وذكر هنا بعض أوصافهم الخاصة، منها:

١ ـ البدار وعدم التأخير في الحركة نحو الهدف المطلوب، فإنّ أيّ تأخير في مبدأ الحركة يؤثّر في إطالة زمن الوصول إلى المقصد، وللحصول على النتائج المترتبة على المسيرة.

٢ ـ السرعة؛ فإنّ المسافة للوصول إلى المقصد محدّدة، وزمن الوصول إلى المقصد يتوقّف على اختيار المسافة. وطبيعيّ ان يختلف ذلك حسب السرعة الّتي يتحرك بها الإنسان كلٌّ حسب طاقته.

٣ ـ الدوام؛ فإنّ السير المتقطّع لا يثمر الثمرة المطلوبة، بل قد تكون مضيعة للوقت والعمر من دون فائدة، وذلك يستلزم الاستقامة على الثوابت الّتي تقتضيها الحركة نحو المطلوب حتى تحقيقه.

٤ ـ العبادة؛ فإنّ الوصول إلى المراد عبادة، فيكون السير إلى الله عبادة، والسالك يكون في كل أوقاته عابداً؛ لكونه مطيعاً لأوامره تعالى في كلّ لحظاته وسكناته.

---

(١) البدار: المبادرة والإسراع.

(٢) مشفقون: خائفون حذرون.

٥ ـ الجذب، وهو الجر والسحب، وتحويل الشيء عن موضعه، والتصرف ي المجذوب بما يقربه إلى الشيء. ويقابله: الدفع عن الشيء.

٦ ـ الودّ، وهو الحب.

فإنّ هذه الصفات متواجدة بنحو الكمال في الذات المقدّسة.

وأمّا المسترشد، فيأمل الوصول إليها على نحو الكمال حسب ذاته الممكنة.

ومواد الأمل بالنسبة إلى القادة، هي:

١ ـ وفرة الحظّ في القرب إلى الله الذي هو الغاية القصوى في مسيرة التكامل.

٢ ـ علوّ المنزلة عند الله بما يقدّم عليه من عمل الخيرات والطاعات.

٣ ـ الوُدّ الجزيل فيما يقسمه الله جزاءً للعمل.

٤ ـ النصيب الأفضل في معرفة الله تعالى الداعية على الاستمرار في مسيرة لتكامل الروحي.

[٦/٧٦ ـ حالة المريد]:

فَقَدِ انْقَطَعَتْ إِلَيْكَ هِمَّتي، وَانْصَرَفَتْ نَحْوَكَ رَغْبَتي، فَأَنْتَ ـ لا غَيْرُكَ ـ مُرادي، وَلَكَ ـ لا سِواكَ[١] ـ سَهَري وَسُهادي[٢]، وَلِقاؤُكَ قُرَّةُ عَيْنِي، وَوَصْلُكَ مُنَى نَفْسي، وَإِلَيْكَ شَوْقي، وَفِي مَحَبَّتِكَ وَلَهِي[٣]، وَإِلى هَواكَ صَبابَتِي[٤]، وَرِضاكَ بُغْيَتي، وَرُؤْيَتُكَ حاجَتِي، وَجِوارُكَ طَلَبي، وَقُرْبُكَ غايَةُ مَسْأَلَتِي[٥]، وَفي مُناجاتِكَ رَوْحِي وَراحَتِي، وَعِنْدَكَ دَواءُ عِلَّتِي، وَشِفاءُ غُلَّتي[٦]، وَبَرْدُ لَوْعَتِي، وَكَشْفُ كُرْبَتِي.

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «لا لسواك».

(٢) السهاد: الأرق.

(٣) الوله: التحيّر من شدّة الوجد.

(٤) صبابتي: شوقي.

(٥) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «سؤلي».

(٦) الغلة: شدة العطش وحرارته.

فإنّ هذه النتائج انما تحصل لمن يتدرج في مسالك مسيرة التكامل حتى يصل إلى المقصد الأقصى من المسيرة، وهو الوصول إلى المراد والتكامل الروحي، ولا يتحقق ذلك إلّا بسبب المناجاة مع الله سبحانه على طول الخط الواصل إليه، فهو تعالى المبدأ والمقصد، وإنّا لله وإنا إليه راجعون.

[٥/٧٦ ـ دعاء الوصول]:

فَيا مَنْ هُوَ عَلَى الْمُقْبِلينَ عَلَيْهِ مُقْبِلٌ، وَبِالْعَطْفِ(١) عَلَيْهِمْ عآئِدٌ(٢) مُفْضِلٌ، وَبِالْغافِلينَ عَنْ ذِكْرِهِ رَحيمٌ رَؤُوفٌ(٣)، وَبِجَذْبِهِمْ إِلَى بابِهِ وَدُودٌ عَطُوفٌ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَني مِنْ أَوْفَرِهِمْ مِنْكَ حَظّاً، وَأَعْلاهُمْ عِنْدَكَ مَنْزِلاً، وَأَجْزَلِهِمْ مِنْ وُدِّكَ قِسْماً، وَأَفْضَلِهِمْ في مَعْرِفَتِكَ نَصيباً.

وحيث أنّ الحركة نحو التكامل تفتقر إلى مرشد يهدي إليه، ومسترشد يتّبع الإرشاد للوصول إلى الكمال، أشار عليه السلام في هذا المقطع إلى تواجد الرغبة في الوصول اليه تعالى في كلّ من المرشد والمسترشد.

أمّا المرشد، فهو الله سبحانه الذي اتصف بصفات الهادي، إلى سواء السبيل، ومنها:

١ ـ الإقبال، وهو التوجّه إلى هداية الإنسان.

٢ ـ العطف، وهو الحنان بالفضل.

٣ ـ الرحمة، بالإحسان.

٤ ـ الرأفة، وهي شدّة الرحمة.

---

(١) بالعطف: بالشفقة والإحسان.

(٢) كذا في (ط)، ولم ترد: «عائد» في بعض النسخ.

(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «رؤوف».

١٣ ـ جوار الله، بحيث لا ينساه الداعي ولا لحظة واحدة من اللحظات.

١٤ ـ القرب من الله معنوياً بالطاعات والخيرات؛ فإنّها غاية ما يطلبه المسترشد.

١٥ ـ مناجاة الله، وهي التحدّث مع الله سبحانه سرّاً دون غيره من المخلوقين.

وقد ختم بهذه الصفة حالة المسترشد معقباً لها بما في المناجاة من الأثر الروحي على الإنسان، وهي:

١ ـ الرَّوْح إلى الرحمة[١].

٢ ـ الراحة، من الاستراحة، وهي المدعاة إلى السرور.

٣ ـ الدواء لأمراض القلب.

٤ ـ الشفاء لعلل الروح والجسم.

٥ ـ وبرد اللوعة، وهي شدّة وحرقة الحزن.

٦ ـ كشف الكربة مما يصيب الإنسان من المكروه.

وهذه الصفات الّتي ذكرها الداعي لحالته يجعله يعيش بالله وفي الله ولله، ولا يعني شيئاً سواه، ويستحق بها أن يكون الأوفر حظّاً والأعلى منزلة والأجزل قسماً، والأفضل نصيباً من غيره.

---

(١) في «الزاهر في معاني كلمات الناس» لمحمد بن القاسم بن محمد بن بشار ابن الأنباري ـ ص ٦٨٧، ما نصه: «قال بعض أهل اللغة: إنما سميت الريح ريحاً لأنّ الغالب عليها في هبوبها المجيء بالرّوح والراحة، وانقطاع هبوبها يكسب الكرب والغم والأذى. فهي مأخوذة من الروح، وأصلها روح، فصارت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، كما فعلوا مثل ذلك في الميزان والميعاد والعيد. والدليل على أن أصل ريح: روح، قولهم في الجمع: أرواح، ولو كانت الياء صحيحة في الريح لقيل في الجمع: أرياح، وأرياح خطأ لا يتكلم العرب به». وفي الصحاح ـ للجوهري ـ ج ١ ـ ص٣٦٧ ـ ٣٦٨، ما نصه: «الروح يذكر ويؤنث، والجمع الأرواح. ويسمى القرآن روحا، وكذلك جبريل وعيسى عليهما السلام... والروح والراحة من الاستراحة. والروح: نسيم الريح. ويقال أيضاً: يوم روح وريوح، أي طيب. وروح وريحان، أي رحمة ورزق... ومكان روحاني، بالفتح، أي طيب».

واستدل على تواجد حالة الاسترشاد في نفس الداعي بما يتواجد فيه من صفات، وهي:

١ ـ الانقطاع إلى الله وحده في الهم[١]، وهو الفكر في ازالة المكروه واجتلاب المحبوب.

٢ ـ الرغبة في الله وحده.

٣ ـ إرادة الله تعالى لتحقيق رضاه، فهو المراد دون غيره.

٤ ـ السهر في الله، وهو عدم النوم من أجل أداء ما أمر به الله.

٥ ـ السهاد من أجل الله، وهو الأرق بسبب قلّة النوم.

٦ ـ السرور بلقاء الله، وكنى عنه بقرار العين، أي برودتها وانقطاع بكائها ورؤيتها ما كانت مشتاقة اليه.

٧ ـ الوصل بالله، بأن يكون المنية الوحيدة للنفس هو الاتصال بالله سبحانه.

٨ ـ الشوق إلى الله، وهو الرغبة المؤكّدة.

٩ ـ المحبّة في الله كمقياس للتعامل مع الآخرين، والوله: الحزن الشديد.

١٠ ـ هوى الله، والهوى: العشق والصبابة النفسية من الشيء، وذلك كناية عن تصفية حياة الإنسان من الحب الكاذب الزائل بالنسبة إلى المادة والماديات.

١١ ـ رضى الله بحيث يكون غاية بغية الداعي في حياته.

١٢ ـ رؤية الله، أي النظر إلى عظمة آثار الله تعالى رؤية حقيقة لها كرؤية ابراهيم عليه السلام حيث تحقق بإحياء الموتى.

---

(١) الفرق بين الهمة والهم: أن الهمة اتساع الهم وبعد موقعه ولهذا يمدح بها الإنسان فيقال: فلان ذو همة وذو عزيمة، وأما قولهم: فلان بعيد الهمة وكبير العزيمة، فلأن بعض الهمم يكون أبعد من بعض وأكبر من بعض، وحقيقة ذلك أنه يهتم بالأمور الكبار، والهم هو الفكر في إزالة المكروه واجتلاب المحبوب، ومنه يقال: أهم بحاجتي. (الفروق اللغوية ـ لأبي هلال العسكري ـ ص ٥٥٨).

[الدعاء السابع والسّبعون]

المناجاة التاسعة للمحبين

(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

[١/٧٧ ـ معنى الحبّ]:

إلهي، مَنْ ذَا الَّذي ذاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرامَ مِنْكَ بَدَلاً[١]؟!

إلهي[٢]، وَمَنْ ذَا الَّذي أَنِسَ بِقُرْبِكَ فَابْتَغى عَنْكَ حِوَلاً[٣]؟!

الحبّ ـ لغة ـ: الودّ والرغبة في الشيء.

واستفتح الدعاء بالإشارة إلى حقيقة الحبّ بأنّه يُدرك ولا يوصف، ولا يكون وصفه إلّا بالإدراك، حيث إن الألفاظ تكون عاجزة عن الوصف. واكتفى في هذا المقطع بالإشارة إلى هذه الحقيقة ببيان أمرين على سبيل الاستفهام الاستنكاري، وهما:

الأوّل: لا يوجد من ذاق حلاوة الحب الإلهي ثم أعرض عنه إلى غيره من الابدال؛ فإنّ هذا الأثر دليل على حقيقة الحبّ وإن عجز اللفظ عن وصف بيانه.

الثاني: لا يوجد من أنِس بقرب الله وحصلت له طمأنيته النفس ثم

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «فرام بدلاً منك»، ورام: أي طلب.

(٢) كذا في (ط)، ولم ترد في بعض النسخ: «إلهي».

(٣) حولاً: انتقالاً.

[٧/٧٦ ـ دعاء المريد]:

فَكُنْ أَنِيسِي فِي وَحْشَتِي، وَمُقِيلَ عَثْرَتِي، وَغافِرَ زَلَّتِي، وَقابِلَ تَوْبَتِي، وَمُجِيبَ دَعْوَتِي، وَوَلِيَّ عِصْمَتِي، وَمُغْنِيَ فاقَتِي[(١)].

وَلا تَقْطَعْنِي عَنْكَ، وَلا تُبْعِدْنِي مِنْكَ، يا نَعِيمِي وَجَنَّتِي، وَيا دُنْيايَ وَآخِرَتِي، يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[(٢)].

وختم الدعاء بما يعبّر عن الرغبة الصادقة الّتي لا يمكن أن تتحقّق إلّا بإرادته تعالى، وهي:

١ ـ الأُنس في الوحشة، وهي الخلوة.

٢ ـ إقالة العثرة بحكم الطبيعة.

٣ ـ غفران الزلّة غير المتعمّدة.

٤ ـ قبول التوبة بالرجوع والإنابة.

٥ ـ إجابة الدعوة في الحال.

٦ ـ ولاية العصمة في المستقبل.

٧ ـ إغناء الفاقة إلى غيره تعالى.

٨ ـ عدم القطيعة من الإرشاد.

٩ ـ عدم الإبعاد من رحمة الله.

فإنّ هذه الرغبات لا تتحقق إلّا فيمن عاش حياته كلّها لله، ولا ينظر في الحياة ولا بعد الممات لشيء إلّا لكونه من مظاهر رحمته الواسعة؛ لأنّ الله تعالى هو النعيم الحقيقي، وهو الجنّة، وهو الدنيا، وهو الآخرة، فلا شيء في الحقيقة له وجود حقيقيّ سوى وجود الله سبحانه، وكافّة المخلوقات وجودها مستندة إلى الله وحده لا شريك له.

---

(١) فاقتي: فقري وحاجتي.

(٢) كذا في (ط)، ولم ترد في بعض النسخ: «إنك على كل شيء قدير».

يَّتِكَ، وَاخْتَرْتَهُ لِمُناجاتِكَ، وَقَطَعْتَ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ يَقْطَعُهُ عَنْكَ.

وأشار في هذا المقطع إلى آثار الحب الإلهي الّتي لا تتحقق إلّا بإرادته عالى، وهي:

١ ـ التقرّب إلى الله معنويّاً.

٢ ـ ولاية الله، دون سواه.

٣ ـ الاخلاص في الودّ والمحبة.

٤ ـ الشوق إلى لقاء الله.

٥ ـ الرضا بقضاء الله.

٦ ـ النظر إلى وجه الله سبحانه بالنّظر إلى آثار عظمته.

٧ ـ الحباء برضا الله، والحبوة: العطية بلا بدل.

٨ ـ الإعاذة من هجر الله، أي مقاطعة أوامره، والقلى: البغض.

٩ ـ التبوّء في جوار الله، والتبوّء في المكان: الاقامة فيه، والمقعد الصدق: لمكان المناسب الذي يرضى به الله.

١٠ ـ معرفة الله معرفة حقّ اليقين.

١١ ـ عبادة الله في كلّ الأحوال بما يقتضيه الحال.

١٢ ـ الهيام بما أراد الله، وهو شدّة الرغبة والشوق لتطبيق إرادة الله، بأن كون قلبه موافقاً لما يريده تعالى.

١٣ ـ مشاهدة الله بمشاهدة آثاره في الخلق.

١٤ ـ الخلوة مع الله، بأن لا يوجّه وجهه إلّا إلى الكريم تعالى.

١٥ ـ حبّ الله عن فرق، وهو الفزع الشديد للقلب.

١٦ ـ رقابة الله، والرقابة: الحراسة، بأن يرى الله تعالى رقيبا عليه.

١٧ ـ ذكر الله بما يلهمه مما يناسب الحال والمقال.

١٨ ـ شكر الله، بأن يوزعه ذلك، والوَزُوع: الالهام.

١٩ ـ طاعة الله، فلا يشتغل بما لا ينفع النفس او المجتمع.

٢٠ ـ الصلاح بالدخول في زمرة الصالحين.

أعرض عن حالة الطمأنينة هذه إلى حالة القلق وإن قصر اللسان عن وصف الحالة.

فإنّ هاتين الحقيقتين تكفيان في إثبات حقيقة الحبّ الإلهي الحاكم في الوجود.

[٢/٧٧ ـ آثار الحب]:

إلهي، فَاجْعَلْنا مِمَّنِ اصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ وَوِلايَتِكَ، وَاَخْلَصْتَهُ لِوُدِّكَ وَمَحَبَّتِكَ، وَشَوَّقْتَهُ إِلَى لِقآئِكَ، وَرَضَّيْتَهُ بِقَضآئِكَ، وَمَنَحْتَهُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَحَبَوْتَهُ[١] بِرِضاكَ، وَأَعَذْتَهُ مِنْ هَجْرِكَ وَقِلاكَ، وَبَوَّأْتَهُ[٢] مَقْعَدَ الصِّدْقِ في جِوارِكَ[٣]، وَخَصَصْتَهُ بِمَعْرِفَتِكَ، وَأَهَّلْتَهُ لِعِبادَتِكَ، وَهَيَّمْتَ[٤] قَلْبَهُ لإِرادَتِكَ، وَاجْتَبَيْتَهُ لِمُشاهَدَتِكَ، وَأَخْلَيْتَ وَجْهَهُ لَكَ، وَفَرَّقْتَ[٥] فُؤادَهُ لِحُبِّكَ، وَرَقَّبْتَهُ[٦] فيما عِنْدَكَ، وَأَلْهَمْتَهُ ذِكْرَكَ، وَاَوْزَعْتَهُ[٧] شُكْرَكَ، وَشَغَلْتَهُ بِطاعَتِكَ، وَصَيَّرْتَهُ مِنْ صالِحي

---

(١) حبوته: أعطيته.

(٢) بوأته: أنزلته وأسكنته.

(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «مقعد الصدق في جوارك».

(٤) هيمت: حببت وصرفت.

(٥) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «وفرغت».

(٦) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «ورغّبته»، وفي العين (٥: ١٥٤): رقب: رقبت الشيء أرقبه رقبة ورقباناً أي انتظرت. وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (سورة طه ٢٠: ٩٤) أي لم تنتظر. والترقّب: تنظر الشيء وتوقعه. وفي الصحاح (١: ١٣٧): الرقيب: الحافظ. والرقيب: المنتظر. تقول: رقبت الشيء أرقبه رقوبا، ورقبة ورقبانا، بالكسر فيهما: إذا رصدته. وقال أحمد بن فارس بن زكريا في معجم مقاييس اللغة (٢: ٤٢٧): (رقب) الراء والقاف والباء أصل واحد مطرد، يدل على انتصابٍ لمراعاة شيء. من ذلك: الرقيب، وهو الحافظ. يقال: منه رقبت أرقب رقبة ورقباناً. والمرقب: المكان العالي يقف عليه الناظر.

(٧) أوزعته: ألهمته.

والهيبة: الخوف؛ فإنّ الخوف يؤثّر في خفقان القلب بنسبة شدّة الخوف في الإنسان، والمحبّ يزداد خوفه من أي تقصير قد يؤثّر في الحب.

فإنّ حالة المحبّ حالة الانتظار والتأهب الذي لا يهمّه في الحب سوى رضى المحبوب، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً ولا حياةً ولا نشوراً سوى إرادة الله.

[٤/٧٧ ـ دعاء المحبّ]:

يا مَنْ اَنْوارُ قُدْسِهِ لِأَبْصارِ مُحِبّيهِ رائِقَةٌ، وَسُبُحاتُ نور وَجْهِهِ لِقُلُوبِ عارِفِيهِ شآئِقَةٌ[(١)]، يا مُنى قُلُوبِ الْمُشْتاقينَ، وَيا غايَةَ آمالِ[(٢)] الْمُحِبّينَ.

أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ كُلِّ عَمَل يُوصِلُني إِلَى قُرْبِكَ[(٣)]، وَأَنْ تَجْعَلَكَ[(٤)] أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّنْ[(٥)] سِواكَ، وَأَنْ تَجْعَلَ حُبّي

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «وسُبُحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة».

(٢) كذا في (ط)، ولم ترد: «آمال» في بعض النسخ.

(٣) في بعض النسخ: «وحبّ كلّ عمل يوصلني إِلَى حبك»، وفي بعض النسخ: «وحبّ كلّ ما يوصلني إِلَى حبك».

(٤) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «وحبّ كلّ عمل يوصلني إِلَى قربك، أن تجعلك». هكذا وردت العبارة في المصادر، وفسرها بعض العلماء بقوله: أن تجعل نفسك أحب إليّ من غيرك. (محمد حسين بن محمد صالح الحسيني، كما في ملحقات الصحيفة، للمجلسي، نسخة م/آستان قدس، برقم ١١٩٨٣)، وراجع: بحار الأنوار٩١: ١٤٩، ومفاتيح الجنان، ص ٢١٨، وقد روى معنى هذه الفقرة العامة أيضاً، كما في تفسير ابن كثير ٤: ٤٧، وتاريخ مدينة دمشق ٣٣: ٣٨١، وفي الأخير: في حديث أبي سهل، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، يقول: كان داود عليه السلام يقول: اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي والماء البارد.

(٥) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «ممّا».

٢١ ـ مناجاة الله بالتحدّث معه في الحياة في تحقيق آماله وتخفيف آلامه.

والمناجاة على حقيقتها تستلزم الانقطاع إلى الله تعالى وحده، والقطيعة عمّا يكون سبباً قاطعاً عن التقرب إلى الله تعالى؛ فإنّ الحب الحقيقي لله تعالى لا يتحقق إلّا باجتماع هذه الآثار في حياة الإنسان.

[٣/٧٧ ـ حالة المحبّين]:

اَللّهُمَّ، اجْعَلْنا مِمَّنْ دَأْبُهُمُ الارْتِياعُ(١) اِلَيْكَ وَالْحَنينُ، وَدَهْرُهُمُ الزَّفْرَةُ وَالاَنينُ، جِباهُهُمْ ساجِدَةٌ لِعَظَمَتِكَ، وَعُيُونُهُمْ ساهِرَةٌ في خِدْمَتِكَ، وَدُمُوعُهُمْ سائِلَةٌ مِنْ خَشْيَتِكَ، وَقُلُوبُهُمْ مُعَلَّقَةٌ(٢) بِمَحَبَّتِكَ، وَاَفْئِدَتُهُمْ مُنْخَلِعَةٌ مِنْ هَيبَتِكَ(٣).

وحالة المحبّين لها صفات خاصة بهم يعرفون بها، وهي:

١ ـ الارتياع والحنين إلى الله، والروع: الفزع بالدأب، أي التعب في ذلك.

٢ ـ الزفرة والأنين طول الدهر، والزفرة: النفس الطويل بحرارة من التألّم طلباً للعفو، والدهر: الزمان.

٣ ـ السجود بالجبهة لعظمة الله خضوعاً.

٤ ـ العيون الساهرة في خدمة الله بخدمة الخلق.

٥ ـ الدموع السائلة من خشية الله.

٦ ـ القلوب المعلقة حياتها بمحبّة الله، ولولا حبّ الله لكانوا أمواتاً.

٧ ـ الأفئدة المنخلعة من هيبة الله، والافئدة جمع الفؤاد، وهو رأس القلب، وهي كناية عن الروح المتأثرة من هيبته الله سبحانه.

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «الارتياح».
(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «متعلّقة».
(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «مهابتك».

فإنّ هذه النداءآت المتسلسلة تعبّر عن الحبّ الحقيقي المستولي على وجود الداعي المحب.

وعقّب هذه النداءآت باعلان الحب من الله تعالى، ولما يترتب على حبّه سبحانه، وهي:

١ ـ حبّ الله تعالى.

٢ ـ حبّ من يحبّ الله.

٣ ـ حبّ كل عمل يوصل إلى قرب الله.

٤ ـ يكون الله أحبّ اليه ممن سواه.

٥ ـ الحبّ القائد إلى رضوان الله.

٦ ـ الشوق الذائد عن العصيان، والذود: المنع.

٧ ـ المنّة بالنظر إلى الله بواسطة النظر إلى عظمة آثاره.

٨ ـ الودّ والعطف من الله.

٩ ـ عدم الإعراض، واكتنى عن ذلك بصرف الوجه.

١٠ ـ كون المحبّ من أهل السعادة، وهي اليمن، بالقيام بما يجب عليه من المسؤوليات، ويستلزم ذلك أن يكون من أهل الحظوة، أي محظوظاً بالتقرّب إلى الله تعالى؛ لأنه يقوم بواجبه.

فإنّ هذه النقاط العشر للحب تكوّن الثوابت الأصليّة في إعداد العضو الصالح في المجتمع.

إيّاكَ قائِداً إلَى رِضْوانِكَ، وَشَوْقي إلَيْكَ ذائِداً[١] عَنْ عِصْيانِكَ، وَامْنُنْ عَلَيَّ[٢] بِالنَّظَرِ إلَيْكَ، وَانْظُرْ بِعَيْنِ الْوُدِّ وَالْعَطْفِ إلَيَّ، وَلا تَصْرِفْ عَنّي وَجْهَكَ، وَاجْعَلْني مِنْ أَهْلِ السعادةِ[٣] وَالْحَظْوَةِ[٤] عِنْدَكَ[٥]، برحمتك يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ، إنّكَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ[٦].

وحيث لا يملك المحبّ سوى الدعاء بأن يكون حاله حالة المحبّين، ختم الدعاء بذلك مستغيثاً إلى الله بسلسلة نداءآت تتضمّن الصفات الإلهيّة الّتي ينحلها الله للمحبّين، وهي:

١ ـ (أنوار قدسه الرائقة لأبصار المحبّين)، والرائق: المنتصب، فإنّ الأنوار تكون ظاهرة كالمنصوب علماً.

٢ ـ (سُبُحات نوره سائقة)، والسوق: الحثّ الشديد على السير، والسبحات: الأنوار التي توجب التنزيه، من دلائل وجود الله سبحانه، والوجه: كناية عن الوجود؛ فإنّ دلائل وجوده تعالى تسوق قلوب العارفين نحو الخير والإيمان المقرون بالعمل.

٣ ـ (منُى قلوب المشتاقين) فإنّ الشوق ـ وهو شدّة الحب ـ تعمر القلوب الّتي تتمنّى رحمته.

٤ ـ (غاية آمال المحسنين) فإنّ الإحسان انما يكون للوصول إلى رضاه تعالى، فهو غاية الآمال الذي بإرادته تتغيّر الأحوال.

---

(١) ذائداً: دافعاً.
(٢) كذا في (ط)، ولم ترد: «علي» في بعض النسخ.
(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في بعض النسخ: «الإسعاد».
(٤) الحظوة: المكانة والمنزلة.
(٥) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في بعض النسخ زيادة: «يا مجيب».
(٦) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط) كتب على هذه العبارة نسخة، ولم ترد: «إنك على كل شيء قدير» في بعض النسخ.

١ ـ عواطف الرحمة، وهي الشفقة والعطف وتكرارها، وهي لكثرتها خارجة عن الحصر بالأنواع والأعداد، فهي وسيلة عامة.

٢ ـ عوارف الرأفة، وهي شدّة الرحمة، والعارفة: ما يعرف من المعروف، وجمعها بالتكسير للدلالة على كثرتها، وهي أيضاً ما تعدّ ذريعة مقدّرة بمقياس خاص، فهما وسيلتان خاصّتان.

٣ ـ شفاعة النبيّ ﷺ، فإنّ من أوصافه أنّه: نبيّ الرحمة، ومنقذ الأُمة من الغمّة، وهي الحيرة، والمتوسل من الامة مفتقر إلى الرحمة فيفتقر إلى شفاعته ﷺ.

وقد قدّم المتوسّل هذه الوسائل الثلاث لقبول الدعاء.

وتثنية الضمير إمّا لأجل أنّ الرحمة والرأفة من جنس واحد، وان تميّز الأخيرين بالشدة، وإمّا لأن الاخيرين، هما الرأفة والشفاعة وسيلتان خاصتان لا يتوسّل بهما إلّا في حالات خاصّة، وهي حالة المتوسل. وقد جعلها سبباً من الأسباب للتوسل لنيل المغفرة الّتي لا تتحقق إلّا بأن يصيّرهما الله سبحانه وتعالى وصلة أي واسطة يتوصل بها إلى الفوز بالرضوان من الرحمان، والله المستعان.

[٢/٧٨ ـ أهداف الوسيلة]:

وَقَدْ حَلَّ[1] رَجآئي بِحَرَمِ كَرَمِكَ، وَحَطَّ طَمَعي[2] بِفِناءِ جُودِكَ. فَحقِّقْ فيكَ أَمَلي، وَاخْتِمْ بِالْخَيْرِ عَمَلي، وَاجْعَلْني مِنْ صَفْوَتِكَ الَّذينَ أَحْلَلْتَهُمْ بُحْبُوحَةَ جنَّتِكَ، وَبوَّأْتَهُمْ دارَ كَرامَتِكَ، وَأَقْرَرْتَ أَعْيُنَهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ يَوْمَ لِقآئِكَ، وَأَوْرَثْتَهُمْ مَنازِلَ الصِّدْقِ في جِوارِكَ.

استعرض في هذا المقطع الأهداف الّتي من أجلها قدّم الوسيلة، وهو حال رجاء الكرم من الله سبحانه حيث نزل في فناء جود الله، والفناء هو الساحة امام البيت، والمقصود النزول فيه، من باب الدعاء، وتضمن من الاهداف:

---

(١) حل: نزل.
(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «حططت رحلي».

[الدعاء الثامن والسّبعون]

المناجاة العاشرة للمتوسلين

(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

[١/٧٨ ـ ما يتوسّل به]:

إِلهي، لَيْسَ لي وَسيلَةٌ اِلَيْكَ اِلّا عَواطِفُ رَأْفَتِكَ[١]، وَلا لي ذَريعَةٌ اِلَيْكَ اِلّا عَوارِفُ رَحْمَتِكَ[٢] وَشَفاعَةُ نَبِيِّكَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَمُنْقِذِ[٣] الْأُمَّةِ مِنَ الْغُمَّةِ، فَاجْعَلْهُما لي سَبَباً إِلى نَيْلِ غُفْرانِكَ، وَصَيِّرْهُما لي وُصْلَةً إِلَى الْفَوْزِ بِرِضْوانِكَ.

الوسيلة ـ لغة ـ: ما يتوسل به برغبة، والوسيلة إلى الله سبحانه لا تكون حقيقية إلّا بالتقرّب إليه بالطاعات والعبادات والخيرات، وقد ندب سبحانه إلى ذلك بقوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤].

استفتح الدعاء بما يتوسل اليه العبد بصورة عامة، وسرد أُموراً ثلاثة قدّمها وسيلة عامّة لقبول الدعاء وذريعة بمقياس مقدّر كالذراع لوسيلة خاصة، وهي ثلاث:

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «رحمتك».

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «رأفتك».

(٣) الغمة: الكرب.

(٤) القرآن الكريم، سورة المائدة ٥: ٣٥.

وختم الدعاء بحالات المتوسّل الّتي تقتضي قبول الوسيلة بسلسلة من نداآت الميسّرة اليها، وهي:

١ ـ الوفود على الكريم الذي لا يفد الوافدون على أكرم منه.

٢ ـ طلب الرحمة، من الذي لا يجد القاصدون أرحم منه.

٣ ـ الخلوة بالله، الذي هو خير من خلا به وحيد كالمتوسّل.

٤ ـ التعطّف من الله الذي هو أعطف من آوى إليه طريد.

٥ ـ مدّ اليدين لطلب العفو من واسع العفو والرحمة.

٦ ـ التمسّك بالكفّين بحبل الكرم الإلهي الذي لا انفصام له.

وهذه الحالات تقتضي قبول الدعاء بعدم توالي الحرمان، والتوالي: التتابع سبب العصيان؛ فإنّ ذلك يستلزم الخيبة في تقديم الوسيلة، وبالنتيجة عدم تحقق لأهداف المقصودة منها.

١ ـ تحقيق الأمل بإجابة الدعاء.

٢ ـ الختم بالخير وهو القبول للأعمال الّتي قدّمها.

٣ ـ الحلول في بحبوحة الجنّة، وبحبوحة المكان: وسطه، ولايكون إلّا للصفوة المختارة.

٤ ـ تبوّء دار الكرامة، والبوء: الرجوع، فيكون دار الكرامة مرجعهم الدائم.

٥ ـ قرّة العين وبردها بالنظر إلى آثار الرحمة يوم لقاء الله تعالى في الآخرة.

٦ ـ نيل جوار الله، بالقرب إليه معنوياً بالنزول فيما صدق به الوعد.

فإنّ هذه الأهداف متدرّجة ابتداءً من العمل في الدنيا بتحصيل الأسباب الّتي من شأنها أن توصل إلى تلك الأهداف، وانتهاءً بالقرب المعنوي من الله سبحانه والجوار في المنازل الموعودة، حيث أنّها النتيجة المحتومة لمسيرة التكامل الروحي.

[٣/٧٨ ـ حالة المتوسّل]:

يا مَنْ لا يَفِدُ[١] الْوافِدُونَ عَلى اَكْرَمَ مِنْهُ، وَلا يَجِدُ الْقاصِدُونَ اَرْحَمَ مِنْهُ، يا خَيْرَ مَنْ خَلا بِهِ وَحيدٌ، وَيا اَعْطَفَ مَنْ آوى اِلَيْهِ طَريدٌ، إِلَى سَعَةِ عَفْوِكَ مَدَدْتُ يَدي، وَبِذَيْلِ كَرَمِكَ أَعْلَقْتُ[٢] كَفّي، فَلا تُوالِنِي[٣] الْحِرْمانَ، وَلا تُبْلِني[٤] بِالْخَيْبَةِ وَالْخُسْرانِ، يا منّان[٥]، يا سَميعَ الدُّعآءِ[٦].

---

(١) لا يفد: لا يرد.

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «أعلقت».

(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «تولّني». وتولني: أي تقلّدني.

(٤) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «تبلني».

(٥) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في بعض النسخ كتب على: «يا منان»: نسخة.

(٦) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة زيادة: «يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ».

الفقر ـ لغة ـ: الحاجة، وهو فقدان الكفاف مما يحتاج اليه الإنسان في لحياة، سواءً في ذلك الأُمور الماديّة كما هو المفهوم من الكلمة عادة، أو الأُمور لمعنوية كما هي المراد في هذا الدعاء، وقد سرد في هذا المقطع ما يفتقر إليه لإنسان، والسبب الموجب لهذا الافتقار، والأثر الذي يترتّب على حصول ما فتقر اليه، وهي:

١ ـ لطف الله، واللطف: هو الرفق، والحالة الّتي يعيشها الداعي من لإنكسار المعنوي لا يمكن ان يجبر بالوسائل الماديّة، بل يفتقر إلى علاج روحي كون جبراً أي اصلاحاً لها، ولا يتحقّق ذلك إلّا برفقه سبحانه على حالة المفتقر لى رفقه.

٢ ـ الحسنة من الله سبحانه، وهي الفعل الحسن، وما أكثر حسناته سبحانه على العباد؟

٣ ـ العطف، وهو الميل إلى الشيء؛ فإنّ ميله تعالى إلى المفتقر ينقذه من حالة الفقر.

٤ ـ الاحسان، وهو جعل الشيء حسناً بتغيير حالة الفقر الّتي يعيشها الداعي لى حالة الغنى الروحي.

٥ ـ الأمان، فإنّ حالة الروع ـ وهو الفزع ـ لا مسكّن لها سوى أمان الله.

٦ ـ العزّ، وهو الشرف، وسلطان الله سبحانه هو الذي يغيّر حالة الداعي من لفقر إلى العزّ.

٧ ـ بلوغ الأُمنية الّتي يتمنّاها المفتقر، ولا يمكن ذلك إلّا بفضله تعالى.

٨ ـ سدّ الخلة، وهي الثقبة الّتي تحصل في الحياة وتحدث خللا في النظام و اتّسعت، فيفقر الإنسان إلى سدها، ولا سادّ لها سوى طوله تعالى، والطول: لغنى.

٩ ـ قضاء الحاجة، مما يفتقر إليه الإنسان، فإنّه لا يمكن ذلك إلّا بإرادة الله سبحانه.

١٠ ـ الفرج من الكرب، وهو المكروه، ولا يكون ذلك إلّا برحمة الله الواسعة.

[الدعاء التاسع والسّبعون]

المناجاة الحادية عشر للمفتقرين

(بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

[١/٧٩ ـ الاستغاثة]:

إلهي، كَسْرِي لا يَجْبُرُهُ إلّا لُطْفُكَ وَحنانُكَ[١]، وَفَقْري لا يُغْنيهِ إلّا عَطْفُكَ وَإحْسانُكَ، وَرَوْعَتي لا يُسَكِّنُها إلّا أمَانُك، وذِلّتي لا يعزّها إلّا سُلطانُكَ، وأُمِنيَّتي لا يُبَلّغُها إلّا فَضلُك، وخَلّتي لا يسدّها إلّا طوْلُك، وحاجتي إليك[٢] لا يَقْضيها غَيْرُكَ، وَكَرْبي لا يفرّجه سوى رَحْمتُك، وضُرّي لا يكشفه غير رأفتك، وغَلّتي لا يبرّدُها إلّا فَضْلَكَ[٣]، وَلَوعَتِي[٤] لا يطفئُها إلّا لِقَاؤُكَ، وشوقي إليك لا يُبلّهُ[٥] إلّا النظر إلَى وجهك، وقراري لا يقرُّ دون دُنُوّي منك، ولهفتي لا يَرُدّها إلّا رَوْحُك، وسُقمي لا يشفيه إلّا طِبُّكَ، وغمّي لا يزيله إلّا قُربُك، وجرحي لا يبريه[٦] إلّا صَفْحُكَ، وَرَيْنُ قَلْبي لا يَجْلُوهُ إلّا غُفْرِكَ[٧]، ووَسْواسُ صَدْري لا يُزيحُهُ إلّا أَمْرُكَ.

---

(١) كذا في (ط)، وفي بعض النسخ وردت الكلمة هكذا: «وحناتك».

(٢) كذا في (ط)، ولم ترد في بعض النسخ: «إليك».

(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة وردت الكلمة هكذا: «وصلك».

(٤) لوعتي: حرقتي.

(٥) لا يبلّه: لا يشفيه.

(٦) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «وجرمي».

(٧) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «إلّا عفوك وغفرك»، وفي الهامش: «غفرك ـ صح».

[٢/٧٩ ـ نداآت استغاثة]:

فَيا مُنْتَهى أَمَلِ الْآمِلِينَ، وَيا غايَةَ سُؤْلِ السّآئِلِينَ، وَيا أَقْصى طلْبَةِ الطّالِبِينَ، وَيا أَعْلى رَغْبَةِ الرّاغِبِينَ، وَيا وَلِيَّ الصّالِحِينَ، وَيا أَمانَ الْخآئِفِينَ، وَيا مُجِيبَ دَعْوَةِ[1] الْمُضْطَرِّينَ، وَيا ذُخْرَ الْمُعْدَمِينَ، وَيا كَنْزَ الْبآئِسِينَ، وَيا غِياثَ الْمُسْتَغِيثِينَ، وَيا قاضِيَ حَوآئِجِ الْفُقَرآءِ وَالْمَساكِينَ، و[2]يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ، و[3]يا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ[4].

واستعرض في هذا المقطع حالة المفتقر المقتضية لإجابة دعائه بتأمين ما يفتقر إليه في سلسلة من النداآت المستوجبة لذلك، وهي:

١ ـ (يا منتهى أمل الآملين) حيث ينقطع الأمل من أيّ طريق آخر سواه تعالى.

٢ ـ (يا غاية سؤل السائلين) فإنّ أي مسؤول آخر يعجز عن إجابة السؤال الذي يريده الداعي.

٣ ـ (يا أقصى طلبة الطالبين) فإنّ الله غاية الغايات التي ليس وراءه منتهى، وهو قاضي الحاجات الّتي لا يقضيها غيره، والطلبة: ما يطلب من الغير.

٤ ـ (يا أعلى رغبة الراغبين) حيث لا يوجد للداعي أعلى من يرجع اليه سوى الله فيما يرغب.

٥ ـ (يا وليّ الصالحين) بالنظر والحبّ.

٦ ـ (يا أمان الخائفين) باستجابة الدعاء.

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في بعض النسخ كتب على «دعوة»: نسخة.

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في بعض النسخ كتب على «الواو»: نسخة.

(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في بعض النسخ كتب على «الواو»: نسخة.

(٤) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في بعض النسخ: «ويا أكرم الأكرمين ويا أَرْحَمَ الراحمين».

١١ ـ كشف الضرّ، وهو الحاجة الشديدة الداهية، ولا كاشف لها سوى شدة رحمته بالرأفة.

١٢ ـ رفع العطش، وكنّى عن ذلك ببرد الغلّة، والغلة هي شدة العطش الروحي، ولا يكون ذلك إلّا بالوصول إلى الله.

١٣ ـ اطفاء اللوعة، وهي شدّة الحرقة الروحية الّتي لا يمكن إطفاؤها إلا بلقاء الله.

١٤ ـ الشوق، وهو شدّة الحبّ، الذي لا يبله، أي لا يشفيه سوى النظر إلى وجه الله ويكون ذلك بالنظر إلى أنوار رحمته.

١٥ ـ الاستقرار على حالة طبيعية، كالقرار في مكان خاص؛ فإنّه لا يكون إلّا باللطف من الله سبحانه روحياً.

١٦ ـ السكون النفسي، وكنّى عن ذلك بردّ اللهفة، وهي شدّة الحسرة، ولا يكون ردّها إلّا برَوْحِ الله، والتروّح ـ بالفتح ـ هو شمّ الريح الموجب للراحة النفسية.

١٧ ـ الشفاء، فإنّ حالة السقم الذي يعيشها المفتقر هي حالة نفسية لا شفاء لها بالدواء المادي، بل تفتقر إلى الطب الروحي الذي ينبع من إرادة الله سبحانه.

١٨ ـ إزالة الغم المستولي على المفتقر في حياته، ولا يكون ذلك إلّا بالقرب من الله سبحانه.

١٩ ـ برءُ الجرح الروحي مهما كانت أسباب الجرح من المعاصي الّتي ارتكبها الإنسان في حياته أو كان قد قصّر في أداء واجباته على النحو المطلوب، فإنّ الجراحات الروحية هذه لا برء لها إلّا بصفحه وعفوه تعالى.

٢٠ ـ جلاء القلب بسبب حالة الافتقار الّتي ولدت الرّين وهو الدنس، ولا يمكن تطهيره منها إلّا بمغفرة الله تعالى.

٢١ ـ إزاحة الوسوسة من الشيطان، وهي الأفكار الّتي لا خير فيها للإنسان، ولا يكون ذلك إلّا بإرادته تعالى.

والمفتقر إلى هذه الأمور لا ملجأ له فيها سوى إرادة الله سبحانه، لأنّها خارجة عن نطاق القدرة البشرية الماديّة، والله سبحانه على كلّ شيء قدير.

٢ ـ السؤال منه وحده.

٣ ـ التضرّع إلى الله وحده.

٤ ـ الابتهال اليه وحده، وهو الدعاء.

فإنّ الله تعالى وحده هو الحقيق بالدعاء لنيل الراحة في رضوانه تعالى، وإدامة النعم التي منها: نعمة الحياة بامتنان منه، دون سواه.

٥ ـ الوقوف بباب كرم الله، دون غيره.

٦ ـ التعرّض لنفحات البرّ منه تعالى، والنفحة: الرائحة الطيّبة المنتشرة.

٧ ـ الاعتصام بحبل الله تعالى الشديد في القوّة.

٨ ـ الاستمساك بعروة الله تعالى الوثقى، فلا وسيلة أوثق منها في النجاة من مشاكل الحياة.

والمفتقر في حالاته هذه يقتضي ان تشمله الرحمة الإلهيّة، والنجاة بسبب افتقاره اليها.

[٤/٧٩ ـ دعاء المفتقر]:

إِلهي، إِرْحَمْ عَبْدَكَ الذَّليلَ، ذَا اللِّسانِ الْكَليلِ[١]، وَالْعَمَلِ الْقَليلِ، وَامْنُنْ عَلَيْهِ بِطَوْلِكَ الْجَميلِ[٢]، وَاكْنُفْهُ[٣] تَحْتَ ظِلِّكَ الظَّليلِ، يا كَريمُ، يا جليل، يا عظيم، يا جَميلُ[٤]، برحمتك[٥] يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ.

وختم الدعاء بالتأكيد على أنّ حالة العبد من الذلّة تقصر عن الوصف؛ فإنّ الذي يعيش في حالة خاصة لا يمكنه وصف تلك الحالة لشدة استيلائها على

---

(١) الكليل: العاجز.

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «الجزيل».

(٣) اكنفه: احفظه وارحمه.

(٤) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في بعض النسخ: «يا كريم يا جميل».

(٥) كذا في (ط)، ولم ترد «برحمتك» في نسخة.

٧ ـ (يا مجيب دعوة المضطرّين) لرفع حالة الاضطرار الّتي يعيشونها.

٨ ـ (يا ذخر المعدمين) المعدم: الفقير الذي لا شيء له اطلاقاً، والذخر: ما يعدّ لوقت الحاجة.

٩ ـ (يا كنز البائسين) والبؤس: شدّة الفقر.

١٠ ـ (يا غياث المستغيثين) والغياث: النصر السريع.

١١ ـ (يا قاضي حوائج الفقراء) الذين لا يملكون قوت السنة (والمساكين) الذين لا يملكون قوت اليوم؛ فإنّ حاجتهم هي تغيير حالتهم من الفقر إلى الغنى.

١٢ ـ (يا أرحم الراحمين) الذي يرحم من لا يرحمه العباد من الصالحين.

١٣ ـ (يا أكرم الأكرمين) فإنّ كرمه لا ينتهي إلى حدّ او مخلوق، بل يعمّ جميع المخلوقين في الأرض والسماوات؛ فإنّ هذه الصفات تستلزم عمومها لحالة المفتقر إليها.

[٣/٧٩ ـ حالة الداعي]:

لَكَ تَخَضُّعي وَسُؤالي، وَإلَيْكَ تَضَرُّعي وَابْتِهالي، اَسْأَلُكَ اَنْ تُنيلَني مِنْ رَوْحِ رِضْوانِكَ، وَتُديمَ عَلَيَّ نِعَمَ امْتِنانِكَ، وَها اَنَا ذا[١] بِبابِ كَرَمِكَ واقِفٌ، وَلِنَفَحاتِ بِرِّكَ مُتَعَرِّضٌ، وَبِحَبْلِكَ الشَّديدِ مُعْتَصِمٌ، وَبِعُرْوَتِكَ الْوُثْقى[٢] مُتَمَسِّكٌ[٣].

وقد أشار إلى حالة الداعي المقتضية للرحمة الإلهيّة المطلقة، وهي:

١ ـ الخضوع لله تعالى وحده، دون سواه.

---

(١) كذا في (ط)، ولم ترد في بعض النسخ: «ذا».

(٢) بعروتك الوثقى: بعقدك الوثيق.

(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «مستمسك».

[الدعاء المتمّم للثّمانين]

المناجاة الثانية عشر للعارفين

(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

[١/٨٠ ـ معنى المعرفة]:

إلهي، قَصُرَتِ الْألْسُنُ عَنْ بُلُوغِ ثَنائِكَ كَما يَليقُ بِجَلالِكَ، وَعَجَزَتِ الْعُقُولُ عَنْ إدْراكِ كُنْهِ[١] جَمالِكَ، وَانْحَسَرَتِ الأَبْصارُ دُونَ النَّظَرِ إلَى سُبُحَاتِ وَجْهِكَ[٢]، وَلَمْ تَجْعَلْ لِلْخَلْقِ طَريقاً إلَى مَعْرِفَتِكَ إلّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِكَ.

---

(١) الكنه: الجوهر، الحقيقة، الغاية.

(٢) السبحات، هي جمع سبحة، كغرفة وغرفات، والمراد صفات الله جل ثناؤه التي يسبحه بها المسبحون من جلاله وعظمته وقدرته وكبريائه. ووجه الله: ذاته ونفسه. (الفائق في غريب الحديث، للزمخشري ٢: ١١٤)، وفي «الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة» للشيخ جواد بن عباس الكربلائي (ج٢، ص ٣١٣ ـ ٣١٤): روي عنه أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ما الحقيقة؟ فقال عليه السلام: «ما لك والحقيقة؟ فقال كميل: أولست صاحب سرّك؟ فقال عليه السلام: بلى، ولكن يرشح عليك ما يطفح مني. فقال كميل: أومثلك يخيّب سائلاً؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة. فقال: زدني بياناً. فقال عليه السلام: محو الموهوم مع صحو المعلوم. فقال: زدني بيانا. فقال عليه السلام: هتك الستر لغلبة السرّ. فقال: زدني بيانا. فقال عليه السلام: نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره. قال: زدني بيانا. قال عليه السلام: أطف السراج فقد طلع الصبح. وقال في شرح قوله: «سبحات الجلال» ما نصّه: بضم السين، جمع سبحة ـ بضم السين وسكون الباء ـ بمعنى النور، وأيضا: يراد منه الجلال والعظمة، ومعلوم أن ذاته =

روحية الإنسان، فيكلّ اللسان، أي يتعب، وانما يمكن وصف الحالة بما هو أقرب إلى الواقع بالنسبة إلى من يشاهدها ويحس بها، فيكون وصفاً صادقاً، ولا أصدق من علمه تعالى بقلّة العمل الذي يقدّمه المفتقر.

وهذا التأكيد يقتضي ختم الدعاء باختيار ان يمتن الله عليه باعطاء سؤله. والامتنان: هو طلب المنة على المفتقر بطَول الله الجميل، والطَّول: القدرة، فإنّه على كلّ شيء قدير، ومن ذلك أن يجعله تحت ظله تعالى الظليل، والكنف: الناحية؛ فإنّ الحياة في كنف وظل الله تعالى يؤمّن كلّ ما يفتقر اليه الإنسان في رحلته الروحية، وذلك تحت قدرته المطلقة وكرمه الجليل.

واستفتح الدعاء بالاعتراف بالقصور الذاتي للإنسان الممكن المادّي، بأن ؤدّي واجبه تجاه الذات الواجب الوجود؛ فإنّ الممكن والواجب لا يجتمعان إلّا ي صفة الوجود، وبما أنّ وجود الممكن محتاج إلى وجود الواجب، يكون لوجود الحقيقي هو وجود الذات الموجد للممكنات بما فيها الإنسان، فكلما يقوم ه الممكن يكون قاصراً عمّا يليق بجلال الواجب تعالى. وأشار إلى نتيجة هذا لقصور الذاتي بما يترتب عليه من الامُور، وهي:

١ ـ القصور في الثناء اللائق بجلال الله تعالى، مهما تعدّدت الألفاظ إختلفت الألسن واللّغات.

٢ ـ عجز العقول عن إدراك كنه جماله تعالى، والكنه: الحقيقة؛ فإنّها من وازم الذات المقدسة.

٣ ـ ضعف الأبصار عن النظر إلى أنوار وجوده تعالى لعظمتها، وللتباين بين راجب الوجود وممكن الوجود؛ فإنّه كلّما يصل اليه الإنسان بفكره يكون نتيجة نكر إنسان مادّي، المحكوم بالأسباب الماديّة البحتة، فكيف يمكنه معرفة لمجرّدات البحتة على حقيقتها.

٢/٨٠ ـ صفات العارفين]:

إلهي، فَاجْعَلْنا مِنَ الَّذينَ تَرَسَّخَتْ[1] اَشْجارُ الشَّوْقِ اِلَيْكَ في

فهي حادثة. مضافا إلى أن كلّ واحد منها له حدّ وفصل يمتاز عن غيرها مفهوما، فلا بد من نفيها عنه تعالى، وإلّا يلزم الحدوث والتكثر في ذاته المقدسة، تعالى عن ذلك علوا كبيرا. قال عليه السلام: «كان الله ولم يكن معه شيء، والآن كما كان»، أي ليس مع ذاته المقدسة ما يقترن معها أزلاً وأبداً. فالحقيقة هو الكشف عن سبحات أنوار الصفات، وظهور الحقّ منفيا عنه تلك الصفات، وقد يراد منها: كشف الحدود الخلقية عن ذاته المقدسة، بيانه أنه تعالى قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾. (سورة الحديد ٥٧: ٤)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «بل هو في الأشياء بلا كيفية» كما في توحيد الصدوق، وقال: «يا من كلّ شيء موجود به، يا من كلّ شيء قائم به»، وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾. (سورة فصلت ٤١: ٥٤) قال عليه السلام: «لا يخلو منه مكان ولا يحويه مكان». (الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة، للشيخ جواد بن عباس الكربلائي ٢: ٣١٧ ـ ٣١٩).

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «توشحت».

المعرفة ـ لغة ـ: العلم، وهو إدراك الشيء على ما هو عليه حقيقةً.

= المقدسة محتجب بهذه الأشعة الجلالية والجمالية:

جمالك في كلّ الحقائق سائر وليس له إلّا جلالك ساتر

وقال عليه السلام: «يا من احتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه»، ومعلوم أن شدة النور وزيادته تكون مانعاً عن شهود من له النور، وهذا أمر ظاهر من الآيات والأحاديث والأدعية، وحينئذ نقول: التوحيد الحقيقي الكشفي الذي هو المسؤول عنه، والمراد به من الحقيقة: إنما يكون لأحد إذا انكشف عن قلبه أنوار الجلال الحاجبة له، وهذا لا يكون إلّا في قلب الموحّد، حيث إنه لا ظهور للتوحيد الحقيقي إلّا فيه. قال الله تعالى كما في الحديث القدسي المشهور: «لا تسعني أرضي ولا سمائي، بل يسعني قلب عبدي المؤمن». ثم إن هذا الكشف بما له من المعنى المصدري إنما هو من فعله تعالى، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ (سورة فصلت ٤١: ٥٣) حيث أسند الإراءة إلى نفسه تعالى، فهو تعالى يري أولياءه آياته في مظاهر الآفاق والأنفس إلى أن ينكشف لدى العبد أنه الحقّ الخالص غير المشوب بغيره، وقال عليه السلام: «يا من دلّ على ذاته بذاته»، فانكشاف تلك الأنوار بيده تعالى وفي ظرفه تظهر الحقيقة. هذا بحسب الواقع.

وأما إن كانت إضافة الكشف إلى مفعوله، فظاهر أن الكشف حينئذ فاعله هو الله تعالى. وإن كانت إضافته إلى فاعله، أي زوال تلك الصفات عن التوحيد الواقعي، فإسناده إلى الفاعل بحسب الظاهر مجازي، وإلّا فالفاعل في الحقيقة هو الله تعالى، كما هو المستفاد من قوله: «يا من دلّ على ذاته بذاته». فالحقيقة الظاهرة المكشوفة لا يشار إليها من جهة، لأنها خارجة عن الجهات، ومحيطة بها كما حقق في محلّه. ولذا قال عليه السلام: «من غير إشارة». وعن العلامة الحلي طاب ثراه ما لفظه: ولا يمكن الجواب عن كشف الحقيقة إلّا من آثارها على طريق الرمز والإشارة، كما قال عليه السلام: «الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة»، وذلك لأن الله تعالى محجوب بصفاته وصفاته الجلالية تتعلق بذاته، وصفاته الجمالية تتعلق بأفعاله، والسالك الطالب للحقّ إذا سلك المفاوز الجسمانية وعبر عن البحار الروحانية وصل إلى صفات الجمال، ثم إلى صفات الجلال، فإذا جاوزهما تجلت له الحقيقة، وقوله عليه السلام: «من غير إشارة»، أي أن الله تعالى منزّه عن أن يكون مشاراً إليه أو يكون له حدّ ونهاية، لأن هذه الصفات من صفات المحدثات، وإليه يشير قوله عليه السلام: «كلّ ما خطر ببالك وتصور في خيالك فالله تعالى بخلاف ذلك». ثم إن السبحات المراد بها: أنوار الجلال، أو نفس الجلال والعظمة، وقد يراد منها صفاته تعالى، والمراد بكشفها حينئذ: نفيها عنه تعالى، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وكمال الإخلاص نفي الصفات عنه.. إلخ» وقال علي بن موسى الرضا عليه السلام: «ونظام توحيده نفي الصفات عنه.. إلخ» والوجه فيه: أن الصفة لما كانت مخلوقة له تعالى كما دلت عليه الأحاديث الكثيرة في خلق الصفات، =

مربون من كأس الملاطفة من حياض المحبّة، حتى يتأصّل فيهم اللطف والرفق طبيعة ثانية.

٦ ـ الورود في المصافاة، وهي اخلاص الودّ، حيث أنهم يردون للشرب من شريعة الصافية التي هي منبع المصافاة.

وهذه الصفات هي أمور جامعة تحكم كل العارفين في الحياة.

٣/٨٠ ـ آثار المعرفة]:

قَدْ كُشِفَ الْغِطآءُ عَنْ بَصائِرِهِمْ[١]، وَانْجَلَتْ ظُلْمَةُ الرَّيْبِ عَنْ عَقائِدِهِمْ وَضَمآئِرِهِمْ، وَانْتَفَتْ مُخالَجَةُ[٢] الشَّكِّ عَنْ قُلُوبِهِمْ سَرآئِرِهِمْ، وَانْشَرَحَتْ بِتَحْقيقِ الْمَعْرِفَةِ صُدُورُهُمْ، وَعَلَتْ بِسَبْقِ[٣] سَّعادَةِ فِي الزَّهادَةِ هِمَمُهُمْ، وَعَذُبَ من[٤] مَعِينِ[٥] الْمُعامَلَةِ شِرْبُهُمْ، طابَ في مَجالِسِ[٦] الأُنْسِ شَرابُهُمْ[٧]، وَأَمِنَ في مَواطِنِ[٨] الْمَخافَةِ سِرْبُهُمْ[٩]، وَاطْمَأَنَّتْ بِالرُّجُوعِ إِلَى رَبِّ الأَرْبابِ أَنْفُسُهُمْ، وَتَيَقَّنَتْ لْفَوْزِ وَالْفَلاحِ أَرْواحُهُمْ، وَقَرَّتْ بِالنَّظَرِ إِلَى مَحْبُوبِهِمْ أَعْيُنُهُمْ، وَاسْتَقَرَّ دْراكِ السُّؤْلِ وَنَيْلِ الْمَأْمُولِ قَرارُهُمْ، وَرَبِحَتْ في بَيْعِ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ جارَتُهُمْ.

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «أَبْصارِهِمْ».

(٢) الاختلاج: الاضطراب والحركة.

(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «لسبق».

(٤) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «في».

(٥) المَعين: الظاهر الجاري من الماء.

(٦) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «مجلس».

(٧) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «سِرُّهُمْ».

(٨) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «موطن».

(٩) سربهم: نفوسهم وقلوبهم.

حَدآئِقِ صُدُورِهِمْ، وَاَخَذَتْ لَوْعَةُ مَحَبَّتِكَ بِمَجامِعِ قُلُوبِهِمْ، فَهُمْ إِلَى اَوْكارِ الاَذْكارِ[1] يَاْوُونَ، وَفي رِياضِ الْقُرْبِ وَالْمُكاشَفَةِ يَرْتَعُونَ[2]، وَمِنْ حِياضِ الْمَحَبَّةِ بِكَأْسِ الْمُلاطَفَةِ يَكْرَعُونَ، وَشَرايعَ الْمُصافاةِ[3] يَرِدُونَ.

وحيث لا يمكن المعرفة الحقيقية، أشار في هذا المقطع إلى صفات العارفين الّتي يتمتّع بها كلّ عارف في الحياة، وهي:

١ ـ الشوق إلى الله، وهي شدّة المحبّة، والرسوخ: الثبوت باستحكام بحيث لا يمكن الانقلاع؛ فإنّ شجرة الحبّ الراسخة في صدور العارفين لا يمكن أن تتزعزع مهما اشتدت العواصف.

٢ ـ الحبّ المحرق واللّوعة المحرقة؛ فإنّ للحب درجات، أعلاها: ما يأخذ بمجامع القلوب بالاستيلاء التامّ عليها جميعاً، ويحرق جسم المحبّ حتى يصل إلى ما يحب.

٣ ـ ذكر الله؛ فإنّ العارف يرجع إلى ذكر الله تعالى في كل حالة يواجهها، فهو كالطير يطير إلى مأمنه، فإنّ الوكر: عش الطائر، والايواء: النزول.

٤ ـ الاستئناس بقرب الله تعالى بمكاشفة الحقائق بالاستئناس به تعالى، والرتوع: الاقامة في المكان المخصب متنعّما برغد العيش.

٥ ـ الاكتراع بكأس اللطف، وهو الرفق، حيث إن العارفين يكرعون، أي

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «فهم إِلَى أوكار الأفكار».

(٢) يرتعون: يتنعمون.

(٣) صافي فلانا مصافاة: أخلص له الود، وقال السيد علي خان في شرح قوله عليه السلام: (والحزب الّذي لا نصافيه) في الدعاء ٤٤، ما نصه: وصافاه مصافاة: أخلصه الودّ، وصدقه المحبّة والإخاء وأصله من الصفو وهو الخلوص من الكدر. (رياض السالكين ٦: ٥٣ و٦٤). وفي المخصص، لابن سيده (ج٣ ق٣، السفر الثاني عشر، ص ٢٤٤)، عن ابن دريد: صافيته مُصافاة ـ صادَقته. وفي تاج العروس، للزبيدي (١٩: ٦٠١): صافاهُ مُصافَاةً: صَدَقَهُ الإِخاءَ. والمَودَّةَ؛ والاسْمُ منه الصَّفاءُ؛ وهو مجازٌ. كأصْفاهُ، يقالُ: أَصْفاهُ المَودَّةَ، أي أَخْلَصَها إيَّاهُ.

١٠ ـ اليقين بالفوز، وهو الظفر بما يقصدونه، والفلاح، وهو النجاح فيما يريدونه، فإنّ أرواح العارفين لانكشاف الحقائق لها تطمئنّ بالنتائج، حيث اختارت علم اليقين حتى وصلت إلى حقّ اليقين.

١١ ـ السرور، ويكنّى عن ذلك بقرّة العين، أي بردها وراحتها بالسرور بسبب النظر إلى المحبوب.

١٢ ـ الاستقرار النفسي بإدراك ما سألوا ونيل ما طلبوا بسبب الأعمال الصالحة.

١٣ ـ ربح التجارة في الدنيا والآخرة؛ فإنّ الأعمال الصالحة في الدنيا تنتج نتائجها في الآخرة فتكون التجارة رابحة؛ لأن الدنيا مزرعة الآخرة.

وهذه الآثار واضحة لمن يشاهد حياة العارفين في الدنيا، وتدلّ على أنّ المعرفة لها أثرها في شخصية العارف بالله.

[٨٠/٤ ـ دعاء العارف]:

إِلٰهي، ما أَلَذَّ خَواطِرَ الإلْهامِ بِذِكْرِكَ عَلَى الْقُلُوبِ، وَما أَحْلَى الْمَسيرَ إِلَيْكَ بِالْأَوْهامِ[(١)] في مَسالِكِ الْغُيُوبِ، وَما أَطْيَبَ طَعْمَ حُبِّكَ، وَما أَعْذَبَ شِرْبَ قُرْبِكَ، فَأَعِذْنا مِنْ طَرْدِكَ وَإِبْعادِكَ، وَاجْعَلْنا مِنْ أَخَصِّ عارِفيكَ وَأَصْلَحِ عِبادِكَ، وَأَصْدَقِ طائِعيكَ وَأَخْلَصِ عُبّادِكَ، يا عَظيمُ، يا جَليلُ، يا كَريمُ، يا مُنيلُ، بِرَحْمَتِكَ[(٢)] يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ.

وختم الدعاء بدعاء العارف بالله الذي يتمتّع بآثار المعرفة الّتي لا يحس بها غيره؛ فإنّ العارف ـ دون غيره ـ يتعجب من الآثار الّتي يحسّ بها، وقد عدّ منها:

١ ـ لذة القلوب بذكر الله، مما يخطر، أي يرد على القلب من إلهامه

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «وما أحلى المسير إليك بالأوهام».
(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة زيادة: «وَمَنِّكَ».

في هذا المقطع أشار عليه السلام إلى آثار المعرفة الّتي يستدل بها على تواجد المعرفة في نفوس العارفين، وهي:

١ ـ كشف الغطاء المادي عن أبصار العارفين؛ لأنهم ينظرون بنور الله تعالى.

٢ ـ انجلاء ظلمة الريب عن عقائدهم؛ لأنهم على يقين بمراتب حقّ اليقين الذي لا ريب فيه، فتكون الحقيقة في ضمائرهم أوّلا، وتؤثر في أفكارهم ثانياً، وتظهر في أعمالهم ثالثاً.

٣ ـ طهارة القلوب، وعلى إثر انجلاء ظلمة الريب تنتفي الشكوك ويحل محلّها اليقين، فيكون من آثار ذلك ان يكون الظاهر والباطن على حدّ سواءً حيث تطهر القلوب والسرائر.

٤ ـ انشراح الصدر، وهي كناية عن القناعة الفكرية بتحقق المعرفة والراحة النفسية التي يترتب عليها.

٥ ـ علوّ الهمة؛ فإنّ علوّ الهمة من الإيمان؛ حيث أنّ سلوك مدارج الكمال يدعو إلى الزهد في المادّيات، والزهد يدعو إلى السعادة الروحية، وهي تدعو إلى الاهتمام بالأمور العالية الّتي يتمكّن الإنسان من تحقيقها بنعمة الفكر والعقل الذي أكرمه الله تعالى به، وبذلك يخدم المجتمع ويفيدها فائدة أكثر من فائدة الجسم المادّي.

٦ ـ عذوبة المشرب؛ لأنّ أفكار العارفين ناتجة من العمل الصالح، فتكون آثارها كذلك.

٧ ـ طيب المجلس؛ لأنّ أُنس العارفين إنّما هو بالشرب من زلال منابع الحقيقة، وهو الله تعالى.

٨ ـ الأمن الاجتماعي في المجتمعات الّتي يقصدها العارفون فتكون الجماعة كالقطعة الواحدة.

٩ ـ طمأنينة النفس بالرجوع إلى ربّ الأرباب فيما يواجهونه من مشاكل الحياة.

[الدعاء الحادي والثّمانون]

المناجاة الثالثة عشر للذاكرين

(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

[١/٨١ ـ خصائص الذكر]:

إلهي، لَوْلَا الْواجِبُ مِنْ قَبُولِ أَمْرِكَ لَنَزَّهْتُكَ[١] عَنْ ذِكْري[٢] إِيّاكَ، عَلى اَنَّ ذِكْري لَكَ بِقَدْري لا بِقَدْرِكَ، وَما عَسى اَنْ يَبْلُغَ مِقْداري حَتّى أُجْعَلَ مَحَلّاً لِتَقْديسِكَ؟ وَمِنْ اَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَيْنا جَرَيانُ ذِكْرِكَ عَلى اَلْسِنَتِنا، وَاِذْنُكَ لَنا بِدُعآئِكَ، وَتَنْزيهِكَ، وَتَسْبيحِكَ.

الذكر ـ لغة ـ: الحفظ، وتتحقق آثار الذكر باللسان أو بالجنان أو الأركان، وذكر الله حسن على كل حال، وقد فصّلت كتب الأدعية فضله، وأفردت بالتأليف فيه كتب ورسائل وخاصة من العرفاء وأصحاب الطرق الصوفية، والمراد من الذكر ـ في اللّغة ـ: التلفّظ باسمه سبحانه المستجمع لجميع صفات الكمال، والتسبيح له وتقديسه.

واستفتح الدعاء بالإشارة إلى خصائص الذكر الثلاث، وهي:

١ ـ وجوب الذكر، حيث أمر به سبحانه بقوله: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[٣] وقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٤] والأمر يفيد الوجوب، والذكر بمعناه اللغوي، المتبادر منه:

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «لنزّهتك».

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «من ذكري».

(٣) القرآن الكريم، سورة الاحزاب ٣٣: ٤١.

(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٥٢.

تعالى؛ والالهام: إلقاء الشيء في النفس بالبعث على الشيء أو الزجر عنه، وهو دون الوحي الجلي.

٢ ـ حلاوة السير في مسالك الغيب الّتي تغيب عن الحس البشري، بالاعتماد على الوهم وهو كلّ ما يرد على القلب من خواطر من دون سبب مادّي، سواءً كان فيه بعثاً أو زجراً، كما في الإلهام، فإنّ السير في تلك المسالك مغامرة روحية.

٣ ـ طيب طعم الحبّ الذي لا يتذوّقه إلّا المحب المحترق بالحبّ.

٤ ـ عذوبة القرب من الله سبحانه؛ فإنّه كالشرب من زلال النبع الصافي؛ فإنّ هذه الآثار تدرك ولا توصف.

وحيث أنّ العارف بالله قد فاز بها، ختم المقطع الأخير بالدعاء بما يضمن استمرار هذه الحالة الروحية العالية بالبنود التالية:

١ ـ الاستعاذة من الطرد والإبعاد؛ خوفاً من الانزلاق بالغرور الذي أغوى الشيطان.

٢ ـ زيادة المعرفة، بأن يجعلنا الله من أخص العارفين الذين خصّهم بمعرفته.

٣ ـ زيادة الصلاح، بأنْ يجعلنا من أصلح العباد الذين ميّزهم بالاصلاح.

٤ ـ زيادة الطاعة، بأن يجعلنا من أصدق الطائعين الذين ميّزهم بالصدق في الطاعة.

٥ ـ زيادة الإخلاص، بأن يجعلنا من أخلص العباد الذين تميّزوا بالإخلاص.

فإنّ كلّ ذلك تحت قدرة الله تعالى العظيم الجليل الكريم المنيل، وهو على كلّ شيء قدير.

وأشار في هذا المقطع إلى أنواع الذكر الخفيّ والجليّ في مختلف الحالات، وهي التي وردت فيها ادعية خاصة، وهي:

١ ـ في الخلأ، حين يخلوا الإنسان بنفسه في أي زمان ومكان، حتى في بيت الخلاء.

٢ ـ وفي الملأ، حيث يجتمع المسلمون لصلاة الجماعة والجمعة والعيدين.

٣ ـ في الليل، حين يستسلم الإنسان للنوم.

٤ ـ في النهار، حين ييستيقظ الإنسان لممارسة الأعمال اليومية.

٥ ـ في الإعلان، حين يجتمع بالآخرين.

٦ ـ في الإسرار، حين لا يرغب في معرفة الناس أسراره.

٧ ـ في السرّاء، حين يحصل له ما يوجب المسرة.

٨ ـ في الضراء، حين ما يرد عليه ما يكرهه.

فإنّ الله لا يغيب عن الإنسان في أيّة حالة كان.

[٣/٨١ ـ آثار الذكر]:

وَآنِسْنا بِالذِّكْرِ الْخَفِيِّ، وَاسْتَعْمِلْنا بِالْعَمَلِ الزَّكِيِّ[١]، وَالسَّعْيِ الْمَرْضِيِّ، وَجازِنا بِالْميزانِ الْوَفِيِّ.

ثم أشار إلى آثار الذكر في حياة الذاكر، وهي:

١ ـ الأُنس بالذكر الخفيّ؛ فإنّ الإنسان أعرف من غيره بما يسرّه في نفسه، وبما أنّ ذكر الله خير محض، فيكون موجباً لاستئناس الإنسان به.

٢ ـ العمل الزكيّ؛ فإنّ الذكر لله يستلزم العمل على مقتضاه، ولا يكون إلّا زكيّا، والزكاة: النمو الطيب، فإنّ العمل التام يكون نامياً لانتفاع الآخرين به والاقتداء بعامله.

---

(١) الزكي: الطاهر.

التلفظ باسم الجلالة باللسان، فيجب ذكر الله سبحانه وان كان الامتثال لهذا الأمر يتحقّق في أداء الفرائض اليومية على الأقل عشر مرات في كلّ بسملة من كلّ سورة نقرأها في الصلاة.

ثم أشار إلى أنّ الهدف من الذكر هو العمل بمقضاه في الحياة، بأن يتصوّر الإنسان في نفسه انه اقل رتبة من ان يجري على لسانه الكلمات المقدسة إلّا بالاستعداد لها، كما لا يجوز له مسّ القرآن إلّا بالاستعداد بالطهارة بذلك، فإنّ اسم الذات المقدسة أرفع من أن تذكر على اللسان الذي تلوّث بالعصيان والغيبة والكلام الباطل، ولكن أمره تعالى بالذكر أمر مطاع لوجوبه؛ لأن الذكر يوجب تذكر مستلزماته من العمل.

٢ ـ شأن الذكر، فإنّ الإنسان بحكم كونه موجوداً مادياً محدوداً في القدر والشأن، فهو موجود ممكن، والله سبحانه واجب الوجود، فلا يكون لذكر الله أيّ أثر في الذات المقدسة، وانما يعود أثره على الإنسان نفسه، لكونه أصبح محلّ التقديس والتنزيه لله تعالى؛ فإنّ شأن الذكر وقدره محدود بشأن الذاكر وقدره.

٣ ـ نعمة الذكر، فإنّ أمره تعالى بذكره نعمة، حيث أن بسبب هذا الأمر جرى ذكر الله على لسان الإنسان؛ لأنه أذن بالدعاء له، والتنزيه من صفات الجلال، وتسبيحه بالتمجيد والصلاة.

ولا يعرف هذه النعمة إلّا بضدّها حينما تسلب من الإنسان، ويقع فريسة للأهواء والشهوات، نعوذ بالله من ذلك في الحياة وبعد الممات.

[٢/٨١ ـ أنواع الذكر]:

إِلهي، فَأَلْهِمْنا ذِكْرَكَ فِي الْخَلاءِ[١] وَالْمَلاءِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَالإِعْلانِ وَالإِسْرارِ، وَفِي السَّرّآءِ وَالضَّرّآءِ.

(١) الخلاء: المكان الذي ليس فيه أحد. ووردت العبارة في نسخة هكذا: «في الخلأ والملأ».

[٨١/٥ ـ السبب الداعي]:

أَنْتَ الْمُسَبَّحُ في كُلِّ مَكانٍ، وَالْمَعْبُودُ في كُلِّ زَمانٍ، وَالْمَوْجُودُ في كُلِّ أَوانٍ[١]، وَالْمَدْعُوُّ بِكُلِّ لِسانٍ، وَالْمُعَظَّمُ في كُلِّ جَنانٍ[٢].

والسبب الرئيس لهذه الدواعي الكامنة في الإنسان في مختلف الاديان، وهو جود الله سبحانه، وأشار إلى آثار ذلك، وذكر منها:

١ ـ التسبيح في كلّ مكان في الكون؛ ففي السماوات يسبّحه الملائكة، وفي لأرض الإنس والجن، وفي كلّ مكان من مخلوقات الله يسبحنه بالتسبيح الذي لا فقهه ذاته وآثاره[٣].

٢ ـ العبادة في كل زمان؛ فلا يخلو مقطع تاريخي في الزمان من عبادة دائية يتقرب بها اعضاء المجتمع البدائي إلى الله حسب فهمهم البدائي لمظاهر لقدرة الإلهيّة، وتعدّدت الاديان بعبادة تلك الآثار من الشمس والقمر والنجوم غيرها.

٣ ـ الدعاء بكلّ لسان، فإنّ كلّ مجتمع يدعوا الله باللغة الخاصة الّتي ستخدمها في الحياة اليومية والّتي لا يفهمها غير أفراد ذلك المجتمع.

٤ ـ التعظيم بالجنان، وهو الاعتقاد؛ فإنّ من يشاهد الآثار الطبيعية لّتي كشفها العلم الحديث لا يسعه إلّا الإذعان بعظمة القوّة المودعة فيها هذا النظام المتّبع الذي يحكم في تلك الآثار بدقة متناهية كما اثبتها العلم لحديث.

---

(١) الأوان: الوقت والحين.

(٢) الجنان: القلب.

(٣) قال الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم، سورة الإسراء ١٧ : ٤٤، ما نصه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

٣ ـ السعي المرضيّ، فيما إذا لم يتمّ العمل لأسباب قاهرة خارجة عن إرادة الإنسان، فإنّ السعي الذي يبذله الإنسان في سبيل تحقيقه يكون مرضيّاً.

٤ ـ الجزاء الوفيّ على الأعمال الصالحة؛ لاستحقاقها الجزاء باكتسابها بالإرادة.

ولا يكون شيء من ذلك إلّا بإرادته تعالى النافذة في الكون، وإذا أراد الله شيئاً هيّأ أسبابه.

[٤/٨١ ـ دواعي الذكر]:

إلهي، بِكَ هامَتِ الْقُلُوبُ الْوالِهَةُ[1]، وَعَلى مَعْرِفَتِكَ جُمِعَتِ الْعُقُولُ الْمُتَبايِنَةُ، فَلا تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ إِلّا بِذِكْرِكَ[2]، وَلا تَسْكُنُ النُّفُوسُ إِلّا عِنْدَ رُؤْياكَ.

أشار في هذا المقطع إلى دواعي ذكر الله سبحانه في كلّ أُمّة وملّة وبكلّ لسان وبيان، وفي أيّ مجتمع مادّي يعيش فيه إنسان، بالرغم من اختلافها في المشارب والمذاهب والأديان، وهما:

١ ـ هيام القلوب، وهو شدة العطش إلى حبّ الله الكامن في القلوب حتى أصبحت والهة، أي شديدة الحب لله، بحيث يعتبر الماديون هذا الحبّ جنوناً.

٢ ـ العقل، لأنّ العقول المتباينة في الأفكار والمبادئ مجتمعة على معرفة الله ومبدأ الكون، وإن اختلفت في بياناتها ونظرياتها وأفكارها.

٣ ـ اطمئنان القلوب عند ذكر الله، في أيّة لغة وأيّ مجتمع.

٤ ـ سكون النفس عند رؤية آثار عظمة الله في الطبيعة من رؤوس الجبال وأعماق البحار.

---

(١) الوالهة: الحائرة من شدة الوجد.

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «بذكراك».

وَقُلْتَ[(١)]: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[(٢)]. وَأَمَرْتَنا[(٣)] بِذِكْرِكَ، وَوَعَدْتَنا عَلَيْهِ أَنْ تَذْكُرَنا تَشْرِيفاً[(٤)] وإكراماً[(٥)]، وَها نَحْنُ ذاكِرُوكَ كَما أَمَرْتَنا، فَأَنْجِزْ لَنا ما وَعَدْتَنا، يا ذاكِرَ الذّاكِرِينَ، وَيا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ.

وختم الدعاء بالتأكيد على واجب الذاكرين بالدعاء للذكر، والإشارة إلى آثاره في الدنيا والآخرة في نفس الذاكر، وبالنتيجة في المجتمع الذي يعيش فيه، واستشهد بقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[(٦)].

والأمر بالذكر على الإنسان والوعد على الذكر بذكر الله تعالى الذاكر من العباد، وفي هذا الوعد الإلهي حقيقة عظيمة للذاكرين، وقد أشار أنّ هذه الوعد يستلزم أموراً، هي:

١ ـ التشريف للذاكرين؛ لقيامهم بالذكر.

٢ ـ الإكرام للذاكرين بالوعد الجميل.

٣ ـ التفخيم لمقام الذاكرين بالذكر.

٤ ـ الإعظام لشخصية الذاكرين بالذكر.

وهذه الخصائص العظيمة خصّها الله سبحانه للذاكرين دون غيرهم، جعلنا الله منهم، آمين رب العالمين.

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة زيادة: «وَقَوْلُكَ الْحَقُّ».
(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٥٢.
(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «فأمرتنا».
(٤) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «تَشْريفاً لَنا وَتَفْخيماً وَإعْظاماً».
(٥) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في بعض النسخ: «تَشْريفاً لَنا وَتَفْخيماً وَإعْظاماً».
(٦) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٥٢.

[٦/٨١ ـ الذكر الدائم]:

وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ راحَةٍ بِغَيْرِ أُنْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ سُرُورٍ بِغَيْرِ قُرْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ شُغْلٍ بِغَيْرِ طاعَتِكَ.

وختم المقطع بأنّ ذكر الله أمر ضروريّ للإنسان الذاكر في كلّ الحالات، وفي كلّ مكان، حيث يجب أن يقارن كلّ حركة يقوم بها الذاكر في حياته، وأشار منها إلى ما يستلزم منها عادة نسيان الذكر، ولذلك يجب الاستغفار، وهي:

١ ـ اللذة الّتي يلتذ بها، حيث تغلب عادة اللذة على غيرها، ومنها ذكر الله.

٢ ـ الراحة، فعند الراحة يجد الإنسان حلاوة الأُنس بها ويغفل عن غيرها.

٣ ـ السرور، فإنّه يوجب انبساط النفس ويُنسي التقرّب إلى الله بالذكر.

٤ ـ الشغل بغير طاعة الله؛ لما فيه من التهاء الإنسان عن الواجبات والمسؤوليات؛ فإنّه غالبا ما ينسى فيه ذكر الله، وحيث أنّ ذكر الله واجب للأمر به، وهذه الأمور توجب نسيان الذكر عادة؛ لزم الاستغفار منها للذاكرين الله حقيقة حيث يجب ذكره بالدوام في كلّ الحالات[1].

[٧/٨١ ـ دعاء الذكر]:

إلهي، أَنْتَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[2].

---

(١) تعرّض علماؤنا الأبرار، في كتبهم لبيان سبب استغفار المعصومين، منهم: العلامة المجلسي في البحار، باب عصمة النبى (صلى الله عليه وآله) وتأويل بعض ما يوهم خلاف ذلك، والشيخ البهائي في شرح الأربعين حديثا عند شرحه الحديث ٢٢، والسيد علي خان في شرح الصحيفة عند شرحه للدعاء ١٢، والشيخ أحمد بن الشيخ صالح آل طعان البحراني القطيفي في رسالة «شرح فقرة: فهبني، من دعاء كميل»، وغيرهم. وراجع «التمهيد» في مقدمة هذا الكتاب.

(٢) القرآن الكريم، سورة الاحزاب ٣٣: ٤١ ـ ٤٢.

١ ـ (يا ملاذ اللّائذين)، فإنّ اللائذ معتصم بمن يلوذ به.

٢ ـ (يا منجي الهالكين)، فإنّ الذي في حالة الهلاك يعتصم بمن ينجيه منها.

٣ ـ (يا عاصم البائس المستكين)، فإنّ البؤس، وهو شدّة الخوف من الفقر، والاستكانة: الهوان، ولو اجتمعا في شخص واحد فانّهما سوف يزيدان حاله سوءاً، ولا سبيل له في الخلاص الا بالاعتصام برب العالمين.

٤ ـ (يا راحم المساكين)، والمسكين: من لا يملك قوت يومه.

٥ ـ (يا مجيب دعوة المضطرّين)، فالمضطر الذي لا مفرّ له عمّا هو فيه، لا عاصم له سوى الله تعالى.

٦ ـ (يا كنز المفتقرين)، فإنّ المحتاج بسبب الفقر ليس له إلّا عصمة الله، الذي يعد كنزاً لا ينفذ.

٧ ـ (يا جابر المنكسرين)، فالإنسان هو الذي كسر نفسه، حيث اختار المعصية فجعل نفسه عرضة للإنكسار، ولا ملجأ له إلّا من يجبر الكسر، وهو الله.

٨ ـ (يا مأوى المنقطعين)، والمنقطع عن الاهل والوطن يعيش بلا مأوى يأويه سوى الله العاصم.

٩ ـ (يا ناصر المستضعفين)، فإنّ القويّ يستضعف الإنسان الحر، وهو يحاول دائما في إبقاءه مستضعفاً فاقداً لحريته بكلّ الوسائل الّتي تكون في اختياره مادياً ومعنوياً، ولا ناصر على هذه الحالة سوى الله العاصم.

١٠ ـ (يا مجير الخائفين)، حيث أنّ الخوف يولد الشك في كلّ الناس الذين يتعامل معهم، فلا جوار للخائف سوى الاستجارة بالله العاصم.

١١ ـ (يا مغيث المكروبين)، فإنّ الكرب الحاصل بسبب المكروه الذي يصيب الإنسان بسبب إنسان آخر مثله لتأمين مصالحه الشخصية، لا غياث له سوى الله، فلا ينظر المكروب إلى أيّ الإنسان آخر للغوث سوى ربّ العالمين.

١٢ ـ (يا حصن اللاجئين)، حيث أنّ اللاجئ إنما يلتجئ إلى ما يحصّنه من الشرور المتوجهة اليه، ولو التجأ إلى إنسان مثله، فإنّه لا يوفّر الحصانة إلّا لمن يخدم مصالحه، فهو في الحقيقة يحصّن نفسه، واذا دار الأمر بين أن يحصّن نفسه

[الدعاء الثاني والثّمانون]

المناجاة الرابعة عشر للمعتصمين

(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

[١/٨٢ ـ معنى العصمة]:

أَللّهُمَّ، يا مَلاذَ اللائِذينَ، وَيا مَعاذَ[١] الْعائِذينَ، وَيا مُنْجِيَ الْهالِكينَ، وَيا عاصِمَ الْبآئِس الْمُستَكينِ[٢]، وَيا مُجيبَ دعوة[٣] الْمُضْطَرّينَ، وَيا كَنْزَ الْمُفْتَقِرينَ، وَيا جابِرَ الْمُنْكَسِرينَ، وَيا مَأوَى الْمُنْقَطِعينَ، وَيا ناصِرَ الْمُسْتَضْعَفينَ، وَيا مُجيرَ الْخائِفينَ، وَيا مُغيثَ الْمَكْرُوبينَ، وَيا حِصْنَ اللّاجئينَ[٤].

العصمة ـ في اللّغة ـ: بمعنى الحفظ والوقاية من المكروه، وفي الإصطلاح: ملكة اجتناب المعصية مع التمكّن منها لكونها ملازمة للعلم بمساوي المعصية ومحاسن الطاعة.

واستفتح الدعاء بنداآت استغاثة تقتضي عصمة من استعصم بالله ربّ العالمين بحفظه، وهي:

---

(١) معاذ: ملجأ.

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «ويا عاصم البائسين». وفي نسخة: «وَيا عاصِمَ الْبآئِسينَ وَيا راحِمَ الْمَساكينِ».

(٣) كذا في (ط)، ولم ترد في بعض النسخ: «دعوة».

(٤) كذا في حاشية (ط) (ملحقات المجلسي، نسخة م/ آستان قدس، برقم ١١٩٨٣): في نسخة، وفي (ط) (ملحقات المجلسي، نسخة م/ آستان قدس، برقم ١١٩٨٣): «اللاجين».

موجب لطلب العطف والاعتصام بحبل الله المتين، بالسير على ما يقتضيه من أداء الواجبات وترك المحرمات، ويستحق المعتصم بحبل الله المتين أن لا يخذل بانقطاع الحبل مادام معتصماً؛ لأنّ الحبل المتين لا يمكن ان ينقطع إلّا بإرادة الله، وعطفه لا يقتضي قطعه، كما لا يليق للمستجير بعزّ الله ان يسلّم إلى من لا يرحم، أو من يهمل من استجار به، ويتركه من دون جوار وذمام؛ لأن طبيعة العزّة المطلقة تمنع من التسليم والاهمال.

[٣/٨٢ ـ آثار الاعتصام]:

إِلهي، فَلا تُخْلِنا[1] مِنْ حِمايَتِكَ، وَلا تُعْرِنا[2] مِنْ رِعايَتِكَ، وَارْدُدْنا[3] عَنْ مَوارِدِ الْهَلَكَةِ، فَإِنّا بِعَيْنِكَ وَفي كَنَفِكَ وَلَكَ.

وأشار في هذا المقطع إلى الآثار العامة للاعتصام بالله، وهي:

١ ـ الحماية، وهي المنع عن المكروه بمنع تحقق أسباب المكروه.

٢ ـ الرعاية، وهي المراقبة على أداء الواجب والامتناع عن الممنوع؛ فإنّ التعرية، وهي النزع عن المراقبة، يستلزم الإهمال من جهة وهو يؤدي إلى الوقوع في المكروه في النتيجة.

٣ ـ الذوْد عن موارد الهلكة، ويكون بالمنع والدفع عن التقرّب إلى تلك المواضع الّتي توجب الانزلاق؛ فإنّ المعتصمين ـ بحكم اعتصامهم بحبل الله المتين ـ اصبحوا مرعيين بعينه لا تنام ومقيمين في كنفه، أي جنبه الذي يقيم فيه الصالحون، فيكون هو الحافظ لهم عن ورود مواقع الهلكة، فيعيشون برعاية الله وحمايته ويكون حياتهم لله قائلين: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

وحالة الاعتصام بالله حقيقة تقتضي هذه الآثار من الحماية والرعاية والذود والعصمة.

---

(١) تخلنا: تتركنا.

(٢) تعرنا: تجرّدنا.

(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «وذُدنا»، ومعنى «ذُدنا»: أبعدنا وامنعنا.

أو غيره قدّم مصلحة نفسه وترك الآخر بلا حصن، إلّا ربّ العالمين الذي هو العاصم، فهو الحقيق بالاعتصام به دون غيره.

[٢/٨٢ ـ أسباب الاعتصام]:

اِنْ لَمْ أَعُذْ[١] بِعِزَّتِكَ فَبِمَنْ أَعُوذُ؟ وَاِنْ لَمْ أَلُذْ بِقُدْرَتِكَ. فَبِمَنْ أَلُوذُ؟، وَقَدْ اَلْجَاَتْنِي[٢] الذُّنُوبُ إِلَى التَّشَبُّثِ[٣] بِأَذْيالِ عَفْوِكَ، وَأَحْوَجَتْنِي الْخَطايا إِلَى اسْتِفْتاحِ أَبْوابِ صَفْحِكَ، وَدَعَتْنِي الإِساَءَةُ إِلَى الإِناخَةِ بِفِناَءِ عِزِّكَ، وَحَمَلَتْنِي الْمَخافَةُ مِنْ نِقْمَتِكَ عَلَى الْتَّمَسُّكِ بِعُرْوَةِ عَطْفِكَ، وَما حَقُّ مَنِ اعْتَصَمَ بِحَبْلِكَ أَنْ يُخْذَلَ، وَلا يَلِيقُ بِمَنِ اسْتَجارَ بِعِزِّكَ أَنْ يُسْلَمَ أَوْ يُهْمَلَ.

أكّد الإمام في هذا المقطع على أنّ العصمة لا تكون إلّا لمن له العزّة المطلقة، وهو الله سبحانه، فيجب الاستعاذة به، دون من سواه، وان اللواذ ـ وهو التحصن ـ لا يكون إلّا بمن له القدرة المطلقة على التحصين، دون غيره.

ثم أشار إلى الأسباب الملجئة إلى الاعتصام به تعالى، وهي:

١ ـ الذنوب، وهي المخالفة لأوامر الله؛ فإنّ بسببها يلتجئ المعتصم بالله متشبثاً بأذيال عفوه تعالى.

٢ ـ الخطايا، وهي الانحرافات بوسوسة الشيطان؛ فإنّ بسببها يحتاج المعتصم إلى ان يفتح الله له باب الصفح والتجاوز عنها.

٣ ـ الاساءة بعمل ما يشين من السوء، فإنّ بسببها قدم المسيئ منيخاً، أي نازلا بفناء عزّ الله، نادماً على ما صدر منه من الإساءة.

وهذه الأسباب هي أسباب الخوف من النقمة وهي العقاب، وهذا الخوف

---

(١) أعذ: أعتصم وأستجير.

(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «وقد».

(٣) التشبث: التعلق.

[الدعاء الثالث والثّمانون]

المناجاة الخامسة عشر للزاهدين

(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

[١/٨٣ ـ معنى الزهد]:

إِلهي، أَسْكَنْتَنا داراً[١] حَفَرَتْ لَنا حُفَرَ مكروهها ومَكْرِها[٢]، وَعَلَّقَتْنا بِأَيْدِي الْمَنايا[٣] حَبآئِل[٤] غَدْرِها، فَإِلَيْكَ نَلْتَجِىءُ مِنْ مَكآئِدِ خُدَعِها، وَبِكَ نَعْتَصِمُ مِنَ الاغْتِرارِ بِزَخارِفِ زينَتِها، فَإِنَّهَا الْمُهْلِكَةُ طُلّابَهَا، الْمُتْلِفَةُ[٥] خطابها[٦]، الْمَحْشُوَّةُ[٧] بِالْآفاتِ، الْمَشْحُونَةُ بِالنَّكَباتِ.

الزهد ـ لغة ـ: ترك الميل إلى الشيء لعدم الرغبة فيه، وفي الاصطلاح العرفاني: هو بغض الدنيا والاعراض عنه، وليس المعنى المصطلح مقصوداً، فقد صرّح عليه السلام قائلا: (اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد ارزقني الرغبة في العمل لك

---

(١) أي دار الدنيا.
(٢) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «حفرت لنا مكرها».
(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة زيادة: «في».
(٤) الحبائل: المصائد.
(٥) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في النسخة: «المتلفلة».
(٦) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في بعض النسخ: «المتلفة حُلّالَهَا». وحلّالها: أي نزالها.
(٧) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «المحسوّة».

[٤/٨٢ ـ دعاء المعتصم]:

أَسْأَلُكَ بِأَهْلِ خاصَّتِكَ مِنْ مَلائِكَتِكَ وَالصّالِحينَ مِنْ بَرِيَّتِكَ أَنْ تَجْعَلَ عَلَيْنا واقِيَةً تُنجينا مِنَ الْهَلَكاتِ، وَتُجنّنا[1] مِنَ الآفاتِ، وَتُكِنّنا[2] مِنْ دَواهِي الْمُصيباتِ، وَأَنْ تُنْزِلَ عَلَيْنا مِنْ سَكينَتِكَ، وَأَنْ تُغَشِّيَ وُجُوهَنا بِأَنْوارِ مَحَبَّتِكَ، وَأَنْ تُؤْوِيَنا إِلَى شَديدِ رُكْنِكَ، وَأَنْ تَحْوِيَنا في أَكْنافِ[3] عِصْمَتِكَ، بِرَأْفَتِكَ وَرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ.

وختم الدعاء بما يفتقر إليه كلّ معتصم في الحياة اليومية، وهو التوسّل بأهل خاصة الله الذين عيّن الله لهم أدوارا خاصة في الحياة، من الملائكة المقرّبين في السماوات، ومن عباده الصالحين من البريّة في الأرضين، فهم القدوة في العمل الصالح، وبالتوسل بهم يتحقق ما يلي:

١ ـ النجاة من الهلكات، وهي ما يوجب الفناء.

٢ ـ الجُنّة من الآفات، والجنة: الحصن الواقي من الافآت، وهي ما توجب الأمراض الجسمية والروحية، وذلك بالتوقي منها.

٣ ـ الصيانة من المصائب الداهية، والكن: الصون، والداهية: الشدة.

٤ ـ السكينة، وهي طمأنينة النفس بذكر الله.

٥ ـ المحبّة؛ بالاستيلاء الكامل لأنوار محبته تعالى على وجوه المعتصم.

٦ ـ الإيواء بالنزول في ركن الله، أي الجانب القوى الشديد القوة.

٧ ـ العصمة بالاحتواء الكامل، بالتمسك بالاكناف، وهي الحبال الوثيقة، للحفظ.

فإنّ هذه النقاط يفتقر اليها كلّ المعتصمين من الملائكة والناس والخلق اجمعين، اللهم اجعلنا منهم برحمتك ورأفتك يا أرحم الراحمين، آمين.

---

(١) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة: «وتنجينا». وفي نسخة: «وتجنّنا».

(٢) تكننا: تقينا.

(٣) كذا في بعض النسخ، وفي (ط): «أكتاف».

الإنسان باتباع الهوى وطول الامل، وتدفعه إلى الظلم والطغيان، على أمل التوبة والغفران، كما يقع في ذلك اكثر الشبّان، ويندم بعد فوات الأوان وانقلاب الزمان عندما لا ينفع الإنسان الندم، وحينئذ لا ملجأ له في ذلك إلّا الله سبحانه.

٤ ـ الغرور، فإنّ الدنيا تغرّ الإنسان بزخارف الزينة الّتي هي على العصيان معينة، ولمستقبل الحياة مشينة، ولا عصمة منها الا بالله سبحانه.

٥ ـ الهلاك في الدنيا قبل الآخرة، كما يشهد التاريخ على من طلبها بالقوّة وغلبه الآخرون بقوة أقوى.

٦ ـ التلف، وهو الفساد مع البقاء في الوجود لطالب المناصب فانهم بعد انصرافهم او عزلهم عنها أصبحوا من أحقر الناس، ومن اغترّ فيها بالاموال الطائلة بعد ان انزلهم الدهر أصبحوا من أفقر الفقراء، ويكفي دراسة التاريخ دليلا على أنّ خطّاب الدنيا للدنيا دائماً يواجهون منافساً في الخطبة بنفس الطرق المؤدية إلى التلف.

٧ ـ الآفة، وهي الضرر؛ فإنّ الدنيا مشحونة بالآفات، فلا يخلوا حياة الإنسان فيها مهما حسنت حالته من اضرار ماديّة ونفسية واجتماعية؛ لأن الدنيا مملوءة في داخلها من هذه الاضرار.

٨ ـ النكبة، وهي المصيبة الشديدة، والدنيا مشحونة بها، سواء ما فيها من المصائب الواردة على الإنسان مادياً او معنوياً على نفسه او غيره من أفراد المجتمع.

فإنّ هذه الخصائص موجبة للاعتبار والزهد عمّا يوجب الرغبة فيها من حبّ الدنيا وزخارفها، وهي مسطورة في حوادث التاريخ ولا يخلو منها حياة أي إنسان في الماضي أو الحاضر، ولكن ما أكثر العبر واقلّ الاعتبار، ولا عاصم سوى الواحد القهار.

[٨٣/٢ ـ آثار الزهد]:

إلهِي، فَزَهِّدْنا فيها، وَسَلِّمْنا مِنْها بِتَوْفيقِكَ وَعِصْمَتِكَ، وَانْزَعْ

لآخرتي حتى أعرف صدق ذلك من قلبي، وحتى يكون الغالب عليَّ الزهد في دنياي، وحتى أعمل الحسنات شوقاً، وآمن السيئات فرقا وخوفاً)[١].

وعليه فالوجوه المتصورة في معنى الزهد، هي:

أولاً: رجحان الدنيا على الآخرة، ويستلزم الإعراض عن الآخرة.

ثانياً: رجحان الآخرة على الدنيا، ويستلزم الإعراض عن الدنيا.

ثالثاً: التعادل بينهما؛ لارتباط كلّ منهما بالآخر ارتباط السبب بالمسبب والمؤثر بالأثر؛ لأن الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء، فالمطلوب ترك الميل إلى الدنيا لعدم الرغبة فيها في نفسها، بل لكونها مقدّمة للآخرة، ونتيجة ذلك: يكون الغالب على حالة الإنسان الزهد فيها في نفسها، والرغبة فيها لعمل الحسنات شوقاً، والأمن من السيئات خوفاً.

والمراد في هذه المناجاة هو الوجه الأخير من الزهد في الدنيا، واستفتح الدعاء ببيان طبيعة الدنيا وخصائصها الموجبة للزهد فيها، وهي:

١ ـ المكر، وهو الخداع؛ فإنّ الدنيا في ظاهرها دار السكنى للحياة، ولكنها في الواقع حفرة حفرت للمكروبين؛ حيث لا يعيش إنسان فيها من دون كرب، وهو الضيق في الحياة لكل إنسان بحسبه، وكلما نظر الإنسان إلى من فوقه يظنه في عيشة راضية، مع انه في الحقيقة أكثر كرباً نفسياً وضيقاً في الحياة ممّن هو دونه.

٢ ـ الغدر، فإنّ الدنيا في ظاهرها تترك الإنسان حرّاً طليقاً يفعل ما يشاء، ولكنه في الحقيقة معلّق في الفخّ، يسير بين يدي المنيّة، أي الموت، وهو واقع في حبائل الغدر، والحبالة ـ بالكسر الموحدة ـ: شبكة الصيد؛ فإنّه يعيش في فخّ العناوين الخيالية والدعاوى الباطلة، ويخرج الإنسان بها عن حقيقة الإنسانية، وأين هذا من الحرية؟

٣ ـ الكيد، وهو الاحتيال بخبث وخداع؛ فإنّ الدنيا حين اقبالها تمنّي

(١) راجع الجزء الأول، ص٤٢٨ من هذا الكتاب، الدعاء: ٢٢، المقطع الخامس.

٨ ـ المعرفة التامة، فكلّما زادت علاقة الإنسان بالدنيا والماديات قلّت معارفه، والعكس بالعكس.

٩ ـ العفو، فإنّ لعفو الله تعالى حلاوة يتذوّقها الصالحون.

١٠ ـ المغفرة، ولمغفرته سبحانه لذّة يحسّ بها المستغفرون.

١١ ـ رؤية الله سبحانه برؤية آثار رحمته: من الفوز بالجنة الّتي هي قرّة لعين في يوم الحساب وهو يوم لقاء الله في الآخرة.

١٢ ـ إخراج حبّ الدنيا من القلب؛ فإنّ حب الدنيا رأس كلّ خطيئة، وحب الدنيا هو تعلّق القلب بها، وليس معنى ذلك كراهة الدنيا؛ حيث إن الزهد معناه عدم الميل، وذلك لا يستلزم الكراهة، ولأهميّة هذه النقطة الثانية عشر جعلها الإمام عليه السلام آخر النقاط.

وقد ختم الدعاء بالإشارة إلى تواجد هذه النقاط الاثنى عشر في من يقتدى بهم في الحياة، وهم الصالحون من صفوة الله الأبرار ومن خاصّة الله تعالى، والذين لا يخلو منهم أيّ عصر وزمان ولا أي أرض ومكان. اللهم اجعلنا من المتبعين هداهم، آمين رب العالمين.

قال الجلالي: إلى هنا انتهت المناجاة الخمسة عشر؛ اعتماداً على نسخة محمد أمين المؤرخة ١٠٧٩، وقد جاء بعدها أدعية أُخرى كلّها بخطه وانتخبت منها الدعاءين التاليين، وحيث أنهما كانا غير معنونين بعنوان خاص، استخرجت لكل منهما عنواناً من مضمون كل واحد منهما.

وقد ابتدأ الدعاء الأوّل بعد البسملة بقوله: (إلهي اسألك أن تعصمني حتى لا أعصيك) إلى آخره، فبدا لي أن أعنونه بعنوان: «دعاء العصمة» بأمل العصمة بالله، وابتدأ الدعاء الثاني بقوله أيضا: «عن زين العابدين صلوات الرحمن وسلامه وبركاته عليه: إلهي لو سألتني حسناتي... الخ» وهو على قصره يستعرض لوازم الأوامر الإلهيّة للإنسان، وحيث أنه عليه السلام ختمها بالعتق من النار، بدا لي أن أعنونه: «دعاء العتق» عسى أن يجعلنا الله من عتقائه من النار، آمين رب العالمين. وإليك نصّ الدعاءين:

عَنّا جَلابيبَ مُخالَفَتِكَ، وَتَوَلَّ أُمُورَنا بِحُسْنِ كِفايَتِكَ، وَأَوْفِرْ مَزيدَنا مِنْ سَعَةِ رَحْمَتِكَ، وَاَجْمِلْ صِلاتنا[1] مِنْ فَيْضِ[2] مَواهِبِكَ، وَاغْرِسْ في أَفْئِدَتِنا أَشْجارَ مَحبَّتِكَ، وَأَتْمِمْ لَنا أَنْوارَ مَعْرِفَتِكَ، وَأَذِقْنا حَلاوَةَ عَفْوِكَ وَلَذَّةَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَقْرِرْ أَعْيُنَنا يَوْمَ لِقائِكَ بِرُؤْيَتِكَ، وَأَخْرِجْ حُبَّ الدُّنْيا مِنْ قُلُوبِنا كَما فَعَلْتَ بِالصّالِحينَ مِنْ صَفْوَتِكَ[3]، بِرَحْمَتِكَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ وَيا أَكْرَمَ الْأَكْرَمينَ.

وختم الدعاء بآثار الزهد الّتي يدعوا إليها كلّ زاهد ليعيش في الدنيا بنفس مطمئنة، وهي:

١ ـ السلامة، بالتوفيق من الله للزهد في الدنيا.

٢ ـ العصمة، وهي الحفظ عن الانزلاق فيها.

٣ ـ عدم المخالفة لأوامر الله تعالى؛ فإنّ المعصية ليست طبيعية للإنسان، ومن يقوم بها فإنّه يلبس جلباباً أي قميصاً يستتر به لمخالفة قانون الله، والطاعة تستلزم نزع هذا الجلباب، وظهور الإنسان على حقيقته.

٤ ـ حسن الكفاية من الأمور، فإنّ الطمع والجشع والبخل مما يدفع نحو الدنيا، ولا ينتهي إلى حدّ، وان حسن الكفاية يكون بالقناعة بفضل من الله.

٥ ـ الرحمة الإلهيّة الواسعة، من المزيد من الله سبحانه.

٦ ـ الفيض من الله، وهي العطية الموصوفة بالجميل من فيضه تعالى.

٧ ـ المحبّة الإلهيّة المغروسة في الفؤاد، والّتي يظهر آثارها في العمل الصالح من الطاعات والخيرات.

---

(١) كذا في حاشية (ط): في نسخة، وفي (ط): «صلوتنا». وصلاتنا: أي عطايانا.
(٢) كذا في بعض النسخ، وفي الأصل: «قيض».
(٣) كذا في (ط)، وفي حاشية (ط): في نسخة زيادة: «وَالَابْرارِ مِنْ خآصَّتِكَ».

استفتح الدعاء ببيان حال الداعي الموجبة لطلب العصمة من الله تعالى وحده في كلّ حالاته، ومنها: حال الدعاء الّتي يستلزم اليأس من ناحية، مع العلم بأن الله غفور رحيم، من ناحية أخرى، فهو في حال الحيرة من أمره، هل يكون راجياً للمغفرة؛ لأنها ذاتية لله سبحانه؟ ام يكون يائساً لتلبّسه بالمعاصي بمقتضى الطبيعة البشرية، ولا يمكن التخلّص من هذه الحالة إلّا بالإعتصام بالله.

وأشار إلى أُمور هي بيان الحال أوّلا، ثم توضيح السبب الموجب لها ثانياً، وأثرها ثالثاً، فهنا وصف الحالة بالبهت والحيرة، والبهت: وهو الأخذ بغتة بحيث تسلب الإرادة معه بسبب الدهشة العارضة من هول الموقف، والحيرة ـ أيضاً ـ: ضلالة الطريق وعدم الاهتداء إلى وجه الصواب فيه.

وأما السبب للبهت والحيرة، فهو كثرة الذنوب من الداعي مع العصيان بالعلم عامداً من جانب العبد الموجب لليأس، وفي نفس الوقت العلم بكرم الله المقرون بالإحسان على العباد من جانب الله تعالى، الموجب للرجاء.

فإنّ تواجد أسباب اليأس والرجاء في نفس الوقت توجب الحيرة للداعي، لعدم العلم بالنتيجة، وأنها هل تكون العقاب أو العفو.

وأمّا آثار هذه الحالة، فأشار إلى أمرين منها، هما:

الأوّل: قصور اللسان في الدعاء، حيث إن المعاصي قد أخرسته؛ فإنّ كثرة الذنوب تجعل اللسان كليلا، أي متعباً وعاجزاً عن أداء وظيفة الدعاء.

والثاني: الخجل المترتب على ارتكاب الذنب، حيث يؤثر بذهاب ماء الوجه، كناية عن فقدان الحياء، حيث أنّ الوجه يكشف عن صحيفة سوداء تقتضي أن يغطي صاحبها وجهه من الناس، فكيف بعلّام الغيوب؟

فلا عصمة من تكرار الحالة في المستقبل إلّا بالعصمة بالله تعالى؛ فإنّ هذه العصمة يستلزم أموراً، هي:

١ ـ تجنّب حالة البهت والحيرة.

٢ ـ محو الذنوب بالعفو والمغفرة.

[الدعاء الرابع والثّمانون]

دعاء العصمة[1]

(بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ)

[١/٨٤ ـ حال الداعي]:

إِلهِي، أَسَأَلُكَ أَنْ تعْصِمَنِي حَتَّى لَا أَعْصِيَكَ، فَإِنِّي قَدْ بُهِتُّ[2] وَتَحَيَّرْتُ مِنْ كُثْرَةِ ذُنُوبِي[3] مَعَ الْعِصْيَانِ، وَمِنْ كَرَمِكَ مَعَ الإِحسَانِ، وَقَدْ[4] أَكَلَّتْ[5] لِسَانِي كَثْرَةُ ذُنُوبِي، وَأَذْهَبَتْ عَنِّي مَاءَ وَجْهِي، فَبِأَيِّ وَجِهٍ أَلقَاكَ وَقَدْ أَخلَقَت[6] الذُّنُوبُ وَجهِي؟! فَبِأَيِّ[7] لِسَانٍ أَدْعُوكَ وَقَدْ أَخْرَسَتْ الْمَعَاصِي لِسَانِي؟!

---

(١) روى العلامة المجلسي هذا الدعاء في بحار الأنوار، ج ٩١، ص ١٣٨، قائلاً: وجدت في بعض الكتب هذا الدعاء منسوباً إلى سيد الساجدين عليه السلام وهو في المناجاة لله عز وجل: إلهي أسألك أن تعصمني حتى لا أعصيك، فإني قد بهت وتحيرت من كثرة الذنوب مع العصيان، ومن كثرة كرمك... الخ. ونقله السيد الأبطحي في الصحيفة السجادية (الجامعة)، ص ٤٧٦، برقم: (٢٠١) هكذا: «دعاؤه عليه السلام في المناجاة بسم الله الرحمن الرحيم إلهي أسألك أن تعصمني... الخ».

(٢) بهتّ: دهشت.

(٣) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «الذنوب».

(٤) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «ومن كثرة كرمك مع الإحسان، وقد».

(٥) أكلت: أعيت.

(٦) كذا في الحاشية، في نسخة، وفي الأصل: «أخلق».

(٧) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «وبأي».

٣ ـ إنّ العصيان يوجب الحزن على ارتكاب الممنوع شرعاً عامداً، ومعرفة الله تعالى بصفات الجمال ـ ومنها العفو والمغفرة ـ يوجب الفرح، فكيف التوفيق؟

٤ ـ الحياء من الدعاء مع الاصرار على الذنب، وذلك يوجب الامتناع من الدعاء من ناحية العبد، وفي نفس الوقت فإنّ هذا العبد لا ملجأ له غير الله، ولا مفرّ له إن طرده المولى بسبب ذنوبه، فكيف التوفيق؟

فإنّ هذه الأُمور تجعل الداعي في حيرة من أمره، ولا مخرج منها سوى طلب العصمة منه تعالى.

[٣/٨٤ ـ الْاِسْتِغاثَةَ]:

إلهي، بِمَنْ أَستَغيثُ إن لَمْ تُقِلني عَثرَتِي؟! وَمَنْ يَرحَمُني إن لَمْ تَرْحَمني؟! وَمَنْ يُدرِكني إن لَمْ تُدْرِكْني؟! وَأَيْنَ الْفِرَار إذا ضَاقَتْ لَدَيكَ أُمنيَتي؟

والمستغاث به في حالة مستعصية كحالة الداعي هو الله وحده؛ لأنّه أرحم الراحمين، وقد أشار إلى أُمور توجب الاستغاثة به، دون سواه:

١ ـ ان لم تُقل العثرة الّتي عثر بها الإنسان من قِبَلِهِ تعالى فلا يوجد من يغيثه.

٢ ـ ان لم تشمل الرحمة الإلهيّة الإنسان فلا يوجد من يرحمه.

٣ ـ ان لم يلحق الله الإنسان لانقاذه من حالته، فإنّه لا يوجد من يدركه ويخلّصه منها، والإدراك هو اللحوق بالشيء بالمتابعة حتى يتحقق المطلوب من المتابعة.

فإنّ هذه الأُمور توجب الاستغاثة به تعالى وحده، حيث أنّه لا يوجد مفرّ للمستغيث من حالته إذا لم تتحقق أُمنيته.

٣ ـ ردّ الاعتبار لشخصية الداعي حتى يصير كمن ولد من جديد.

وهذه الأُمور تجعل الداعي عضواً جديداً مسؤولا في المجتمع، يساهم في سعادة نفسه وإسعاد الآخرين في الحياة بالقيام بما يجب عليه من المسؤوليات تجاه النفس والاسرة والمجتمع.

[٢/٨٤ ـ كَيْفَ أَدْعُوكَ ؟]:

وَكَيْفَ أَدْعُوكَ وَأَنَا الْعَاصِي ؟! وَكَيْفَ لَا أَدْعُوكَ وَأَنْتَ الْكَرِيمُ ؟!(١)، وَكَيْفَ أَدْعُوكَ وَأَنَا أَنَا ؟! وَكَيْفَ لَا أَدْعُوكَ وَأَنْتَ أَنْتَ ؟! وَكَيْفَ أَفرحُ وَقَدْ عَصَيْتُكَ ؟! وَكَيْفَ أَحْزُنُ وَقَدْ عَرَفْتُكَ ؟! وَأَسْتَحْيِي(٢) أَنْ أَدْعُوكَ وَأَنَا مُصِرٌّ عَلَى الذُّنُوبِ، وَكَيْفَ بِعَبْدٍ لَا يَدْعُو سَيِّدَهُ ؟! وَأَيْنَ مَفَرُّهُ وملجأُهُ إِن طَرَدَهُ ؟!

أوضح هذا المقطع عن حالة الحيرة الّتي يعيشها الداعي والتي تستلزم العجز عن الدعاء من ناحية، والحثّ على الدعاء من ناحية اخرى، ببيان أُمور، هي:

١ ـ إنّ حالة العصيان موجب لليأس، وهو يستلزم الكف عن الدعاء، هذا من ناحية العبد، وأنّ كرم الله سبحانه يوجب الرجاء، وهو يستلزم المبادرة إلى الدعاء، فكيف التوفيق بينهما؟

٢ ـ اختلاف طبيعة الذاتين؛ فإنّ طبيعة الإنسان الذاتية هي الحاجة والنقص والامكان التي بسببها وقع فيما وقع فيه من المعصية (أنا، أنا) وبمقتضى طبيعته البشرية حصل الاعتراف منه في اعوجاج سلوكه، بينما الذات المقدسة منزّهة عن صفات الجلال؛ لأنها ذات الكمال المطلق (أنت، أنت) ومنه الرحمة الواسعة الموجبة للتوجّه في الدعاء اليه، فكيف التوفيق؟

---

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة زيادة: «وكيف أفرح وأنا العاصي؟! وكيف أحزن وأنت الكريم؟!».

(٢) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «وأنا استحي».

[٥/٨٤ ـ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ]:

إلهِي، الْجَنَّةُ دَارُ الأبرَارِ، وَلَكِنَّ مَمَرَّهَا عَلَى النَّارِ، فَيَالَيتَهَا[١] إذا حُرِمْتُ[٢] الْجَنَّةَ لَمْ أَدْخُلَ النَّارَ.

إلهِي، كَيْفَ[٣] أَدْعُوكَ وَأَتَمَنَّى الْجَنَّةَ مَعَ أَفْعَالِي الْقَبِيحَةِ؟! وَكَيْفَ لَا أَدْعُوكَ وَلَا أَتَمَنَّى الْجَنَّةَ مَعَ أفعالِكَ الْحَسَنَةَ الْجَمِيلَةَ؟!

والداعي في موقفه مخيّر بين مصيرين هما: الجنة والنار؛ ولا ثالث لهما، فهو يرغب في المصير إلى الجنة الّتي هي دار الأبرار، الذين استقروا فيها بسبب أعمال البرّ الّتي عملوها في الحياة ابتداءً من برّ الوالدين حتى أثّرت اعمال البرّ في المجتمع مباشرة او لتكوين أمثلة للبرّ والصلاح.

ولكن الرغبة في الدخول إلى الجنة من دون عمل الإبرار رغبة باطلة لعلم الداعي بالذنوب الّتي تحيط به وتعوقه عن الوصول اليها، وأنّ طريق الدخول إلى الجنة لابدّ وأن يمرّ على النار والّتي سوف ينزلق فيها العصاة والفجار، وليس له في هذه الحالة سوى التمنّي بأن لا يدخل النار إذا حرم من الجنة بسبب العصيان، وما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه، ولا ينفعه هذا التمنّي الباطل.

وحيرة الداعي انما هي حالته الّتي هي نتيجة الخوف والرجاء؛ فإنّ الخوف يمنعه من تمنّي الجنة مع علمه بأفعاله القبيحة، فيمتنع عن الدعاء، والرجاء يحثّه على تمنّي الجنة؛ لعلمه بالافعال الحسنة الجميلة الّتي تترشّح من وجود الجمال المطلق، ومنها العفو عن الأفعال القبيحة، وهذا الرجاء يحثّه على الدعاء.

فيكون الداعي في حالته في حيرة، هل هو صائر إلى الجنة أم سوف يهوي في النار، ولا يعلم نتيجة القرار إلّا الواحد القهّار.

---

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «فيا ليتني».
(٢) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «فيا ليتها إذ حرمت».
(٣) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «وكيف».

[٤/٨٤ ـ بَيْنَ الْخُوْفِ وَالرَّجاءِ]:

إلهِي، بَقِيتُ بَيْنَ خُوفٍ وَرَجَاءٍ، خُوفُكَ يُمِيتَنِي، ورجاؤُكَ يُحيِينِي.

إلهِي، الذُّنُوبُ صِفَاتُنَا، وَالْعَفْوُ صِفَاتُكَ.

إلهِي، الشَّيْبَةُ نُورٌ مِنْ أَنوَارِكَ، فَمَحَالٌ أَنْ تُحْرَقَ نُورَكَ بِنَارِكَ.

فالداعي في حالة مستمرّة بين الخوف من عقاب الله وبين الرجاء لعفو الله، وأشار إلى ثلاث خصائص لهما، هي:

١ ـ ان حقيقة الخوف من عقاب الله: الموت المعنوي، حيث استحقه العاصي باختياره المعصية، وحقيقة الرجاء بعفو الله: الحياة، حيث يعود الإنسان عضواً جديداً صالحاً في المجتمع.

٢ ـ إنّ أسباب الخوف هي الذنوب، وهي من صفات البشر الناقص بالامكان، وإنّ أسباب الرجاء هي الصفات الإلهيّة الّتي منها العفو، وهي صفات واجب الوجود.

٣ ـ إنّ آثار الرجاء إطالة حياة الإنسان حتى يصل إلى عمر المشيب حين يصبح شعره أبيضاً بسبب طول العمر، ومن آثار الخوف أيضاً أن يصبح شعر الخائف أبيضاً من دون أن يطول عمره، وقد وردت الآثار بأنّ الشيبة، وهَي اللحية البيضاء ـ أو مطلق بياض الشعر ـ نورٌ من انوار الله؛ لأنّها مظهر من مظاهر قدرته تعالى.

فإنّ هذه الحقيقة الأخيرة تستلزم العفو من الله تعالى، وبه يغلب الرجاء على الخوف، وذلك لأنّ العقاب يستلزم أن تحرق الشيبة الّتي هي نور الله بنار جهنّم الّتي هي نار الله، وهو محال؛ لاستلزامه غلبة الشرّ على الخير، والله سبحانه خيرٌ ولا يصدر منه إلّا الخير، وهو على كلّ شيء قدير.

الله تعالى من الجلال والجمال المشروحة في علم الكلام، ويفتقر الداعي العاصي إلى ذلك، فكأنه لا فرج له من الحالة الّتي يعيش فيها الداعي العاصي إلّا عفو الله سبحانه عن الذنوب، وقد أشار إلى حقائق من العفو الإلهي تقتضي شمولها لحالة الداعي، وهي:

[٨/٨٤ ـ أَوَلاً: عَظَمَةُ الْعَفْوُ الإلهي]:

بِعَفْوِكَ(١) الْعَظِيمَ اِغْفِرْ ذُنُوبِي(٢) الْعَظِيمَةَ، فإنّه لَا يَغْفَرُ الذُّنُوبَ الْعَظِيمَةَ إلّا الرَّبُّ الْعَظِيمُ.

فمهما عظمت الذنوب فإنّ عفو الله أعظم، فهو ـ دون من سواه ـ المدعوّ لغفرانها، لأنه لا يغفر الذنب العظيم إلّا الرب العظيم.

[٩/٨٤ ـ ثَانِياً: اِعْتِرافُ الْعَبْدِ]:

إلهِي، أَنَا الَّذِي أُعَاهِدُكَ فَأَنْقُضُ عَهْدِي، وَأَتْرُكُ عَزْمِي(٣) حِينَ تَعْرُضُ شَهَوْتِي، فَأَصْبَحُ بَطّالاً وَأُمْسِي لَاهِياً، وَتكْتب مَا قَدَّمَتُ يَوْمِي وَلَيْلَتِي.

فإنّ الاعتراف بالجريمة يستلزم تخفيف العقاب بالنسبة إلى العاصي الذي يعترف بالذنب ثمّ ينكر ذلك؛ فإنّ إنكاره يعدّ زيادة في العصيان، وهنا يعترف العاصي بالعهد ثم نقض العهد ومخالفة العزم بسبب غلبة الشهوة، وهي الرغبة الشديدة الّتي تخرج الإنسان عن إرادته فيما تلبّس به العاصي من الذنوب، فهي لم تكن عن إرادة قاطعة للمخالفة، لكنّ المخالفة حصلت بسبب عارض هو الشهوة والنفس الامارة بالسوء، وقد أخذ الإنسان المعترف بالذنب العقاب الكافي لكي يرجع إلى رشده، وأشار إلى ثلاثة أمثلة من العقاب، هي:

---

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «إلهي بعفوك».

(٢) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في بعض النسخ: «اغفر لي ذنوبي».

(٣) عزمي: نيتي.

[٦/٨٤ ـ مُوجَبَاتِ الرَّجاءِ]:

إلهي، أَنَا الَّذِي أَدْعُوكَ وَإِن عَصَيْتُكَ، وَلَا يَنْسَى قَلبِي ذِكرَكَ.

إلهي.

أَنَا الَّذِي أَرْجُوكَ وَإِن عَصَيْتُكَ، وَلَا يَنْقَطِعُ رَجائِي مِنْ رَحمَتِكَ.

إلهي، أَنَا الَّذِي إذا طَالَ عُمُرِي زَادَتْ ذُنُوبِي، وَطَالَتْ مُصِيبَتِي بِكُثْرَةِ ذُنُوبي[١]، وَطَالَ رَجائِي بِكَثْرَةِ عَفوِكَ يا مَولَايَ.

وأشار إلى ثلاثة من موجبات الرجاء الّتي تتحكم في حياة الداعي، وهي:

١ ـ ذكر الله تعالى، فبالرغم من تلبّس الداعي بالعصيان عالماً عامداً، فإنّ قلبه كان عامراً بذكر الله، ولم ينس ذكره تعالى حين العصيان وحين الدعاء، فهو وإن لم يعمل بما يلزم الذاكر عمله، فإنّ الذكر في نفسه يستلزم الرجاء.

٢ ـ رحمة الله الواسعة، فالعاصي حين تلبّسه بالمعصية كان يؤمن بالرحمة الإلهيّة، ولم تنقطع رحمة الله تعالى منه حين العصيان، فهو في حالتي العصيان والدعاء لم ينقطع رجاءه من رحمة الله.

٣ ـ عفو الله، فإنّ العاصي بالرغم من كثرة ذنوبه وطول معصية، كان على علم بعفوه تعالى، وكلّما طال به العمر طال به الرجاء بكثرة العفو بعدد كل يوم ترجّى فيه العفو، بل عدد كل نفس تنّفس بها، وهو يؤمن بالعفو؛ لأنّ العفو من الصفات الذاتية لله سبحانه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[٢].

[٧/٨٤ ـ عَفْوُ اللهِ تَعالَى]:

إلهي، ذُنُوبِي عَظِيمَةٌ، وَلَكِنَّ عَفوُكَ أَعظَمُ مِنْ ذُنُوبِي.

استعرض في هذا المقطع عفو الله وما يتعلّق به من خصائص مدعمة بصفات

---

(١) كذا في حاشية المصدر، في نسخة، وفي المتن «ذنبي».

(٢) القرآن الكريم، سورة النساء ٤: ٩٩.

وحيث إن العقاب هو تشريع لردع العاصى عن العصيان في المسقبل بعد التوبة والاستغفار بالطرق المأمور بها، وان طلب العفو يدور بين أمرين: الاحراق بالنار عقاباً، أو المغفرة فضلا، وكلاهما لا منفعة ولا مضرّة لهما بالنسبة إلى الذات المقدسة، وحيث إنّه تعالى لا يسره تعذيب العبد التائب، يكون دفع المضرة النازلة بالعبد أولى، وهو تعالى أجدر بالمغفرة؛ لأنّ المغفرة لا تضرّه تعالى من حيث إنها تغيّر حالة الداعي إلى الأفضل، ليكون عضواً صالحاً في المجتمع.

[١٢/٨٤ ـ خامساً: الْعَفْوُ صفة الذات الـمُقدّسَةَ]:

إلهِي، لَوْلَا أَنّ الْعَفْو مِنْ صِفَاتِكَ لَمَا عَصَاكَ أَهلُ مَعْرِفَتِكَ.

فإنّ العفو من صفات الجمال للذات المقدسة الّتي وصف بها نفسه في القرآن الكريم بالعفوّ الغفور بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[(١)].

ويتمنّى التنعّم بعفوه تعالى أهل المعرفة لصفاته تعالى، ولا يمكن التنعّم بمغفرة الله سبحانه إلّا بالعصيان، ومن أجل ذلك حصل العصيان من أهل المعرفة، وان كان العصيان منهم يختلف عن عصيان الاخرين، لأن عصيانهم حسب درجاتهم، فإنّ حسنات الابرار سيّئآت المقربين[(٢)]، كما هو مشروح في علم الكلام والتفسير؛ فإنّ العصيان مهما كان نوعه يكون مقتضياً للعفو؛ الذي هو من صفات الذات المقدسة.

[١٣/٨٤ ـ سادساً: الْعَفْوُ جودٌ]:

إلهِي، لَوْلَا أَنَّكَ بِالْعَفْوِ تَجُودُ، لَمَا عَصَيْتُكَ وَإِلَى[(٣)] الذَّنْبِ أَعَوْدُ[(٤)].

والعفو جود من الله، ومن صفاته: الجواد، والاعتقاد بجوده تعالى على

---

(١) القرآن الكريم، سورة النساء ٤: ٩٩.

(٢) انظر: بحار الأنوار ٢٥: ٣٠٤.

(٣) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «ولا إِلَى».

(٤) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «أدعو».

١ ـ البطالة، حيث لم يستخدم فكره في عمل نافع واتبع شهواته النفسانية.

٢ ـ اللّهو، حيث ضيّع وقتاً من عمره العزيز الذي لا يمكن استرجاعه.

٣ ـ المحاسبة، حيث اصبحت صحيفة اعماله مظبوطة بما قام به في كلّ يوم وليلة من حياته.

فإنّ هذه الأمثلة من الصفات فعلية ترجع إلى الرشد، وهو يقتضي العفو من الله.

[١٠/٨٤ ـ ثالِثاً: عَفْوُ اللَّهِ فَضلٌ]:

إلهِي، ذُنُوبِيَ لَا تَضُرُّكَ، وَعَفوُكَ إِيَّايَ لَا يُنقِصُكَ[١]، فَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ، وَأَعْطِنِي مَا لَا يُنْقِصُكَ.

وبما أنّ عفو الله فضل وليس انتقاماً كما هو مقتضى الطبيعة الإنسانية، والله مستجمع لجميع صفات الكمال ولا ينقصه العفو، لأنه فضل منه تعالى، ولا تضرّه الذنوب؛ الا أنّها حرمت لمضرتها على الإنسان نفسه والمجتمع الذي يعيش فيه.

وفضل الله يقتضي ان يغفر الله مالا يضره وهي الذنوب، وان يتفضّل بما لا ينقصه وهو العفو.

[١١/٨٤ ـ رَابعاً: مَصْلَحَةُ الْعَبْدِ]:

إلهِي، إِن أحرَقتَنِي لَا يَسرُّكَ[٢]، وَإِن غَفَرتَ لِي[٣] لَا يَضُرُّكَ، فَافْعَلْ فِيَّ[٤] مَا لَا يَضُرُّكَ، وَلَا تَفعَل بِي مَا لَا يُسِرُّكَ.

---

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في بعض النسخ: «لا تنقصك».

(٢) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «لا ينفعك».

(٣) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «عفوت عني».

(٤) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «بي».

العَاصِينَ أَنْ أَكْلأَهُمْ[(١)] فِي مَضَاجِعِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعصُونِي، وَأَتَوَلّى حِفْظَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يذنِبُونِي[(٢)]!».

ويتضمّن هذا المقطع موجبات الرجاء الّتي تدفع الإنسان إلى رجاء الغفران والإحسان بإقالة العثرة؛ لما سبق في حياة الإنسان مما كان يستوجب الاستغفار منه، وقد أشار إلى موجبات الرجاء التالية:

١ ـ الرفق، وهو اللين لإعانة الآخرين، والله سبحانه يعين حتى من يعاديه بالالحاد، بإمداد حياته وما يستلزم ذلك من الإمداد والاستعداد، فكيف بالداعي التائب الذي يتولّاه دون غيره، ويناجيه للتخلّص عما هو فيه؟

٢ ـ الجواب لكل نداء وعدم الاهمال وان كان المنادي مستحقاً للإهمال بسوء الأعمال وقبح الفعال، فكيف بمن يناديه بالرجوع إلى الصواب، فهو أولى بالجواب؟

٣ ـ الجلال، وهو العظمة الذي من آثار عظمته إنشاء السحاب لتكون واسطة في إحياء الأرض والزرع من الثروة الزراعية والنباتية والحيوانية الّتي بها يتقوّم الحياة، فكيف لا يؤثّر جلاله في قبول دعاء التائب إليه لتحقيق حياة جديدة صالحة له؟

٤ ـ الدعاء، حيث أمر الله سبحانه بالدعاء بقوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[(٣)] فهو يلبّي كلّ من دعاه، فكيف يقطع رجاء العاصي الذي يدعوه بالتوبة؟

٥ ـ العطاء الإلهي الذي لم ينفذ بالنسبة إلى من سأله، حيث قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[(٤)].

٦ ـ القيام بالواجب، حيث يقوم الداعي على باب الله لقبول التوبة كما أمر

---

(١) أكلاهم: أحفظهم.
(٢) كما وردت الكلمة في النسخ والمصادر، وراجع: بحار الأنوار: ج٩١، ص١٤٠، ح٢١.
(٣) القرآن الكريم، سورة غافر٤٠: ٦٠.
(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٨٦.

الخلق أجمعين ومنهم العاصي التائب. والكامن في النفوس هو الّذي كان سبباً للعودة إلى الذنب، ولا ينقطع جوده عن العالمين بما يصدر من العباد من النكران والالحاد، فكيف بالتائب إلى رب العباد؟

[١٤/٨٤ ـ سَابَعاً: الْعَفْوُ أَحُبّ الأشياء إلى الله]:

إلهي، لَوْلَا أَنَّ الْعَفْوُ أَحبّ الأشياء لَدَيكَ لَمَا عَصاكَ أَحَبُّ الْخلقِ إِلَيكِ.

وقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وأكرمه بالعقل السليم وأمر الملائكة بالسجود له في شخص آدم أبي البشر، فكان أحب الخلق اليه؛ حيث لم يأمر أحداً من الخلق بالسجود إلّا له، ومع ذلك كله فقد وقع في المعصية، ولكن الله اتبع ذلك بالعفو عنه، وذلك يكشف عن أنّ العفو أحب الأشياء لديه، حيث خصّ به أحبّ الخلق إليه.

وهذه النقاط السبع تقتضي أن يشمل العفو الإلهي حالة العبد العاصي التائب حتى يعود عضواً صالحاً في المجتمع.

[١٥/٨٤ ـ مُوجَبَاتُ الرَّجاءِ]:

إلهي، رَجائِي مِنْكَ غُفْرَانٌ، وَظَنِّي فِيكِ إِحسانٌ، أَقِلنِي عَثْرَتِي رَبِّي فَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَ.

فيَا مَنْ لَهُ رِفْقٌ بِمَنْ يُعَادِيهِ، فَكَيْفَ بِمَنْ يتولّاهُ وَيُنَاجِيهِ؟!

ويا مَنْ كُلَّمَا نُودِيَ أَجَابَ، ويا مَنْ بِجَلَالِهِ يُنْشِئُ السَّحَابَ، أَنْتَ الَّذِي قُلْتَ: «منْ الَّذِي دعاني فَلَمْ أُلَبِّهِ؟ وَمَنْ الَّذِي سألني فَلَمْ أَعْطِهِ؟ وَمَنْ الَّذِي أَقَامَ بِبَابِي فَلَمْ أُجبهُ؟»، وَأَنْتِ الَّذِي قُلْتْ: «أَنَا الْجَوَادُ وَمِنِّي الْجودُ، وَأَنَا الْكَرِيمُ وَمِنِّي الْكَرْمُ، وَمِنْ كَرَمِي فِي

مرجوّاً للعفو والمغفرة، للذي يصدر منه الذنب على سبيل التكرار، فمن يتكرر منه الغفران هو المرجوّ في المغفرة في ذلك دون غيره.

[١٧/٨٤ ـ ثانياً: الكرم والاحسان]:

إلهي، بِئسَ مَا فَعَلْتُ مِن كَثْرَةِ الذُنُوبِ وَالعِصْيَانِ، وَنِعْمَ مَا فَعَلْتَ مِنَ الكَرَمِ وَالإحْسَانِ.

فإنّ الله ذو الجلال والاكرام، وهو ﴿يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[١]، وحيث أنّه أمر بالاحسان وهو منبع الجود والكرم، فهو المرجو في الاحسان على الداعي للعفو عمّا فعله من السوء بنفسه من كثرة الذنوب والعصيان. وهو الله وحده دون سواه.

[١٨/٨٤ ـ ثَالِثَا: كَثْرَةُ الْفَضلِ]:

إلهِي، أَنْتَ الَّذِي أَغْرَقْتَ نَفْسَكَ[٢] بِالْجُودِ وَالْكَرَمِ وَالْعَطَايا، وَأَنَا الَّذِي أَغْرَقتُ نَفْسِي بِالذُّنُوبِ وَالْجهالَةِ وَالْخَطَايا، فَأَنْتَ[٣] مَشْهُورٌ بالإحسَانِ، وَأَنَا مَشْهُورٌ بِالْعِصْيَانِ.

فإنّ الله سبحانه اختص بكثرة الفضل على العالمين، ومن ذلك:

١ ـ الجود، وهو البذل بدون مقابل.

٢ ـ الكرم، وهو الصفح لطلب الذات.

٣ ـ العطايا، وهي ما تدفع تكريماً.

---

١) القرآن الكريم، سورة النحل ١٦: ٩٠.
٢) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «أغرقتني».
٣) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «وأنت».

الله، حيث قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾(١) فوعد تعالى بقبول التوبة إجابةً بالايجاب للدعاء لقيام الداعي بواجبه، فيكون في ذلك رجاؤه.

٧ ـ الجود، فإنّ الله سبحانه الجواد الذي عمّ جوده جميع الموجودات، فإنّ أيّ جود لابدّ وأن ينتهي إلى جود الذات المقدسة تعالى، فكيف ينقطع جوده عن الداعي؟

٨ ـ الكرم، فإنّ الله سبحانه كريم، ومنه ينبع الكرم على الخلق اجمعين، ومنهم العاصين الذين يكلأهم الله، أي يحرسهم في حياتهم حتى في النوم حينما هم في المضاجع، ويتعامل معهم كأنّهم لم يذنبوا، فكيف لا يعمّ كرمه سبحانه للداعي الذي ترك ذنبه وتوجّه إلى ربّه؟

فإنّ هذه الحقائق هي من موجبات الرجاء لعفو الله للإنسان الذي وقع في العصيان، حيث تحقّق عفو الله لغير الداعي بسبب بعض هذه الحقائق ممّن لم يكن بهذه الدرجة من الفاقة إلى العفو الّتي يعيشها الداعي.

[ومن صِفَات المرجوّ تَعَالَى]:

واشار في هذا المقطع إلى صفات المرجوّ تعالى الّتي توجب الرجاء منه، دون سواه، وهي:

[١٦/٨٤ ـ أولا: غفارُ الذُّنُوبِ]:

إِلهِي، مَنْ الَّذِي يَفعَلُ الذُّنُوبَ؟ وَمَنْ الَّذِي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ؟ فَأَنَا فَعَّال لِلْذُنُوبِ(٢)، وَأَنْتَ غَفَّارٌ لِلْذُنُوبِ(٣).

وحيث أنه لا غافر للذنوب سواه تعالى، وأنّه المبالغ في المغفرة فيكون

---

(١) القرآن الكريم، سورة الشورى٤٢: ٢٥.

(٢) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «الذنوب».

(٣) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «الذنوب».

ـذنب فلا علاج له سوى التوبة بشرائطها، وإذا تكرّر الذنب يصبح كالعادة فلا ـفع فيها دواء، فيكون النوح من أجلها ليلا ونهاراً بلا فائدة؛ لأن الذنوب أفنت ـعمر، وبالنتيجة تكون هذه الحالة مقتضية لِتحقيق الرجاء.

٢٠/٨٤ ـ ثَانِيَاً: الْعَجزُ]:

إلـهِي، طَـالَ حُزْنِي، وَدَقَّ[١] عَظْمِي، وبَلِي جِسْمِي[٢] وَبَقِيَت ـذُّنُوبُ عَلَى ظَهْرِي، فَإِلَيكِ أَشْكُو سَيِّدِي فَقْرِي وَفَاقَتِي، وَضَعْفِي وَقِلَّة ـيْلَتِي.

ويعجز الإنسان عن تحمّل الذنوب بدون العفو والمغفرة من الله، وذلك ـسباب هي:

١ ـ الفقر، وهي الحاجة إلى ما يكفّر عن الذنوب، وليس هناك شيء سوى ـو الله.

٢ ـ الفاقة، وهي شدّة الحاجة؛ لانقطاع الأسباب كلّها ما عدى السبب ـإلهي.

٣ ـ الضعف، لعدم قدرة الإنسان على تحمّل عقاب هذه الذنوب التي ـتكبها في الحياة.

٤ ـ قلّة الحيلة، وهي الوسيلة للتكفير عن الذنوب؛ حيث انحصرت الوسيلة ـنحوه تعالى، وهذه الأسباب أثرّت في حالة الإنسان بوجوه، منها:

١ ـ طول الحزن؛ للعلم باستحقاق العقاب العادل.

٢ ـ دقّة العظم، والدقة: الضعف، ضدّ الغلظة، وهنا كناية عن العجز عن ـاومة العقاب.

---

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «رق».
(٢) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «جسدي».

فإنّ أنواع الفضل هذه ذاتية، فهو تعالى منبع لها، ويعُمّ الموجودات كلها بفضله تعالى كما هو ثابت في كل الأديان، وأنواع احسانه مشهور في كلّ لسان.

والإنسان من جانبه اغرق نفسه بصفات النكران للفضل، ومن ذلك:

١ ـ الذنوب، مما ارتكبه عالماً عامداً.

٢ ـ الجهالة، مما وقع فيه عن غفلة.

٣ ـ الخطايا، مما ارتكبه عن زلّة.

فالإنسان مشهور بعصيان أوامر خالقه منذ بداية خلق الإنسان، وبالرغم من ذلك استمر أنواع الفضل عليه الّتي منها استمرار حياته بكرامة العقل والاختيار، وكلّ ذنب يوجب الرجاء من الله وحده دون سواه.

[ومن حالَاتِ الرَّاجِي]:

واستعرض في المقطع الثاني حالات الراجي المقتضية لتحقيق رجائه، وهي:

[١٩/٨٤ ـ أولاً: ضِيْقُ الْقلبِ]:

إِلهِي، ضَاقَ قَلْبِي[1] وَلَسْتُ أَدرِي بِأَيّ عِلَاجٍ أَداوِي ذَنْبِي؟ فَكَمْ أَتُوبُ مِنْهَا؟ وَكَمْ أَعَوْدُ إِلَيهَا؟ وَكَمْ أَنوْحُ عَلَيهَا لَيْلِي وَنَهَارِي؟ فَحَتَّى مَتَى يَكُونُ وَقَدْ أَفنيتُ بِهَا عُمُرِي؟!

فإنّ الذنوب للعلم بأنّها ذنوب يتعدى بها العاصي على القانون الإلهي توجب تشويش الفكر؛ للخوف من العقاب العادل عليها، والفضيحة في المجتمع بها، والهموم الفكرية النفسية تؤثر على القلب، فإنّ كثيراً من الأمراض الجسمية لها أسباب نفسية، ومن تلك الأمراض ضيق القلب، وحيث أنّ السبب الاصلي هو

---

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «ضاق صدري».

[٢٢/٨٤ ـ اِنْتِظارُ الْعَفْوَ]:

إلهي، أَنْتَظِرُ عَفوَكَ كَمَا يَنْتَظِرُهُ الْمُذْنِبُونَ، وَلَسْتُ أَيْأَس مِنْ رَحمَتِكَ الَّتي يَتَوَقَّعها الْمُحْسِنُونَ.

وفي هذه المرحلة ينتقل الداعي من الرجاء إلى انتظار العفو بعد أن استعرض بتفصيل أن الرجاء من حقّ الداعي كما تقتضيه حالته البائسة، فيكون من هذه الجهة كسائر المذنبين المحكوم عليهم بأحكام أوجبته طبيعة الذنوب الّتي ارتكبوها، حيث لا طريق لهم للخلاص إلّا بعفو الله من دون يأس؛ لأنه ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[١] وليس الداعي والمذنبون كفاراً، فهم جميعاً يشتركون مع المحسنين في توقّع رحمته تعالى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢] والداعي التائب محسنٌ على نفسه بالتوبة، فيكون مثلهم منتظراً للأجر الذي هو عفو الله.

[٢٣/٨٤ ـ أَسَبابُ الاِنْتِظارِ]:

إلهي، أَتُحرِقُ بِالنَّارِ وَجْهِي، وَكَانَ لَكَ مُصَلِّياً؟!

إلهي، أَتُحرِقُ بِالنَّارِ عَيْنِي، وَكَانَتْ مِنْ خُوفِكَ باكِيَةً؟!

إلهي[٣]، أَتُحرِقُ بِالنَّارِ قَلبِي، وَكَانَ لَكَ مُحِبًّا؟!

إلهي، أَتُحرِقُ بِالنَّارِ جِسْمِي، وَكَانَ لَكَ خَاشِعًا؟!

إلهي[٤]، أَتُحرِقُ بِالنَّارِ لِسانِي، وَكَانَ للقرآن تالِياً؟![٥].

---

(١) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢ : ٨٧.

(٢) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢ : ٥٦.

(٣) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة زيادة: «أتحرق بالنار لساني، وكان للقرآن تالياً؟»، وفي بعض النسخ: «إلهي إلهي».

(٤) كذا في المصدر، ولم ترد في بعض النسخ: «إلهي».

(٥) لم ترد في بعض النسخ: «أتحرق بالنار لساني، وكان للقرآن تالياً؟» هنا.

٣ ـ بلى الجسم، والبلى: فساد الشيء بأن يصبح رثّاً، وهو كناية عن ضعف جسم الإنسان فيتدرّج في نقصان القوة كلّما زاد به العمر، فكيف اذا حمل الذنوب على ظهره في طول مسيرة الحياة؟

وهذه الحالة تقتضي الشكوى إلى الله سبحانه، والرجاء منه دون سواه لنيل العفو.

[٢١/٨٤ ـ ثَالِثاً: الْوَجَلُ]:

إلـهي، يَنَامُ كُلُّ ذِي عَيْنٍ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى وَطَنِهِ، وَأَنَا وَجِلُ الْقَلبِ وَعَيناي تَنْتَظِرَانِ(١) رَحْمَةَ رَبِّي.

والوجل: شدّة الخوف، وأوّل ما يظهر آثاره في العين والوجه، وذلك ينبئ عن شدة الخوف في القلب، ومن يتلبّس بالذنوب يعيش هذه الحالة، في حين أنّ كلّ ذي عين من الإنسان والحيوان والهوام والحشرات يستريح حينما يأوي إلى موطنه، وهو محل الاستيطان والاقامة للسكن والراحة، من دون خوف أو وجل. وبالرغم من أنّ الإنسان وجل القلب بسبب العصيان؛ فإنّه ينظر إلى رحمة الله.

وختم عليه السلام هذه الحالات الثلاث بما يحقق الرجاء، وهو قوله:

فَأَدْعُوكَ يا رَبِّ، فَاسْتَجِبْ دُعَائِي، وَاقْضِ حاجَتِي، وَأَسْرِع إجابَتي(٢).

وهو استجابة الدعاء بالعفو عن الذنوب وقضاء الحاجة بالايجاب سريعاً من دون ردّ؛ فإنّ السرعة في الاجابة سرعة انقاذ النفس من الهلاك، وإعداد العضو الصالح في المجتمع.

---

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «تنظران».

(٢) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «بإجابتي».

العفو الإلهي، فالمتوقّع ممّن وعد بقبول الطاعات العفو لكي يتحقق بذلك ما وعد
..

٢٤/٨٤ ـ [العَفْوُ مَعْرُوف]:

إلهِي، أَمَرتَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْتَ أَوْلَى بِهِ مِنْ المأْمُورِينَ، وَأَمَرتَ بِصِلَةِ السؤّال وَأَنْتَ خَيرُ المسؤُولين.

وفي هذا المقطع أشار إلى سبب آخر يستوجب العفو من الله، وهو أنّ العفو من المعروف، وقد أمر سبحانه بالمعروف، بقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾[١] وحيث إنه سبحانه أمر بذلك، فهو أولى بأن يحقق المعروف، ومنه عفوه تعالى.

حيث عدّ سبحانه وتعالى من أولي الألباب ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾[٢] وأمر بالسؤال بقوله: ﴿وَسْـَٔلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾[٣]. وحيث إنه أمر بذلك فهو أولى بصلة السؤال بالعفو، وهو خير المسؤولين.

٢٥/٨٤ ـ [المحتاج إلَى العَفْو]:

إلهِي، إنَّ عَذَّبتَنِي فَعَبْدٌ وَجَدْتَهُ مُسيِئاً فَعَذَّبْتَهُ، وان عَفَوْتَ فَعَبْدٌ وَجَدْتَهُ مُحْتَاجاً إِلَى جَنَّتِكَ فَأَنْجَيْتَه[٤].

وفي هذا المقطع إشارة إلى أنّ العفو مما يفتقر اليه التائب للنجاة من الحالة الّتي هو فيها، والعذاب ليس نجاة، بل هو مجرّد عقاب للمستحق له. وحيث إن

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ١٠٤.

(٢) القرآن الكريم، سورة الرعد ١٣: ٢١.

(٣) القرآن الكريم، سورة النساء ٤: ٣٢.

(٤) لم ترد في بعض النسخ: «إلهي، إن عذّبتني فعبد وجدته مسيئا فعذّبته، وان عفوت فعبد وجدته محتاجاً إلَى جنّتك فأنجيته» وورد بدله ما يلي: «إلهي، إن عذّبتني فعبد خلقته لما أردته فعذبته، وإن أنجيتني فعبد وجدته مسيئا فأنجيته».

إلهي، أَتُحرِقُ بِالنَّارِ أركَاني، وَكَانَتْ لَكَ رُكَّعاً سُجَّداً؟!

ثمّ أشار إلى أسباب الانتظار لعفو الله، وأنّه ليس توقّعاً من دون سبب معقول، فإنّ التأمّل في صفات الذات المقدسة يقود الإنسان إلى الاعتقاد بشمول عفوه التائب، وأشار إلى الأسباب التالية:

١ ـ الصلاة لله سبحانه، فإنّ الصلاة معراج المؤمن، فكيف يحرق الله الوجه الذي صلى له وحده، وبعد ارتكاب المعصية عاد تائباً كما أمر سبحانه؟!!

٢ ـ الخوف من الله، بالبكاء المعبّر عن الندم على المعاصي، والندم أُولى مبادئ التوبة، فكيف يحرق الله بالنار العين الباكية من خوف الله؟!!

٣ ـ حبّ الله، حيث رجع التائب إلى الله لحبّه لتحصيل رضاه، دون سواه، فكيف يحرق الله بالنار قلب المحبّ له؟!!

٤ ـ الخشوع لله، بالعمل على مقتضى رضاه، ومنه التوبة والدعاء والعبادة المأمور بها، فكيف يحرق الله بالنار الجسم الذي يقوم بواجبه من الخشوع في أعماله؟!!

٥ ـ تلاوة القرآن، حيث أمر سبحانه بقوله: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾(١)، فكيف يحرق الله بالنار اللسان الذي امتثل أمر الله وكان للقرآن قارئاً؟!!

٦ ـ الركوع والسجود، حيث أمر بهما سبحانه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾(٢)، فكيف يحرق الله بالنار الأركان، وهي أعضاء الجسم التي بواسطتها تحقق الركوع والسجود لله؟!!

فإنّ هذه الموارد ممّا أمر الله سبحانه بها، ولابدّ ان يترتب عليها الآثار الموعود بها، ومنها: القبول، ومع قبولها لا يمكن العذاب بالنار، وحيث أنّ العائق والمانع من القبول هي المعاصي ولا يمكن رفع هذا العائق بشيء سوى

---

(١) القرآن الكريم، سورة المزّمل ٧٣: ٢٠.
(٢) القرآن الكريم، سورة الحج ٢٢: ٧٧.

ولم يظهرها الله في الدنيا لعدم التوبة منها، أو أنه سبحانه لم يظهرها على المجتمع لفسح المجال أمام العاصي كي يتوب، واذا لم تحصل التوبة في الدنيا كما ينبغي، فسوف تبقى المعاصي عالقة به، وصحيفة من ارتكبها مسودّة، فهي في يوم الحساب تكون واضحة على رؤوس العالمين؛ لأنه يوم الحساب العام، فتكون الفضيحة الّتي لا ينفع معها التوبة، واذا لم تقبل التوبة في الدنيا. فليكن البديل، وهو الدعاء بالستر بسبب العفو في الآخرة حتى لا يقع في فضيحة عامة هناك.

[ومن موجبات الأمل]:

وأشار في هذا المقطع وما بعده إلى ثلاثة أمور من موجبات الأمل بعفو الله سبحانه، وهي:

[٢٨/٨٤ ـ أَوَلاً: جُودُ اللهِ]:

إلهي، جودُكَ بَسَطَ أَمَلِي، وَشُكرُكَ قَبلَ عَمَلِي، فَسُرَّنِي بلِقَائكَ عِنْدَ اِقْتِرابِ أَجَلِي.

فإنّ الله سبحانه جواد كريم، ومن مظاهر جوده العفو لأجل الشكر، قال سبحانه: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1] وجعل على نفسه قبول الشكر بالزيادة حيث قال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2] والداعي شاكر على نعمائه، وذلك موجب للأمل في العفو الذي هو من مظاهر جوده تعالى.

[٢٩/٨٤ ـ ثانِيَاً: الاِعْتِقادُ بِاللهِ]:

إلهي، إذا شَهِدَ لِي الإيمانُ بِتَوْحِيدِكَ، وَنَطَق لِسَانِي بِتَحْمِيدِكَ، وَدَلّنِي القرآنُ عَلَى فواضلَ جُودِكَ، فَكَيْفَ يَنْقَطِعُ رَجائِي بِمَوْعُودِكَ[3]؟!

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٥٢.

(٢) القرآن الكريم، سورة ابراهيم ١٤: ٧.

(٣) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «بموعدك».

الله غنيّ عن العذاب، والتائب محتاج إلى النجاة، وهو في حالة التوبة الصادقة، فتقتضي حالته النجاة، لا العذاب فإنّه لا نجاة فيه.

[٢٦/٨٤ ـ عِصْمَةُ اللهِ]:

إلٰهِي، لَا سَبِيلَ[١] إِلَى الاحتراس مِن الذَّنْبِ إلّا بِعِصمَتِكَ، وَلَا وَصُولَ[٢] إِلَى عَمَلِ الْخَيْرِ إلّا بِمَشْيَّتِكَ[٣].

وبالرغم من أنّ العاصي مسؤول عمّا قام به باختيار، ويستحق العقاب العادل على ما قام به، إلّا أنه بشر، وبحكم بشريته لا عصمة له إلّا بعصمة من الله سبحانه، حيث أنّه لا عصمة إلّا لمن عصمه الله ممّن أراد الله لهم العصمة بمشيئته سبحانه كالأنبياء والأئمّة الذين اختارهم قدوة للامة وعصمهم من كلّ زلّة حتى يبلّغوا رسالته كاملة.

وعليه، فإذا وقع الإنسان في العصيان، فإنّ ذلك بعلم الله سبحانه بضعف الإنسان عن مقاومة النفس الأمّارة بالسوء، وعلمه سبحانه بنقطة الضعف هذه يقتضي العفو عن الإنسان، حيث أنها تكشف عن انّ العصيان لم يكن تمرّداً حقيقياً على إرادة الله سبحانه.

[٢٧/٨٤ ـ ستْر اللهِ]:

إلٰهِي، سَتَرتَ عَلَيَّ فِي الدُّنْيا ذُنُوباً وَلَمْ تُظْهِرَهَا[٤]، فَلَا تَفْضَحنِي بِهَا يَوْم الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْعَالِمِينَ.

وبسبب نقطة الضعف هذه في الإنسان المستلزمة للانزلاق والعصيان، ستر الله سبحانه على ما يحصل من الإنسان في الدنيا من الذنوب؛ لأنّه ستّار العيوب،

---

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة زيادة: «لي».
(٢) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة زيادة: «لي».
(٣) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة زيادة: «فكيف لي بالاحتراس ما لم تدركني فيه عصمتك؟».
(٤) كذا في المصدر، وفي الحاشية، كذا في بعض النسخ، وفي الأصل: «تطهّرها».

العاصي ميّتاً بين الاحياء، حيث قتل شخصيته المعنوية وأسقط اعتباره في المجتمع بسيف العصيان باختياره وقصده.

ويترتب على تلك القطيعة بينه وبين الله سبحانه: الحرمان من رحمته واستحقاق عقابه؛ حيث لم يترك العصيان وجهاً للإنسان يواجه به ربّه سبحانه، فلا محيص له سوى طلب الأمان في الدنيا والأمان في الآخرة.

فإنّ هذه الأمور الثلاث: من جود الله، والعقيدة الصحيحة، والاعتراف، موجبات للأمل بالله في العفو والانتشال من آثار العصيان، والله المستعان.

[٣١/٨٤ ـ عَفْو آدم]:

إلهي، عَصَاكَ آدمُ فَغَفَرتَهُ[١]، وَعَصَاكَ خلقٌ مِنْ ذُرّيَتِهِ، فيَا مَنْ عَفَا عَنْ الْوَالِدِ[٢] مَعْصِيَتَهُ، أعْف عَنْ الْوُلْدِ الْعصاةِ لَكَ مِنْ ذُرّيَتِهِ.

وفي هذا المقطع أشار إلى أنّ التاريخ الديني يشهد بأنّ الله تعالى حقّق آمال الآملين بالعفو عن المعصية التي ارتكبوها كلٌ حسب المسؤولية الّتي تحمّلها، فإنّ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين[٣].

واكتفى بالإشارة إلى أبي البشر آدم عليه السلام حيث ورد فيه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[٤] حينما نهى آدم وزوجه عن الاقتراب إلى الشجرة بقوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٥].

ونتيجةً لوسوسة الشيطان ابتلي بالعصيان، ثم استغفرا الله قائلين: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[٦]. ثم تاب الله عليه بعد ان أدّى

---

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «فغفرت له».

(٢) الوالد: يعني به هنا «آدم عليه السلام».

(٣) انظر: بحار الأنوار ٢٥: ٣٠٤.

(٤) القرآن الكريم، سورة طه ٢٠: ١٢١.

(٥) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٩.

(٦) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ٢٣.

فإنّ الاعتقاد الصحيح يستلزم الاعتقاد بالقدرة المطلقة على كلّ شيء، ومن ذلك العفو؛ فإنّ الله على كلّ شيء قدير، وقد عاش الداعي ما تتطلّبه العبادة الصحيحة، ومن مظاهرها في حياته:

١ ـ التوحيد، فإنّ الإيمان بالله تعالى هو الشهادة بالوحدانية، وهي أصل الاعتقاد بالجنان.

٢ ـ التحميد، حين يحمد الداعي بالثناء على الجميل الاختياري من الله باللّسان.

٣ ـ القرآن، حيث عمل بما دلّ عليه القرآن بالأركان.

وما دلّ عليه القرآن فواضل جود الله سبحانه المنتشرة في الكون بما فيه الإنسان الداعي، حيث أعطاه سبحانه القدرة على الدعاء، ووعد إجابته بقوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]، وحيث أنّ وعده تعالى حقّ، فكيف يمكن ان ينقطع الرجاء عمّا وعد من الاستجابة بالعفو؟!!

[٨٤/٣٠ ـ ثَالِثاً: الاِعْتِرافُ]:

إلهي، أَنَا الَّذِي قَتَلْتُ نَفْسِي بِسَيْفِ الْعِصْيَانِ، حَتَّى اِسْتَوْجَبْتُ مِنْكَ الْقَطِيعَةَ وَالْحِرْمَانَ، فالأمانَ، الْأَمَانَ، هَلْ بَقِيَ لِي عِنْدَكِ وَجهُ الْعِصْيَانِ[2]؟

والداعي يعترف بما صدر منه من الذنوب عاصياً، والاعتراف من دون تنصّل عن المسؤولية يقتضي تخفيف العقوبة، وذلك يوجب الأمل في عفوه تعالى.

وقد تضمّن الاعتراف الصراحة التامة من نتيجة الذنوب على الإنسان، وهي القتل المعنوي حيث أنّ الذنوب تقضي على الحياة الروحية، وتجعل الإنسان

---

(١) القرآن الكريم، سورة غافر٤٠: ٦٠.

(٢) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «وجه الإحسان».

وبعد ذلك يأتي قبول التوبة والعفو من الرحمان، والله المستعان.

[٣٣/٨٤ ـ الْمُحَاسِبَة]:

إلهي[١]، حَاسَبْتُ نَفْسِي، فَلَمْ أَجِدْ أَنْ أُقُومَ بِشُكْرِ مَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ، وَخَلَقْتَ نَاراً لِمَنْ عَصَاكَ، وَوَعَدْتَ فِيهَا أَنْكَالاً[٢] وَجَحِيماً وَعَذَاباً[٣]، وَقَدْ خِفْتُ يا مَولَايَ أَنْ أَكُونَ مُسْتَوْجِباً لَهَا؛ لِكَبِيرِ جُرْأَتِي، وَعَظِيمِ جُرمِي، وَقَدِيمِ إِساءَتِي، وَلَا يَتَعَاظَمُكَ[٤] ذَنْبٌ تَغْفِرُهُ[٥] لِي، وَلَا لِمَنْ هُوَ أَعْظَمُ جُرماً مِنِّي؛ لِصِغَرِ خَطَرِي[٦] فِي مُلْكِكَ مَعَ يَقِينِي بِكَ، وَتَوَكُّلِي وَرَجائِي لَدَيْكَ.

وحينما يريد الإنسان المحاسبة لأيّ عمل يقوم به فإنّه ينبغي ان يسجل ما له وما عليه حتى يتعادل لسان الميزان، والإنسان العاصي التائب عند المحاسبة يجد في صحيفة اعماله أُموراً، هي:

١ ـ الشكر على نعم الله، ولكنه ليس متعادلا مع ما انعم الله بها عليه، وأقلّها نعمة العقل والحياة.

٢ ـ الجرأة على الله بالتفكير في المعاصي وان لم يتلبّس بها؛ فإنّه يكون بذلك متجرّياً ويستحق الذم على تجرّيه.

٣ ـ الجرم بارتكاب المعاصي عن علم فيما يترتب عليها، فيكون مستحقّا للعقاب العادل.

٤ ـ الإساءة بإهمال المسؤولية في أداء دوره في الحياة كإنسان وكمسلم عليه واجبات ومسؤوليات خاصّة.

---

(١) كذا في المصدر، ولم ترد: «إلهي» في بعض النسخ، وفيها بدل ذلك: «و».

(٢) الأنكال: القيود.

(٣) قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ❁ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة المزمل ٧٣: ١٢ ـ ١٣.

(٤) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «فلا يتعاظمك».

(٥) كذا في بعض النسخ، وفي الأصل: «يغفره».

(٦) خطري: قدري.

واجبه من الدعاء، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، فإنّ حياة آدم درس للتوبة في سلسلة مترابطة ابتداءً بالمعصية، ثم استحقاق العقاب للظلم، ثم الاعتراف بالظلم، ثم الاستغفار من الذنب، ثم التوبة من الله.

فيكون توبة آدم درساً لمن يأتي بعده من ذرّيته الذين سلكوا مسلك التوبة في سلسلة مترابطة كما سلكها ابوهم آدم؛ فإنّ من عفى عن الوالد وهو آدم معصيته الّتي كانت من باب ترك الأولى، كذلك هو قادر على ان يعفو عن أولاده العصاة بالمعاصي الّتي هي الذنوب، والداعي سلك مسلك التوبة فإنّه بالمعصية استحق العقاب لظلمه نفسه، ثم اعترف بالظلم على نفسه المستلزم لظلم المجتمع باهمال الواجب في سلامة المجتمع، ثم الاستعاذة من الذنوب بالتوبة والرجوع إلى الله، فيقتضي شمول العفو له كما حصل لابي الأنبياء عليه السلام، فإنّ هذا أضعف منه في المسؤولية، فيكون أولى بالعفو.

[٣٢/٨٤ ـ ضَعْفُ الإنسان]:

إلهي، خَلَقَتَ جَنَّتَكَ لِمَنْ أَطَاعَكَ، وَوَعَدَتَ فِيهَا مَا لَا يَخْطُرُ بِالْقُلُوبِ، وَنَظَرَت إِلَى عَمَلِي، فَرَأَيْتُهُ ضَعِيفًا يا مَوْلَايَ.

وعقّب ذلك بالاعتراف بضعف الإنسان في عمله كما هو ضعيف في خلقه، وقد قال سبحانه: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾[2] وضعف عمله باد من ذنوبه، وحيث يجتمع ضعف الخلق مع ضعف العمل يكون الإنسان أبعد من الوصول إلى ما وُعد به أهل الطاعة من الجنة وما فيها مما لا يخطر على القلوب الماديّة، حيث أنها اسمى من التفكير الماديّ البحت؛ فإنّ الضعف أمام المغريات من خصائص البشر، من آدم الأب إلى الافراد من ذريته، ولا خلاص من هذا الضعف إلّا بما قام به ابونا آدم في مسيرة التوبة، وأهمّ ماقام به أمران:

الأوّل: محاسبة النفس على الظلم من العصيان الذي ارتكبه.

الثاني: محاربة الشيطان الذي يوسوس في صدر الإنسان.

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٣٧.

(٢) القرآن الكريم، سورة النساء ٤: ٢٨.

[٣٤/٨٤ ـ عَدَاوَةَ الشَّيْطَانِ]:

إِلهِي، جَعَلْتَ لِي عَدُوًّا يَدْخُلُ قَلْبِي، وَيَحُلُّ[١] الرأيَ وَالْفِكْرَ[٢] مِنِّي، وَأَيْنَ الْفِرَار إذا لَمْ يَكُنْ مِنْكَ عَوْنٌ عَلَيهِ؟!

وختم المقطع الأخير من الدعاء بدور الشيطان في انهماك الإنسان في العصيان، وقد تقدّمت الإشارة إلى ذلك في دعاء الاستعاذة من الشيطان (رقم ١٧) فليراجع ما أشار اليه من مكائده[٣].

وقد أشار في هذا المقطع إلى خصائص ثلاثة له، هي:

١ ـ العداوة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٤].

٢ ـ الدخول في القلب، أي تشويش فكر الإنسان حين يتجرّأ على العصيان ويضل في الطريق كما حكى عنه تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾[٥]، فالشيطان يستنفذ كل الطرق الّتي يتبعها أيّ عدوّ في الإضرار بالإنسان.

٣ ـ حلّ الرأي والفكر، والحل: الرخاوة، وهو كناية عن استسلام الفكر لرأي الشيطان وتنفيذ رغباته، والميل عن الصراط المستقيم الّذي أعده الله لكل شيء في الحياة، وذلك بالاعتماد على الوعود الكاذبة والأماني الفارغة الّتي أدّت إلى معصية الله تعالى، واستحق الإنسان بها العقاب العادل.

ولا مفرّ من عدوّ على كامل الاستعداد لاستخدام كافة السبل الوضيعة للوقيعة بالإنسان إلّا بالله.

---

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة زيادة: «محل».
(٢) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «والفكرة».
(٣) راجع: الجزء الأول، ص٣٢١ من هذا الكتاب.
(٤) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢: ٥.
(٥) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٦ ـ ١٧.

٥ ـ اليقين بالله والاقرار بالشهادة؛ بالإيمان بالتوحيد وما يلزمه من الاعتقاد الصحيح.

٦ ـ التوكّل على الله بالاعتماد على قراره الحكيم فيما قضاه وقدّره في حياة الإنسان.

٧ ـ الرجاء بالله بما لديه من العفو والمغفرة للمعاصي.

وحيث أنّ الشكر غير متعادل مع النعم فتبقى للمحاسبة النقاط الستة، ففي جانب من كفتي الميزان أُمور ثلاثة تستحق الذم او العقاب أو اللوم، وهي: الجرأة والجرم والإساءة، وفي جانب الكفة الاخرى للميزان أيضاً أمور ثلاثة: هي اليقين، والتوكّل والرجاء.

وبالنتيجة تكون الكفّتان متعادلتان، ويبقى القرار الأخير إلى ترجيح إحداهما على الأُخرى بإرادة الله سبحانه؛ لتوفّر موجبات العقاب الذي هو حكم عادل حيث وعد الله سبحانه النار لمن عصاه؛ جزاءً لارتكاب المعصية عالماً عامداً، وذلك بالطرق المتّبعة، وهي:

١ ـ النكل ـ بالكسر ـ وهو القيد الحديدي الذي يقيدّ به المخالف لقانون الله تعالى.

٢ ـ الجحيم، وهو المكان الذي يتأجّج بالنار الموقدة.

٣ ـ العذاب، وهو ما يستحقّه الإنسان العاصي.

وقد استحقها العاصي لكبر الجرم بتعديه حدود الله وعظم الجرم بارتكاب المحرمات الكبيرة، وقدّم الإساءة كناية عن استمرارها.

وختم المقطع بما يقتضي ترجيح كفّة الرجاء، وهو أنّ عظمة الذنب ـ مهما عظم ـ لا يكون أعظم من إرادة الله سبحانه وهو التوّاب الرحيم الذي وسعت رحمته كلّ شيء[1] وسبقت مغفرته لمن هو أعظم خطراً كآدم أبي البشر، فكيف لا تسع رحمته ومغفرته الداعي الذي هو دونه في الصغر والخطر؟!!

---

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

[الدعاء الخامس والثّمانون]

دُعاء العتقِ
أيضاً عَن زَينِ العَابِدِينَ صَلَوَاتُ الرَّحمنِ وَسَلَامُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيهِ(١)

---

(١) نقل هذا الدعاء السيد الأبطحي في الصحيفة السجادية (الجامعة)، ص ٤٩٦، عن الإمام زين العابدين عليه السلام هكذا: «في المناجاة: إلهي، لو سألتني حسنات لوهبتها لك مع فقري إليها وأنا عبد، فكيف لا تهب لي سيئاتي مع غناك عنها وأنت رب!؟ إلهي، أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا، وقد ظلمنا أنفسنا، فاعف عنا، وأمرتنا أن نتصدق على فقرائنا، ونحن فقراؤك، فتصدق علينا، وأمرتنا أن لا نرد المساكين عن أبوابنا، ونحن مساكينك، فلا تردنا عن أبوابك. إلهي، أمرتنا أن نعتق من مماليكنا من قد شاب في ملكنا، وقد شبنا في ملكك، فأعتقنا من النار. اللهم كما حرمت على جباهنا أن تسجد لغيرك، وحرمت على أكفنا أن تمد إلى سواك، فأغننا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك، برحمتك يا أرحم الراحمين.

كما نقل بعض مضامينه عبد الوهاب علي السبكي، في طبقاته (٥: ٢٣٧) نقلا عن شهدة بنت أحمد بن الفرج الإبري، قالت: سمعت القاضي الامام عزيزي بن عبد الملك من لفظه سنة تسعين وأربع مئة يقول: اللهم يا واسع المغفرة، ويا باسط اليدين بالرحمة، افعل بي ما أنت أهله، إلهي.. أذنبت في بعض الأوقات، وآمنت بك في كل الأوقات، فكيف يغلب بعض عمري مذنبا جميع عمري مؤمنا، إلهي لو سألتني حسناتي لجعلتها لك مع شدة حاجتي إليها وأنا عبد، فكيف لا أرجو أن تهب لي سيئاتي مع غناك عنها وأنت رب؟.... وفي (٥: ٢٣٦ ـ ٢٣٧)، ما نصه: أخبرتنا أم عبد الله زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي قراءة عليها وأنا أسمع، قالت: أنبأنا الشيوخ الأربعة ابن الخير وابن السيدي وابن العليق وابن المني إجازة، قالوا: أنبأتنا شهدة بنت أحمد ابن الفرج الأبري سماعاً، قالت: سمعت القاضي الإمام عزيزي بن عبد الملك من لفظه في سنة تسعين وأربعمائة يقول: اللهم يا واسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة، افعل بي ما أنت أهله. إلهي أذنبت في بعض الأوقات وآمنت بك في كلّ الأوقات، فكيف يغلب بعض عمري مذنباً جميع عمري مؤمناً؟! إلهي لو سألتني حسناتي لجعلتها لك مع شدّة حاجتي إليها وأنا عبد، فكيف لا أرجو أن تهب لي سيئاتي مع غناك عنها وأنت ربّ...». انتهى. ولا شك في أنها =

[٣٥/٨٤ ـ خصائص الشَّيْطَانِ]:

إلهِي، إنَّ الشَّيْطَانَ فَاجِرٌ، خَبِيثٌ، كَثِيرُ الْمَكرِ، شَدِيدُ الْخُصُومَةِ، قَدِيمُ الْعَدَاوَةِ، كَيْفَ يَنْجُو مَنْ يَكُونُ مَعَه فِي دَارٍ وَهُوَ المحتالُ؟! إلّا أَنِّي أَجِدُ كَيْدَهُ ضَعِيفاً، فَإِيَّاكَ نُعبدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ، وَإِيَّاكَ نَسْتَحْفِظُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلّا بِكَ[1]، يا كَرِيمُ، يا كَرِيمُ، يا كَرِيمُ.

واستعرض في هذا المقطع الوسائل الّتي يستخدمها الشيطان للايقاع بالإنسان، وهي من اوصافه الّتي يتصف بها، وهي:

١ ـ الفجور، والعدول عن الحق باستخدام الطرق الملتوية لتحقيق الاهداف.

٢ ـ الخبث، وهو الفساد في نفسه، المستلزم لإثارة الفساد في المجتمع.

٣ ـ المكر، وهو الخديعة بإغراء الإنسان بما لا ينفعه، بل يضرّه.

٤ ـ الخصومة، وهي الجدال والنزاع بين الإنسان وغيره لهدر طاقاته الّتي يمكن ان يستخدمها في الخير.

٥ ـ العداوة، وهي التجاوز للحدود الّتي تفرضها المسؤولية على الإنسان، كلٌّ في حدود عمله.

٦ ـ الاختيال، وهو القدرة على تحريك الأمور بطريقة غير طبيعية.

وهذه الوسائل بالرغم ممّا لها من أثر، فهي ضعيفة في التأثير على من تحصّن بالعلم، وأدرك حقيقة هذه المخططات والأهداف الّتي يصبوا إليها الشيطان، فإنّه يستعدّ لمواجهتها بروح قويّة بالعلم والإيمان.

وختم المقطع بما يوجب العصمة منها، وهي العبادة لله، والاستغاثة بالله، والحفظ في أمان الله، فإنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله، وهو الكريم العاصم المستعان. اللهم احفظنا من شرور الشيطان في كلّ زمان ومكان.

---

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «إلّا بالله».

وهو ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾[1]، و﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾[2]، فينبغي أن تكون هباته أعظم من هبات الإنسان المفتقر اليها، فكيف لا يهب سبحانه سيّئات الإنسان مع غناه عنها؟!!

[٢/٨٥ ـ مستلزمات الأمر]:

اللَّهُمَّ[3]، أَمَرتَنَا أَنْ نَعْفُوَ عَمّن ظَلَمَنا[4]، فَقَدْ ظَلَمْنَا أَنفُسَنا[5]، فَاعْفُ عَنَّا.

وَأَمرتَنَا أَنْ نَتَصَدَّقَ عَلَى فُقَرائِنَا، وَنَحْنُ فُقَراؤُكَ، فَتَصدّق عَلَينا.

وَأَمرتَنَا أَنْ لَا نَرُدَّ الْمَسَاكَيْنَ[6] عَنْ أَبوابِنا، وَنَحْنُ مساكينك، فَلَا تَردَّنَا عَنْ بَابِكَ[7]، يا كَرِيمُ[8].

وَأَمرتَنَا[9] أَنْ نُعْتِقَ مَنْ شَابَ مَعَنا[10] فِي مِلكِنَا، فَقَدْ[11] شِبنَا فِي مِلكِكَ، فَأَعْتِقْنَا مِنْ النَّارِ.

(يا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرامِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ الّا بِاللهِ الْعَلِيِّ

---

(١) القرآن الكريم، سورة ص ٣٨: ٩.
(٢) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ٢٦.
(٣) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «إلهي».
(٤) كذا في بعض النسخ، وفي الأصل: «أمرتنا أن تعفو عمن ظلمنا».
(٥) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في بعض النسخ: «وقد ظلمنا أنفسنا».
(٦) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «السائلين».
(٧) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «أبوابك».
(٨) لم ترد في بعض النسخ: «يا كريم».
(٩) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «إلهي وأمرتنا».
(١٠) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة العبارة هكذا: «أن نعتق من مماليكنا من قد شاب».
(١١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «وقد».

[١/٨٥ ـ أسماء الله]:

إلهِي، لَوْ سألتَنِي حَسَناتِي لَوَهَبْتُكَ إيّاهَا[١] مَعَ فَقْرِي إِلَيها، وَأَنَا عَبْدُكَ[٢]، فَكَيْفَ لَا تَهَبُ لِي سَيِّئَاتِي مَعَ غِنَاكَ عَنْهَا، وَأَنْتَ يا مَولَايَ[٣] ربٌّ؟!!.

يتضمّن هذا المقطع الإشارة إلى ما تستلزمه بعض الأسماء الحسنى الّتي بها يدعى الله تعالى، وهو الوهّاب الغني، فإنّه تعالى هو ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾[٤]. والكلمة بمادّتها تعني العطية من دون عوض، وصيغتها المفيدة للمبالغة تستلزم أن تكون من الهبات الّتي يقدّمها الإنسان، فإنّ كل هبة لابدّ وأن تتناسب مع واهبها، وعظمة الله سبحانه تستلزم ان تكون هباته عظيمة أيضا.

والله سبحانه هو القائل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٥]، والداعي في هذا المقطع يبدي استعداده فيما لو سئل بهبة ما يملك من حسنات ضئيلة بالرغم من صفات ثلاث وصفها بها: من حاجته اليها، وغناه تعالى عنها، وكونه في حالة العبودية لله؛ فإنّ إحدى هذه الخصائص تكفي للعذر بالاحتياط بها لنفسه.

ومن أسماء الله الحسنى الّتي يستجاب بها الدعاء: (الغنيّ) و(الوهّاب)، وهو يستلزم ان تكون هبة الله أعظم من هبة الإنسان، لكونه سبحانه الغني، فلا يحتاج للاحتفاظ بشيء منها لنفسه، فلا حاجة له لشيء منها؛ لأنه واجب الوجود،

= مأخوذة عن الإمام زين العابدين عليه السلام، لتقدمه زماناً على كل الشيوخ المنقول عنهم هذا الدعاء بأكثر من ثلاثمئة عام. (وراجع: المنتظم ٩: ١١٨ ـ ١١٩، الكامل في التاريخ ١٠: ٢٩٨ ـ ٢٩٩، العبر ٣: ٣٣٧، الوافي بالوفيات ١: ١٢٢ ـ ١٢٤، النجوم الزاهرة ٥: ١٦٥ ـ ١٦٦، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة: ٩).

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «لو سألتني حسناتي لوهبتها لك».

(٢) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «وأنا عبد».

(٣) لم ترد في بعض النسخ عبارة: «يا مولاي».

(٤) القرآن الكريم، سورة ص ٣٨: ٩.

(٥) القرآن الكريم، سورة فاطر ٣٥: ١٥.

التائب مسكين يحتاج إلى نجاة نفسه في يومه، وهو واقف على باب الله كما يقف المساكين على أبواب الناس، فالله سبحانه أولى بأن يتصدّق عليه بالمغفرة.

٤ ـ العتق من رقّ العبودية، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[1] فقد أمر الإسلام بعتق الرقبة في مناسبات مختلفة تكفّل ببيانها الفقه الإسلامي، والشيب كناية عن العيش مع الإنسان لفترة طويلة توجب الشيب، وهو بياض الشعر، والإنسان في حياته ملك لله سبحانه ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[2]، فهو سبحانه أولى بأن يعتق رقبة الإنسان التائب من النار.

فإنّ هذه الأوامر الإلهيّة الّتي هي الخير كلّه يجب على الإنسان إطاعتها؛ لأنّها صادرة من الذات المقدسة المتّصفة بالخير كله ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[3] ومن خيره تعالى أن يوليها الإنسان المفتقر إليها. والله سبحانه هو المسؤول في ذلك كلّه، فإنّه ذوالجلال والإكرام، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

---

(١) القرآن الكريم، سورة البلد ٩٠: ١٢ ـ ١٣.

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٥٦.

(٣) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢: ٦٤.

الْعَظِيمِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ)(١).

ويتضمّن هذا المقطع الإشارة إلى سلسلة من الأوامر الإلهيّة الّتي أمر الله سبحانه الإنسان بتطبيقها في حياته الشخصية تجاه النفس والاسرة والمجتمع، وبما أنّها تعبّر عن المصالح الواقعية فيها فهي تستلزم أن تترشّح من ذاته المقدسة المستجمعة لجميع صفات الكمال. وكذا من الأوامر الّتي أشار اليها قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾(٢)، وهي:

١ ـ العفو، فإذا كان العفو عمّن ظلم مأموراً به، فالله سبحانه أولى بأن يعفو عن الإنسان الظالم نفسه بالمعاصي.

٢ ـ الصدقة، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(٣)، وقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(٤)، والإنسان التائب يعدّ من الفقراء إلى الله لقبول توبته، فالله أولى بأن يتصدّق عليه بقبول التوبة.

٣ ـ حقّ المسكين، وهو من يحتاج إلى قوت يومه، قال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾(٥) وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾(٦)، والإنسان

---

(١) كذا في المصدر، وفي بعض النسخ بدل ما بين القوسين، ما يلي: «اللّهمّ كما حرّمت على جباهنا أن تسجد لغيرك، وحرمت على أكفنا أن تمد إلَى سواك، فأغننا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك، برحمتك يا أَرْحَمَ الراحمين».

(٢) القرآن الكريم، سورة النور ٢٤: ٢٢.

(٣) القرآن الكريم، سورة التوبة ٩: ١٠٣.

(٤) القرآن الكريم، سورة الأحزاب ٣٣: ٣٥.

(٥) القرآن الكريم، سورة الاسراء ١٧: ٢٦.

(٦) القرآن الكريم، سورة الضحى ٩٣: ١٠.

وَضَاقَتِ المَذَاهِبُ[١] وَامْتَنَعتِ المَطَالِبُ[٢] وَعَسُرَتِ الرَّغَائِبُ[٣] وانْقَطَعتِ الطُّرُقُ إلَّا إليْكَ، وَتَصَرَّمَتِ[٤] الآمَالُ وانْقَطَعَ الرَّجآءُ إلَّا مِنْكَ، وَخَابَتِ الثِّقَةُ وَاَخْلَفَ الظَّنُّ[٥] إلَّا بِكَ[٦].

الاستجابة: طلب الجواب بالاثبات لما يطلبه الإنسان، والمراد هنا: إستجابة الله سبحانه لدعاء الداعي، ويتضمّن هذا الدعاء حالة الداعي المستوجبة للطلب ثمّ الأسباب المقتضية لقبول الطلب، ثم الطلب.

وقد استفتح المقطع الأوّل من الدعاء بحالة الداعي، وهي حالة الاضطرار القصوى التي لا فرج منها إلّا بالاستجابة، وقد بيّنها في نقاط، هي:

١ ـ (أكدى الطلب) والكدي: هو البخل والحبس والجدب والقصر، والمعنى الجامع: المطلوب الذي لا يتمكّن الإنسان من تحصيله، فيكون مستلزماً للحالة المذكورة، فانحصر تحقق الطلب بما عند الله سبحانه.

٢ ـ (أعيت الحيل) والحيلة: الوسيلة للوصول إلى شيءٍ، والعيّ: العجز، فلا وسيلة للمطلوب سوى الله سبحانه وتعالى.

٣ ـ (ضاقت المذاهب) والمذهب: الطريق، فإنّ ضيقه هو عبارة عن العجز عن الوسائل العادية في تحصيل المطلوب سوى الدعاء.

٤ ـ (امتنعت المطالب) بعد سلوك الداعي تلك الطرق المتيسرة لتحصيل المطلب.

---

(١) ضاق الشيء: ضد اتسعَ، والمذهب: المعتقد من مطلق الآراء، أي أنَّ جميع الطرق المقترحة في الخلاص قد تضيقَّت.

(٢) امتنعت المطالب: تعذَّرَ حصولها.

(٣) الرغائب: ما يرغبُ فيها ويحرص عليها.

(٤) تصرمت: تقطعت وانقطعت.

(٥) اخلفَ الظن: تغيَّرَ وفسد.

(٦) كذا في المصدر، وفي بعض النسخ زيادة: «وغربت الألسن، وأخلفت العدات إلّا عدتك»، والعدات: الوعود.

[الدعاء السادس والثّمانون]

دُعاء الاستجابة[1]

[١/٨٦ ـ حالة الداعي]:

اللّهُمَّ قدْ[2] أكْدَى[3] الطَّلَبُ، وَأعْيَتِ[4] الحِيَلُ إلَّا[5] عِنْدَكَ[6]،

---

(١) ورد هذا الدعاء في (ك) برقم (٣٧) وعنوانه فيها: «وَمِنْ دُعائِهِ (عليه السلام) فِي اسْتِجَابَةِ دُعَائِهِ»، كما ورد في الرضوية برقم (٢٩) وعنوانه فيها: «ومن دعائه (عليه السلام) في الشكوى»، ووردَ أيضاً في الصحيفة الثالثة، وفي الصحيفة الثالثة ما نصّه: «وهذا الدُّعاء قد وقعَ في صحيفة الرَّهني المذكور في نسخة صحيفة الفقيه ابن شاذان ـ المعاصر للمفيد ـ باختلاف شديد بينهما وبين السابق، وألفاظ الدُّعاء؛ بحيث قد يظنُّ كون هذا الدُّعاء دعاءً على حده، فلذلِكَ نحنُ أوردناهُ هنا مرّة أُخرى بروايتهما رضوان الله عليهما، وعنوانهُ هكذا: في استجابتهِ وقبولهِ إياهُ بالإسعافِ».

هذا، وقد أورد السيِّد الأبطحي نسختين من هذا الدعاء في الصحيفة الجامعة بالرقم (٢٢٠) بعنوان: «في الشكوى»، وبالرقم (٢٢١) بعنوان: «عندَ استجابة دعائهِ»، وقال: أثبتنا العنوان كما في دعوات الراوندي وكما في بعضِ النسخ الّتي أشار إليها في الصحيفة الثالثة، ولم يرد هذا الدعاء في «ط» والمشهورة.

والاستجابة: طلب الجواب بالاثبات لما يطلبه الإنسان، والمراد هنا: استجابة الله سبحانه لدعاء الداعي.

(٢) كذا في المصدر، وفي الهامش، في نسخة: «وقد».

(٣) أكدى: تعسر وتعذر. أكدى: ألحَّ.

(٤) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «الحيلة».

(٥) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة زيادة: «من».

(٦) الحيل: جمع حيلة، وهي الحذق وجودة النظر والقدرة على دقة التصرُّف، أي حصرت السبل المتصوّرة لقضاء الحاجة إلّا من سبيلِكَ.

الباصرة حسّاً، وقد عبّر عن ذلك بالأسباب، بأن يجدها، وهي محسوسة لكلّ من تأمّل فيها بعين البصيرة، وعدّ ثلاثة منها، هي:

١ ـ سبل المطالب إلى الله منهجة، والنهج: هو الوضوح في السلوك والبيان، وهذه السبل أي الطرق إلى تحصيل المطلوب قد أوضحها الله بالأمر بالعمل والتدبير والاتكال عليه، وقد بيّنها في أكثر من أمر ارشادي في القرآن الكريم، وبيّنها الرسول الأمين، وسلكها الصالحون الّذين لا تغرّهم مباهج الحياة الدنيا.

٢ ـ (مناهل الرجاء مترعة) لدى الله سبحانه، والرجاء: ارتقاب المأمول، ومناهلها: منابع الارشاد اليه الّتي تبعث على الثقة بالنفس في أداء الدور المطلوب من الإنسان لتحقيق المطلوب، وهي مترعة أي ممتلئة لمن أراد الإنتهال منها، أي الشرب من تلك المنابع وليست فارغة ولا مغلقة.

٣ ـ (أبواب الدعاء مفتّحة) إلى الله سبحانه؛ فإنّ الإنسان يمكنه أن يناجي ربّه في بيان ما يواجهة من المشكلات في أيّ وقت من الأوقات، وبذلك ينفّس عن نفسه، ويتجاوز تلك المشاكل النفسية الّتي تؤثّر على معنوياته؛ فإنّ نصوص الأدعية تعتبر دروساً وعبراً في التعبئة الروحية الّتي يفتقر اليها الإنسان حينما يواجه تلك الحالات النفسية.

وانّما افتتح المقطع بعين اليقين مباشرة؛ لافتقار حالة الداعي النفسية إلى هذه الأسباب المتيسّرة الّتي يشاهدها كلّ إنسان في حياته.

[٣/٨٦ ـ ثانياً: علم اليقين]:

وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لِمَنْ دَعَاكَ بِمَوْضِعِ إِجَابَةٍ[١]، وَلِلصَّارِخِ إِلَيْكَ بِمَرْصَدِ[٢] إِغَاثَةٍ[٣]، وأَنَّ القَاصِدَ إِلَيْكَ لَقَرِيبُ المَسَافَةِ مِنْكَ، وَمُنَاجاةِ

---

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «الإجابة».

(٢) المرصد: موضع الرصد، وهو: الرقابة والحراسة.

(٣) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «الاغاثة»، وبعدها زيادة ما يلي: «وأن في اللهف إلَى جودك، والرضا بقضائك عوضاً من منع الباخلين، ومندوحة عما في أيدي المستأثرين، ودركاً من خير الموازرين».

٥ ـ (عسرت الرغائب) وهي ما يُرغب فيه من المطلوب. وعسرها: بشدة طرق تحصيلها إلّا بالطريق إلى الله سبحانه بالدعاء.

٦ ـ (تصرّمت الآمال) وهي ما يرجى حصوله، والتصرّم: الانقطاع.

٧ ـ (انقطع الرجاء)، والرجاء: هو ارتقاب ما لا يعلم حصوله خارجاً.

٨ ـ (خابت الثقة) وهي الاعتماد على الشيء أو الشخص في تحقيق المراد.

٩ ـ (أخلف الظنّ) وهو الاحتمال الراجح دون العلم وفوق الشك، والخيبة: الفشل عن الظفر بالمطلوب إلّا من الله سبحانه.

وصفات الله الربوبية تقتضي اسعاف الطالب في مثل هذه الضروف، وهو الوحيد القادر على تغيير حالة الداعي دون غيره.

[أسباب الاستجابة]:

[٢/٨٦ ـ أوّلاً: عين اليقين]:

اللّهُمَّ إنِّي(١) أجِدُ سُبُلَ(٢) المَطالِبِ إلَيْكَ مُنْهَجَةً(٣)، وَمَناهِلَ(٤) الرَّجآءِ لَدَيْكَ مُتْرَعَةً(٥)، وأبْوَابَ الدُّعَاءِ إلَيْكَ مُفَتَّحَةً(٦).

في هذا المقطع أشار إلى ثلاثة أنواع من الأسباب المقتضية للاستجابة، وهي أنواع اليقين بتلك الأسباب على سبيل: عين اليقين، وعلم اليقين، وحقّ اليقين.

وافتتح المقطع بعين اليقين، وهو العلم الحاصل بالمشاهدة؛ فإنّ المشاهد للنار الملتهبة والجذوة المحترقة لا يشك في وجود النار؛ لأنه يراها بالعين

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «واني».

(٢) السبل: جمع سبيل، وهو الطريق.

(٣) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «مشرعة»، ومنهجة: واضحة بيِّنة.

(٤) المناهل: جمع منهل: وهو المورد والمشرب، والموضع الذي فيهِ الشرب.

(٥) مترعة: أي مفتوحة من الترعة: وهو مشرع الماء حيث يستقي الناس، ومترعة ـ أيضاً ـ: مملوءة.

(٦) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في بعض النسخ زيادة: «والاستغاثة لمن استغاث بك مباحة».

[٤/٨٦ ـ ثالثاً: حق اليقين]:

وَأنَّ فِي التَلَهُّفِ[١] إِلَى جِوَارِكَ[٢] وَالرِّضَا بِعِدَتِكَ[٣] والاسْتِراحَةِ[٤] إِلَى ضَمَانِكَ[٥] عِوَضاً مِنْ مَنْعِ البَاخِلِيْنَ، وَمَنْدُوحَةً[٦] عَمَّا قِبَلَ[٧] المُسْتَأْثِرِيْنَ[٨]، وَدَرَكاً[٩] مِنْ خَتْرِ[١٠] المُوارِبِينَ[١١].

---

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «اللهف»، والتلهُّف: الحزن والتحسُّر والحرص، ويحصل ذلكَ عندَ حصول المصيبة والكارثة.

(٢) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «إِلَى جودك»، والجوار: العهد والأمان وأن تعطي الرجل ذلك فيكون جارُكَ فتجيرهُ.

(٣) بعدتِكَ: بوعدكَ.

(٤) الاستراحة: السكون.

(٥) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «والرضا بقضائك».

(٦) كذا في المصدر، وفي حاشية (ك): «موسّعة».

(٧) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «عمّا في أيدي».

(٨) المستأثرين: المستبدِّين والمختصين بالمنافع والفوائد. وقِبَل المستأثرين: أي عندهم.

(٩) الدَّرَك: التَّبِعَة، يُقال: ما لحقكَ من دَرَك فعليّ خلاصه.

(١٠) كذا في المصدر، وفي حاشية (ك): «غدر».

(١١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «من خير الوازرين»، هذا وقد وردت الكلمة في نسخة الصحيفة الجامعة «المؤازرين»، وفي بعض النسخ بدلها: «الوارثين». ووردت هذه اللفظة في بعض الأدعية المأثورة، وفسرها العلماء بأنحاء، نذكر منها: ما في بحار الأنوار (٨٣: ٣٢٠): «ودركاً ـ أي تداركاً ـ من حيل المؤاربين»: أي المخادعين، والموارِبة: المخاتلة والمداهاة، ويجوز فيه الهمز وعدمه. وفي البحار أيضا (٨٣: ٣١٨): «اللهم وإن في موعدك عوضاً عن منع الباخلين، ومندوحة عما في أيدي المستأثرين، ودركا من حيل المؤاربين»، وفي الهامش: في المهج: المؤازرين. وفي البحار أيضاً (٨٨: ٧٢): «وأن اللهف إلى جودك والرضا بعدتك والاستغاثة بفضلك عوض عن منع الباخلين وخلف من ختل المواربين»، من وارب الرجل: خاتله وداهاه، وقد تكون اللفظة من«الإرب»، ويروى على وجهين: أرب مفتوحة الألف والراء. وإرب مكسورة الألف ساكنة الراء، ومعناهما واحد، وهو حاجة النفس ووطرها. يقال: لفلان عند فلان أرب وإرب وإربة ومأربة: أي حاجة، وإِلَى هنا يتم الدعاء في نسخة الأصل، ولكن في بعض النسخ زيادة ما يلي: «وأنك لا تحتجب عن خلقك، وإنما تحجبهم الآمال دونك، وقد علمت يا إلهِي أن أفضل زاد الراحل إليك عزم الإرادة، وقد ناجاك =

العَبْدِ[١] إِيَّاكَ غَيْرُ مَحْجُوبَة عَنْ اسْتِمَاعِكَ.

وعلم اليقين هو اليقين الحاصل بالدليل والبرهان من دون المشاهدة بالوجدان، وقد أشار هنا إلى الأسباب المقتضية لقبول الطلب مما أكّد عليها القرآن والسنّة؛ لأنّ الله سبحانه أكّد على حقيقتها، وهي:

١ ـ إنّ الله موضع الإجابة، حيث قال سبحانه: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٢] والله لا يخلف وعده، وبالإسناد عن امير المؤمنين عليه السلام: «من أعطى الدعاء لم يُحرم الإجابة»[٣].

٢ ـ ان الله سبحانه بمرصد إغاثة، والمرصد: مكان المراقبة لاغاثة من يفتقر إليها، والصراخ: الاستغاثة بالنداءً. وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[٤].

٣ ـ إنّ القاصد قريب المسافة إلى الله؛ لأنّه أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد كما ورد في سورة ق ٥٠، الآية ١٦، وفي حديث الرضا عليه السلام عن آبائه (عليهما السلام): «أنا جليس من ذكرني»[٥].

٤ ـ إنّ مناجاة العبد غير محجوبة عن الله، فعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ما من مؤمن يدعوا الله إلّا استجاب له، إمّا أن يعجّل له في الدنيا، وإمّا أن يؤجّل له في الآخرة، أو أن يكفّر عنه ذنوبه بقدر ما دعاه، ما لم يدع بمأثم»[٦].

٥ ـ فإنّ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وروايات اهل البيت العارفين طافحة في الحثّ على الدعاء وترتّب الآثار عليها، كما هو مشروح في كتب الادعية.

---

(١) كذا في المصدر، وفي الحاشية، في نسخة: «الطالب»، والمناجاة: السرار، وانتجى القوم: إذا تسارُّوا، وانتجى فلان فلاناً: خصَّهُ بمناجاتِهِ، والاسم النجوى.
(٢) القرآن الكريم، سورة غافر٤٠: ٦٠.
(٣) وسائل الشيعة ٧: ٢٨.
(٤) القرآن الكريم، سورة النمل ٢٧: ٦٢.
(٥) بحار الأنوار ٣: ٣٤٧.
(٦) بحار الأنوار ٩٠: ٣٠٢.

الاطمينان هذه عوضاً عن كلّ ما يتصوّره الإنسان ضرورياً، فانها بدون طمأنينة النفس يكون في عذاب روحي، وهذه الحالة تعمّ العوض مما يتبلّغ به الآخرون من حطام الدنيا، وفرجة وسعة مما يستأثر به الآخرون لأنفسهم من دون مساعدة غيرهم.

(ودركاً من ختر المواربين) أي سدّاً حافظاً من غدر المخادعين؛ حيث يثق الإنسان بربه ويعتمد على نفسه.

[٨٦/٥ ـ والمطلوب]:

فاغْفِرْ ـ فَلَا إلهَ إلَّا أنْتَ ـ مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِي[١]، وَاعْصِمْنِي فِيْمَا بَقِي مِنْ عُمْرِي، وَافْتَحْ لِي أبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَ[٢]جُودِكَ الّتِي لَا تَغْلِقهَا عَنْ[٣] أَحِبَّائِكَ وَأصْفِيائِكَ، يا أرْحَمَ الرَّاحِمِين[٤].

واختتم عليه السلام الدعاء بالمطلوب منه سبحانه وتعالى، وقد أشار إلى نقاط ثلاث يفتقر إليها الإنسان في الحياة كلّها، وهي:

---

(١) لم ترد في بعض النسخ: «فاغفر فلا إله إلّا أنت ما مضى من ذنوبي»، وبدلها ما يلي: «ومننت عليّ بغفران ما مضى من ذنوبي».

(٢) لم ترد في بعض النسخ: «أبواب رحمتك و».

(٣) كذا في الرضوية والصحيفة الجامعة، ووردَت العبارة في (ك) هكذا: «إلّا عَنْ».

(٤) هذا، وقد ورد هذا الدعاء في رواية ابن مالك على النحو التالي: «اللّهمّ قد أكدى الطلب وأعيت الحيل إلّا عندك، وضاقت المذاهب، وانقطعت الطرق إلّا إليك، ودرست الآمال، وانقطع الرجاء إلّا منك، وخابت الثقة وأخلف الظن إلّا بك، وكذبت الألسن وأخلفت العداة إلّا عندك. اللّهمّ إنا نسألك بكل دعوة توسل بها إليك راج بلغته أمله، أو مذنب خاطئ غفرت له، أو معافى أتممت عليه نعمتك، أو فقير أدليت غناك إليه، ولتلك الدعوة يا رب عندك زلفة أن تصلي على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، وأن تقضي لنا حوائجنا في يسر منك وعافية، وأن تغفر لنا وترحمنا، وإنا إلَى رحمتك فقراء يا أرْحَمَ الراحمين. اللّهمّ إنك أمرت بالصلاة والتسليم على نبيك مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) فريضة منك واجبة، وكرامة فاضلة وبدأت وملائكتك بالصلاة عليه فقلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾».

والمرحلة الآخيرة لليقين هي حقّ اليقين؛ حيث يعيش آثار اليقين كالذي يحترق بالنار؛ فإنّ الاحتراق بعد العلم بالإحراق ومشاهدة الإحراق يكون حقيقة لا يمكن الشك فيه والتريّث في ذلك على الإطلاق.

وقد أُشير هنا إلى ثلاثة من الأسباب المقتضية للاستجابة بقبول الطلب، الّتي يعيشها كلّ إنسان يتوجّه بالدعاء إلى الله، وهي:

١ ـ التلهّف إلى جوار الله، والتلهف: التحسّر والحزن في حالة الحاجة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾[1]، حيث إنه في حالة الضرّ يغلب على الإنسان الحزن، ويتقرّب إلى الله بالدعاء ويبث حزنه اليه تعالى ما دام في تلك الحالة.

٢ ـ الرضا بعدة الله، والرضا: القناعة بما وعد الله سبحانه، وأثره: الابتهاج والسرور، وهي الحالة الّتي أشار اليها تعالى بقوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[2].

٣ ـ الاستراحة إلى ضمان الله، وهي طلب الراحة النفسيّة لليقين حقاً، بأن يعلم أنّ ما حتمه سبحانه للعباد واقع لامحالة، وهي حالة الاطمئنان النفسي الذي يتمتّع به الإنسان المسلم المؤمن ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[3].

وهذه الحالات الثلاث من التلهّف والرضا والاطمينان، حالات يعيشها الإنسان، كما يعيش الإنسان حالة الاحتراق بالنار، فلا مجال للشك والشبهة فيها، وحالة الاطمينان هي ما يفتقر اليه الإنسان في الاستمرار في الحياة بالسلامة النفسية؛ ليعيش إنساناً صالحاً في نفسه وعضواً نافعاً في مجتمعه، فيكون حالة

= بعز الإرادة قلبي. فأسألك اللّهمّ بكلّ دعوة دعاك بها داع أجبت دعوته، أو رجاك بها راج بلغته أمله، أو صارخ أغثت صرخته، أو مكروب فرّجت عنه أو مذنب خاطيءٍ غفرت له ذنبه، أو فقير أهديت غناك إليه، أو معافى أتممت نعمتك عليه. ولتلك الدعوة عليك حق، ولديك منزلة إلّا صلّيت على مُحَمَّدٍ وآله...».

(١) القرآن الكريم، سورة يونس ١٠: ١٢.

(٢) القرآن الكريم، سورة الحديد ٥٧: ٢٣.

(٣) القرآن الكريم، سورة الرعد ١٣: ٢٨.

كلمة الختام

قال الجلالي: إلى هنا انتهى ما نقلته من نسخة محمد أمين المؤرخة ١٠٧٩. ولا يخفى أنه هناك بعض الاختلاف بين النسخة التي اعتمد عليها السيد المشكاة المطبوعة وبين النسخة الّتي كتبت بخط غلام علي الشهير بمحمد أمين المؤرخة ١٠٧٩. والتي تفضل السيد المشكاة بتصويرها لي، وقد وصفتها في الدراسة المنيفة، ويجب أن تحقّق الصحيفة اعتماداً على النسخ القديمة الّتي ذكرتها. وأيضاً أنّ النسخة تسلسل وصف النسخ المنقول عنها طبقة بعد طبقة، وقلّما يحصل ذلك في المخطوطات، والاختلاف بين النسختين من جهات أُشير إلى بعضها:

أولاً: الترتيب، فهذه النسخة تحتوي على الرواية المشهورة من الدعاء الأوّل إلى الدعاء رقم ٥٤.

ثم: نصوص المقابلات والعرض والقراءة، في ص ١٢٣ الف وب.

ثم: دعاء السمات مسنداً، من ص ١٢٤ الف إلى ١٢٩ الف.

ثم: صفة شكل خاتم النبوّة، في ص ١٢٩ ب.

ثم: عنوان (ممّا أُلحق ببعض نسخ الصحيفة)، في ص ١٣٠.

أولها: سبحانك اللهم وحنانيك، في ص ١٣٤، و١٣٤.

وآخرها: دعاؤه فيما يخافه ويحذره.

ثم: أدعية الأيام السبعة، من ص ١٣٥ ب، أوّلها: دعاؤه في يوم الاحد، وآخرها: دعاء يوم السبت، في ص ١٤٠ الف.

ثم: المناجاة مسندة في ص ١٤٠ ب، أولها: المناجاة الأولى للتائبين، وآخرها: المناجاة الخامسة عشر للزاهدين، في ص ١٥٩ الف.

ثم: دعاء غير معنون، أوّله: إلهي اسألك ان تعصمني حتى لا أعصيك... الخ.

١ ـ الغفران للذنوب بالنسبة إلى الحياة الّتي خلّفها في الماضي.

٢ ـ العصمة من الذنوب بالنسبة إلى حياة المستقبل، فيما بقي من عمر الإنسان.

٣ ـ الرحمة والجود الإلهي في كل الحالات، وبمختلف انواعها من الصحة والسلامة الروحية والجسدية والماديّة والمعنوية.

وهذه النقاط الثلاث متلازمة في الحياة، لا ينالها إلّا من كان من أحبّاء الله سبحانه وأصفيائه من الأولياء؛ فإنّ أبواب الرحمة لهم غير مغلقة حيث استحقوا ذلك بتفانيهم في الله واخلاصهم في العمل في سبيله، وقيامهم بصالح الاعمال الّتي تزكّي النفوس وتقود المجتمع الإسلامي إلى الخير والصلاح.

واكتفي بشرح هذا الدعاء من الصحيفة من رواية ابن مالك، وقد وصفتها في الدراسة المنيفة بتفصيل فليراجع، على ان يوفقني الله أو من يجد في نفسه القدرة والكفاءة لتحقيق الصحيفة برواياتها الثلاث، وهي رواية ابن المطهر وابن مالك وابن الاعلم في نصوص موحّدة محققة مشروحة؛ فانها تلتقي في الخطوط العريضة ماعدى بعض الزيادات كالدعاء المذكور هنا، وقد بلغ مجموع أدعية الصحيفة والملحقات (٨٦) دعاءً.

ونقلها عن خطّه غلام علي الشهير محمد أمين في ١٠ / ذي الحجة / ١٠٧٩هـ.

وقابلها الفقير إلى الله محمد حسين الجلالي عن خطه في سنة ١٣٩٤.

وأسأل الله سبحانه أن يهدينا إلى الصراط المستقيم والتسنّن بسنّة رسوله الكريم، والاقتداء بنهج أهل بيته القويم، إنّه الوهّاب التوّاب الرحيم. وكتب بخطه الفقير إلى الله «محمد حسين بن محسن بن علي الحسيني الجلالي»، المنتهي نسبه إلى سيد العابدين وسيد الساجدين عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام أجمعين)[1]، آمين رب العالمين.

---

(١) أورد سيدنا الأستاذ العلامة السيد محمد حسين الجلالي أدام الله ظله الوارف، نسبه إلى رسول الله ﷺ في آخر كتابه: «الاكتفاء بما رُويَ في أصحاب الكساء»، ونصّه: قال الجلالي: وأروي بالاسناد إلى الحاكم النيسابوري في المستدرك باسناده عن الخليفة عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلّا ما كان من سببي ونسبي». ولذلك أشير إلى نسبي إلى جدي الإمام أبي عبد الله الحسين الذي سُمّيت باسمه وليداً، وتربّيت في مدينته سعيداً حتى كبرت على حبّه رشيداً، الفقير إلى الله محمد حسين الحسيني الجلالي.

٢ ـ ابن السيد محسن الحسيني الجلالي (١٣٣٠ ـ ١٣٩٦هـ)، المدفون في صحن الإمام علي عليه السلام في النجف الاشرف. خلف قبر الإمام علي عليه السلام.

٣ ـ ابن السيد علي الجلالي (١٢٩٠ ـ ١٣٦٧هـ)، المدفون في صحن الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدسة. بحذاء المذبح المقدس.

٤ ـ ابن السيد قاسم الحسيني الجلالي، وهو أول من هاجر من كشمير إلى كربلاء، قبل عام ١٢٨٩هـ.

٥ ـ ابن مير محمد الجلالي.

٦ ـ ابن أحمد الجلالي.

٧ ـ ابن حيدر الجلالي.

٨ ـ ابن مراد شاه.

٩ ـ ابن مير حسين.

١٠ ـ ابن مراد شاه [الأول].

١١ ـ ابن مير حسين.

١٢ ـ ابن علي النقيب، شمس الدين [الرابع].

١٣ ـ ابن محمد شرف الدين.

=

ثم: دعاء معنون بما يلي: «أيضاً عن زين العابدين صلوات الرحمن وسلامه وبركاته عليه.»: إلهي لو سألتني حسناتي لوهبتك إيّاها... الخ، في ١٦٣ ألف.

ثم: دعاء بعنوان: «عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام»، في ص ١٦٦، وتبدأ بقوله عليه السلام: «كيف أدعوك وقد عصيتك... الخ».

ثم: دعاء الصباح، وعنوانه: (هذا الدعاء وجد بخط مولانا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه) مع مقدمة في فضله، في الصفحة ١٦٨، وبالصفحة ١٧٢ تنتهي النسخة.

وقد شرحت نصّ دعاء الصباح اعتماداً على نصّ النسخة الّتي بالخط الكوفي المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام المؤرخة ١١ / ذي الحجة / ٢٥هـ، والمحفوظة في الخزانة الشريفة في استانبول تركيا، مع المقارنة بنسختي المجلسي (ت / ١١١٠هـ) التي أوردها في بحار الأنوار ٨٧: ٣٣٩ و٩٤: ٢٤٢، مع شرح بعض الجمل والمفردات في الموضعين، وشرح الملّا هادي السبزواري (ت / ١٢٨٩هـ) المطبوع بعنوان «مصباح الفلاح» عام ١٢٦٧هـ، وقد لخّصت كلامهما أعلى الله مقامهما، فليرجع اليه الطالب.

ثانياً: تحتوي هذه النسخة على دقّة كاملة بضبط اختلافات النسخ، وقد قال في المقابلة المؤرخة في ذي القعدة سنة ٦٥٤هـ مانصّه: «وكلّ ما على هامشها من حكاية (سين) ونسخة؛ فإنّه عن ابن ادريس، وكذلك جميع ما يوجد بين السطور وعليه (سين) فإنّه حكاية خطه، وأمّا ما كان نسخة بلاسين، فمنها ما هو بخط ابن السكون، ومنها ما هو بخط ادريس رحمه الله.

ثالثاً: بعد الدعاء رقم (٥٤) ذكر الناسخ نصوص القراءآت والإجازات والبلاغات التي كانت على النسخ المنقول عنها، وأقدمها:

قراءة عميد الرؤساء هبة الله حامد بن أحمد بن أيّوب، في شهر ربيع الآخر في سنة ثلاث وستمئة.

نقلها بخطّه محمّد بن ادريس الحلي (ت / ٥٩٨).

وقابلها على خطه عليّ بن السكون، في ذي الحجة ٦٤٣.

ونقلها عن خطّه علي بن أحمد السديد في شعبان ٦٧٢.

وعارضها بأصلها محمد بن مكي الشهيد الأوّل (ت / ٧٨٩هـ)

من رسالة الدكتور حسين علي محفوظ

من رسالة الدكتور حسين علي محفوظ ـ الكاظمية: العراق.

فضيلة الأخ الكريم حجة الإسلام السيد محمد حسين الجلالي أطال الله بقاءه وأدام عزّه وتأييده.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد، فقد حمل لي الأخ الكريم رسالتكم مع العديد من مؤلّفاتكم ومنشوراتكم النفيسة القيّمة الّتي زيّنت مكتبتي، وكنت أتمنّى لو كملت وتسلسلت، وهي مهمّة جداً، على أنّها جزء من هذا الكتاب، وآخر من ذاك. أحسن الله اليكم ونفع بكم، وأجزل ثوابكم إن شاء سبحانه.

هذا، وما أشرتم إليه من التعريف بشيوخ الإجازات وأسانيدهم، فالمرجوّ أن يهتم به من يستطيعه، والله المستعان.

تاريخ ميلادي يوم الاثنين ٢٠ / شوال / ١٣٤٤هـ، ويوافق ٣ / أيّار / ١٩٢٦م، وما ذكرتموه في التعريف بي يحتاج إلى توثيق وتصحيح. أحزنني جدّاً ما تلاقون في الغربة، وخير البلاد مما حملك كما قال عليه السلام، والحمد لله على كل حال وعلى كلّ نعمة كانت أو هي كائنة.

كُتُب الشيخ نجم الدين العسكري (قدس سره) لا أعرف عنها شيئاً. ومعجم المرحوم مصطفى جواد لم يطبع، وأخي الحاج ناجي يسلّم عليكم، ونحن جميعاً نسألكم الدعاء، وعليٌّ في المملكة المتّحدة منذ مطالع الثمانينات، وهو يشتاق إلى الوطن ويحنّ إليه ويشكو ما تشكون، راجياً ألّا تنسوه من الدعاء، والسيد الوردي سافر إلى ليبيا ثم فارقها، وهو الآن في اليمن، والسيد محمد علي الحسيني

=

١٤ ـ ابن علي شمس الدين [الثالث].
١٥ ـ ابن عميد الدين عبد المطلب [الثالث].
١٦ ـ ابن جلال الدين أبي نصر، إبراهيم، نقيب النقباء، وإليه النسبة: (الجلالي).
١٧ ـ ابن عميد الدين عبد المطلب [الثاني] (ت/ ٦٨١ح).
١٨ ـ ابن علي شمس الدين [الثاني]، أبي القاسم، نقيب النقباء، آخر نقباء العصر العباسي (ت/٦٥٦هـ) في بغداد.
١٩ ـ ابن تاج الدين حسن.
٢٠ ـ ابن علي شمس الدين [الأول].
٢١ ـ ابن عميد الدين محمد.
٢٢ ـ ابن عز الدين عدنان، أبي نزار.
٢٣ ـ ابن أبي الفضائل عبد الله.
٢٤ ـ ابن أبي علي عمر المختار.
٢٥ ـ ابن أبي العلاء مسلم الأحول، أمير الحاج، الشهيد سنة٣٨٩هـ.
٢٦ ـ ابن أبي علي محمد أمير الحاج، النقيب بالكوفة.
٢٧ ـ ابن محمد الأشتر، أبي الحسين، أمير الحاج، ويعرف بالمشطب والأشتر.
٢٨ ـ ابن عبيد الله [الثالث]، المتوفي ٢٩٠هـ.
٢٩ ـ ابن علي الأكبر، أبي الحسن، المحدث بالكوفة.
٣٠ ـ ابن عبيد الله [الثاني]، ويوصف بالأصغر، توفي سنة ٢٠٩هـ.
٣١ ـ ابن علي الصالح، أبي الحسن، مستجاب الدعوة (ت/ ٢٠٤هـ)، المدفون في المدينة المسماة باسمه: «صالح آباد»، في محافظة «إيلام» إحدى محافظات إيران الغربية.
٣٢ ـ ابن عبيد الله الأعرج، المدفون في «آستانه علويان» الواقع في مدينة «سمنان»، مركز محافظة «سمنان» إحدى محافظات إيران الوسطى.
٣٣ ـ ابن الحسين الأصغر (٩٠ ـ ١٥٧هـ)، المدفون في مدينة «سمنان» المتقدمة آنفاً.
٣٤ ـ ابن الإمام زين العابدين علي السجاد (٣٨ ـ ٩٥هـ)، المدفون في البقيع في المدينة المنورة، ابن الإمام الشهيد الحسين (٤ ـ ٦١هـ)، ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ت/ ٤٠هـ) عليهم السلام، من ذرية سيدة نساء أهل الجنة (فاطمة) الزهراء بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله أجمعين.

[تذييل]

قال المحقق: ورد في آخر نسخة ياقوت المستعصمي دعاءين انفردت بهما هذه النسخة، نوردهما هنا إتماماً للفائدة، وهما بعنوان:

وأخوه في ايران، والدكتور القزويني استقرّ في لبنان، وقد زارني في الكاظمية ثم لم يأتني منه ما ينبئ عنه، وقد توفي المرحوم الطالقاني قبل مدّة، ولا أعرف عن أخيه شيئاً الآن، والظن أنه في بغداد. أمّا عبد الرحيم[1] فقد انقطعت أخباره منذ سنين، والمظنون انه ممن أكلهم الذئب، وكذلك كاظم من طلابي القدماء، والسيد علي نجل شيخنا السيد الواعظ موجود في الكاظمية. وإذا كان المؤيّد الذي تسألون عنه وكيل السيد أبي الحسن، فقد توفي منذ سنين. والدكتور السيد حسن الحكيم صاحب الاطروحة عن الشيخ الطوسي (قدس سره) هو الآن رئيس جامعة الكوفة، والدكتور كامل الشيبي يزورني ويشكو من ضعف البصر الشديد عافاه الله، وقد التقى الماء الأبيض والأسود في عيني أيضاً منذ سنين، والحمد لله.

هذا، والشيبي ليس من كربلاء، بل هو من أُسرة الكليدار، من بني شيبة، آل الشيخ عبد النبيّ صاحب الرجال، والسيد السامرائي لم أره منذ برهة.

أما نسبتنا إلى الشهيد الثاني فمن طرف الأُمّهات، من جهة جدّتنا العلوية رحمة بنت السيد صالح آل شرف الدين، وهي أُخت السيد صدر الدين العاملي، وأُمّ جدّنا الشيخ موسى الشيخ حسين محفوظ، وهو جدّ والدي الشيخ علي بن الشيخ محمد جواد بن الشيخ موسى ابن شيخ حسين محفوظ».

---

(١) وهو الشهيد عبد الرحيم محمد علي، مؤلف كتاب: «شيخ المحدثين الآخوند الخراساني»، المطبوع في النجف، وكان من أخصّاء السيد المؤلف. هذا، وقد استشهد على يد جلاوزة النظام البعثي الكافر الذي حكم العراق في حينه.

[الخمسون]

في صحّة الأعضاء(١)

---

(١) ورد هذا الدعاء في (ق) فقط، بعنوان: «الخمسون» وتحته عنوان: «في صحة الأعضاء». ورواه الشيخ الكليني في الكافي (٣: ٣٢٦، الحديث ١٩)، وفيه: عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عِيسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيه قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام إِلَى بَعْضِ أَمْوَالِه، فَقَامَ إِلَى صَلَاةِ الظُّهْرِ فَلَمَّا فَرَغَ خَرَّ لِلَّه سَاجِداً فَسَمِعْتُه يَقُولُ بِصَوْتٍ حَزِينٍ وتَغَرْغَرُ دُمُوعُه: رَبِّ عَصَيْتُكَ بِلِسَانِي ولَوْ شِئْتَ وعِزَّتِكَ لأَخْرَسْتَنِي وعَصَيْتُكَ بِبَصَرِي ولَوْ شِئْتَ وعِزَّتِكَ لأَكْمَهْتَنِي وعَصَيْتُكَ بِسَمْعِي ولَوْ شِئْتَ وعِزَّتِكَ لأَصْمَمْتَنِي وعَصَيْتُكَ بِيَدِي ولَوْ شِئْتَ وعِزَّتِكَ لَكَنَّعْتَنِي وعَصَيْتُكَ بِرِجْلِي ولَوْ شِئْتَ وعِزَّتِكَ لَجَذَمْتَنِي وعَصَيْتُكَ بِفَرْجِي ولَوْ شِئْتَ وعِزَّتِكَ لَعَقَمْتَنِي وعَصَيْتُكَ بِجَمِيعِ جَوَارِحِي الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ ولَيْسَ هَذَا جَزَاءَكَ مِنِّي. قَالَ: ثُمَّ أَحْصَيْتُ لَه أَلْفَ مَرَّةٍ وهُوَ يَقُولُ الْعَفْوَ الْعَفْوَ. قَالَ: ثُمَّ أَلْصَقَ خَدَّه الأَيْمَنَ بِالأَرْضِ فَسَمِعْتُه وهُوَ يَقُولُ بِصَوْتٍ حَزِينٍ: بُؤْتُ إِلَيْكَ بِذَنْبِي عَمِلْتُ سُوءاً وظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّه لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ يَا مَوْلَايَ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ أَلْصَقَ خَدَّه الأَيْسَرَ بِالأَرْضِ فَسَمِعْتُه يَقُولُ: ارْحَمْ مَنْ أَسَاءَ واقْتَرَفَ واسْتَكَانَ واعْتَرَفَ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَه. (انتهى).

والغرغرة: اشراق الدمع. قال ابن سيده في المخصص (ج ١، ق١، السفر الأول، ص١٢٤): اغْرَوْرَقَت وتَغَرْغَرت: شَرِقَت بدَمْعتها. وفي نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري (٢: ٥٦): فإذا امتلأت عينه دموعاً، قيل: أغرورقت عينه، وترقرقت. واغرورقت العين: دمعت كأنها غرقت في دمعها.

ونقل هذا الدعاء الشيخ الطوسي في«مصباح المتهجد» (ص ٦٦)، وفيه: . . . وقل فيها ما كان أبو الحسن موسى عليه السلام يقول، وهو: رب عصيتك بلساني ولو شئت وعزتك لأخرستني، وعصيتك ببصري ولو شئت وعزتك لأكمهتني. . .الخ. ورواه الشيخ مُحَمَّد تقي المجلسي الأول، في «روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه» (٢: ٣٨٥).

قال المحقق: وهذا الدعاء ـ كما ورد في سنده ـ مرويّ عن الإمام الكاظم عليه السلام، ولعل ياقوت وجده مروياً عن الإمام زين العابدين السجّاد عليه السلام، فأثبته في نسخته هنا، والله أعلم.



[الحادي والخمسون]

في قضاء الحوائج(1)

[١/٨٨ ـ طلب الرحمة]:

يَا رَبّ، وَمَا تَصْنَعُ بِعَبدِكَ وَرَحمَتُكَ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأنَا شَيْءٌ، فَلْيَسَعْنِي رَحْمَتُكَ يَا رَبِّ.

---

(١) ورد هذا الدعاء في (ق) فقط، بعنوان: «الحادي والخمسون» وتحته عنوان: «في قضاء الحوائج». ورواه السيد ابن طاوس في إقبال الأعمال (١: ١١٩ ـ ١٢١)، وقال: دعاء آخر إن دعوت به أول ليلة من شهر الصيام فقدّم لفظ: ليلتي هذه على يومي هذا، وإن دعوت به أول يوم من الشهر فادع باللفظة التي تأتي فيه، والذي رجح في خاطري أن الدعاء به في أول يوم منه. رويناه بإسنادنا إِلَى أبي مُحَمَّدٍ هارون بن موسى التلعكبري بإسناده إِلَى أبي عبد الله عليه السلام قال: يقول عند حضور شهر رمضان: اللهم هذا شهر رمضان المبارك الذي أنزلت فيه القرآن وجعلته هدى ـ إِلَى أن قال: ـ اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك من مظالم كثيرة لعبادك عندي، فأيّما عبدٍ من عبادك، أو أمةٍ من إمائك، كانت له قِبَلِي مظلمة ظلمته إياها، في ماله أو بدنه أو عرضه، لا أستطيع أداء ذلك إليه، ولا أتحلّلها منه، فصل على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وأرضه أنت عني بما شئت، وكيف شئت، وهبها لي. وما تصنع يا سيدي بعذابي وقد وسعت رحمتك كل شيء؟!، وما عليك يا رب أن تكرمني برحمتك ولا تهينني بعذابك؟، ولا ينقصك يا رب أن تفعل بي ما سألتك، وأنت واجد لكل شيء.
ورواه الشيخ الطبرسي في مكارم الأخلاق (ص ٢٩٤)، في دعاء الوتر. ونقله العلامة المجلسي في بحار الأنوار (٨٤: ٢٠٤، ح١٢) عن المكارم: وفي (٩٤: ٣٢٦، ح١) عن إقبال الأعمال. كما رواه الأبشيهي في المستطرف في كل فن مستظرف (٢: ٨٢٣)، وقال: وروى الحافظ النسفي بإسناده عن الزهري عن أبي مسلمة عن أبي هريرة، قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم برجل ساجد وهو يقول في سجوده: اللهم إني =

[١/٨٧ ـ أسباب المعصية]:

عَصَاكَ بَصَرِي، وَلَوْ شِئْتَ ـ وَعِزَّتِكَ ـ لأَكْمَهْتَنِي(١).

وَعَصَاكَ سَمْعِي، وَلَوْ شِئْتَ ـ وَعِزَّتِكَ ـ لأَصْمَمْتَنِي(٢).

وَعَصَاكَ يَدِي، وَلَوْ شِئْتَ ـ وَعِزَّتِكَ ـ لَكَنَّعْتَنِي(٣).

وَعَصَتكَ رِجلي، وَلَوْ شِئْتَ ـ وَعِزَّتِكَ ـ لَجَذَمْتَنِي(٤).

وَعَصاكَ فَرْجِي، وَلَوْ شِئْتَ ـ وَعِزَّتِكَ ـ لَعَقَمْتَنِي(٥).

وَعَصَتكَ جَمِيعُ جَوَارِحِي الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ.

وَلَيْسَ هَذَا جَزَاءَكَ مِنِّي!(٦).

---

(١) الكمه: العمى. ونقله المجلسي في «ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار» (٣: ٦٢٨ ـ ٦٢٩)، وفيه: قوله عليه السلام: «ولو شئت وعزتك لأكمهتني». وبخطه نور الله ضريحه: «لكمهتني». وفي القاموس: الكمة ـ محركة ـ: العمى يولد به الإنسان، أو عام.

(٢) الصمم: طرش، وهو عدم القدرة على السمع، فقدان حاسة السمع.

(٣) في القاموس (٣: ٨٠): كنع يده أشلها. والأكنع: الأشل. وفي الوافي، للفيض الكاشاني (٨: ٨٢٢) بيان «لكنعتني» بالنون والعين المهملة، أي لقبضت أصابعي.

(٤) جذمه: قطعه، والأجذم: المقطوع اليد. وفي الوافي، للفيض الكاشاني (٨: ٨٢٢) بيان «لجذمتني»، بالجيم والذال المعجمة، أي لقطعت رجلي. ولجذمتني: أي لقطعتني. والأجذم: المقطوع اليد.

(٥) عقمت الرحم عقماً ـ من باب تعجب ـ: إذا لم تقبل الولد. (رياض السالكين ٤: ٢٠٥).

(٦) ورد في ذيل هذه العبارة عن سليمان قوله: ثم أحصيت له ألف مرّة وهو يقول: العفو آخر ما نقلناه في الهامش رقم (١) من الصفحة السابقة، وفيه قوله عليه السلام: «بؤت إليك بذنبي»، وفي القاموس (١: ٩): باء إليه: رجع أو انقطع، وباء بذنبه بوءا: احتمله أو اعترف به. وفي الوافي، للفيض الكاشاني (٨: ٨٢٢)، في بيان: «بؤت إليك»: بالباء الموحدة المضمومة والهمزة، أي أقررت.

لاليان سركيس، ج٢، ص١٩٤٣).
وعرف بالمستعصمي، نسبة إلى الخليفة المستعصم بالله. ثم إن هناك ثلاثة من الخطّاطين ممن اسمهم ياقوت، وهم: ياقوت بن عبد الله الرومي الموصلي الملكي، نسبة إلى السلطان ملك شاه السلجوقي، ولقبه أمين الدين. توفي سنة ٦١٨هـ. وأبو الدّر، ياقوت بن عبد الله الرومي، الملقّب بمهذب الدين توفي سنة ٦٢٢هـ. وياقوت بن عبد الله الرومي الجنس والمولد، ولقبه شهاب الدين. توفي سنة ٦٢٦هـ. وقد خلط بعض الباحثين بين ياقوت المستعصمي وياقوت الموصلي الملكي، ونسبوا لأحدهما ما للآخر، منهم الشيخ طاهر الكردي في تاريخه عن الخط العربي، وتركي الجبّوري البغدادي في كتابه «الخط العربي الإسلامي» (راجع: ياقوت المستعصمي لصلاح الدين المنجّد. ص ٧ ـ ١١).
وياقوت المستعصمي الخطاط توفي في سنة سبع أو ثمان وتسعين وستمائة، في عهد غزان خان، ودفن بالقرب من قبر أحمد بن حنبل ببغداد.

وَمَا عَلَيكَ أَنْ تُكْرِمَنِي بِرَحِمَتِكَ وَلَا تُهِينَنِي بِذُنُوبٍ(١).

وَمَا عَلَيك أَنْ تُعْطِيَنِي مَا سَأَلْتُكَ، وَأَنْتِ وَاجِدٌ لِكُلِّ خَيْرٍ؟!(٢).

= استغفرك وأتوب إليك من مظالم كثير لعبادك قبلي، فأيّما عبدٍ من عبادك أو أمةٍ من إمائك كانت له قِبَلِي مظلمة ظلمتها إيّاه في مالٍ أو بدنٍ أو عرضٍ علمتها أو لم أستطع أن أتحللها، فأسألك أن ترضيه عنّي بما شئت وكيف شئت، ثم تهبها لي من لدنك، إنك واسع المغفرة ولديك الخير كله يا رب، ما تصنع بعذابي ورحمتك وسعت كل شيء؟! فلتسعني رحمتك، فإني لا شيء. وأسألك يا رب أن تكرمني برحمتك، ولا تهني بذنوبي، وما عليك أن تعطيني الذي سألتك يا رب يا الله. فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: إرفع رأسك، فقد غفر الله لك، إنّ هذا دعاء أخي شعيب عليه السلام.

قال المحقق: وهذا الدعاء ـ كما ورد في سنده ـ مرويّ عن الإمام الصادق عليه السلام، ولعل ياقوت وجده مروياً عن الإمام زين العابدين السجّاد عليه السلام، فأثبته في نسخته هنا، والله أعلم.

(١) كذا في النسخة، والأنسب: «بذنوبي».

(٢) وجاء في آخر نسخة (ق) ما نصّه: تمت الصحيفة الكاملة للإمام زين العابدين، ابن الحسين، ابن أمير المؤمنين علي عليهم السلام، في شهور سنة أربع وتسعين وستمائة، كتبها العبد أبي [هنا كلمة لا تقرأ، ولعلها: «الدر» أو «المجد» وهو كنية ياقوت، الخطاط المعروف، المتوفى سنة ٦٩٨] بن عبد الله المستعصمي، حامداً لله تعالى على [هنا كلمة لا تقرأ، ولعلها: «إتمامه»] ومصلّيا على النبي مُحَمَّدٍ وآله الطاهرين ومسلّماً، بمدينة ميافارقين، اللهم اغفر لكاتبها ولمن نظر فيها، يا أَرْحَمَ الراحمِينَ. انتهى.

قال المحقق: ميافارقين ـ بفتح أوله، وتشديد ثانيه ـ: أشهر مدينة بديار بكر. (معجم البلدان ٥: ٢٣٥) وهي قاعدة بلاد ديار بكر بين الجزيرة وأرمينية، وقد سمّيت قديماً مارتير وپوليس أو مدينة الشهداء، لما جمع فيها من عظام الفرس المسيحيين. وياقوت المستعصمي (٦٩٨هـ) هو جمال الدين أبو الدر ياقوت المستعصمي البغدادي الخطاط الشهير، اشتهر ياقوت بخطه البديع ولا سيما في نسخ المصاحف الشريفة التي كتبها بيده، منها نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية، فرغ منها في شهور سنة ٦٩٠، ولياقوت بعض حكم ومنتخبات منها: ١ ـ أسرار الحكماء ـ من قبيل النصيحة والتصوف ـ طبع مع كتاب أمثال العرب للضبي (أستانة ١٣٠٠) ٢ ـ رسالة آداب وحكم وأخبار وآثار وفقه وأشعار منتخبة ـ طبعت في مجموعة ثلاث رسائل (أنظر مجموعة رقم ٢٧) ٣ ـ نبذة من أقوال الفضلاء ـ جمعها ياقوت المستعصمي سنة ٦٨١هـ. طبعت في كتاب تنزيه الألباب في حدائق الآداب للمطران يوسف داود (الموصل) ١٨٦٣م. (معجم المطبوعات العربية، =

الفهرس





[تذييل]